القرآن والعمران

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

دكتور مهندس
أحمد خالد علام

دكتور مهندس
أحمد كمال الدين حفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

"إنَّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر"

صدق الله العظيم

القرآن والعمران

دكتور مهندس
أحمد خالد علام

دكتور مهندس
أحمد كمال الدين عفيفي

أ

القرآن والعمران

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه من سماوات وأرض ، وبحار وأنهار ، وحيوان ونبات ، وشمس وقمر ، ونجوم وكواكب ، وأودع فى هذه الكائنات قوانينه وسننه وأسراره ، تجرى الشمس لمستقر لها وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها ، كون يسير وفق نظام ، وخلق الله الإنسان لكى يعمر الأرض ، يعمل فيها فتتفاعل معه وتعطيه من خيراتها ، كل شيئ بقدر وميزان ، وإذا إختل هذا الميزان حدث الخلل والإنهيار والتلوث

من جهة أخرى خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن صورة ، وفى أحسن تقويم ، خلقه للعبادة ، أسكن آدم جنته ثم أنزله إلى الأرض كى يعمرها ، وجعله خليفة له فيها ، أرسل الله الرسل ، وكل رسول أنزل معه كتاب ، منهج يسير عليه الإنسان فى حياته ، حتى لا يضل ولا يشقى ولا يتعب ولا يظلم ولا يطغى، منهج أساسه الإيمان بالله والعمل الصالح .

بدأ الإنسان أول ما بدأ يعتمد فى حياته على دعامتين أساسيتين هما : الطعام والأمن ويوضح الله فى كتابه الكريم كيف حرم عباده الظالمين من هاتين النعمتين .

ثم بدأ يعلم نفسه كيف يصطاد ، وكيف يزرع ،وكيف يشق الترع ، وكيف يبنى بيته ، مراحل وتطور ، حتى ظهرت القرى والمدن والدول ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فطرة التطور خلق الله الناس أطوارا وكذلك الأنعام ، خلق الكون وما فيه على مراحل .

نشأ الإنسان فى المدن والقرى ، وكبرت المدينة وأصبح لها مكوناتها المتعددة من وحدات متخصصة ، منها ما هو للسكن ، ومنها ما هو مخصص للعمل أو الترفيه وقد ذكر القرآن الكريم مسميات هذه الوحدات مثل بيت ، ومنزل، وقصر ، ومسكن ، وسوق ، وسجن .... إلخ.

خلق الله الناس من ذكر وإنثى ، وجعلهم شعوبا وقبائل ، وسكن البدو والحضر القرى والمدن ، وإنقسم الناس داخل هذه التجمعات تقسيمات شتى منها : القوم والأمة والطائفة والحزب والفريق والشيعة ...

وأودع سبحانه وتعالى فى الإنسان فطرة الخلق والإبداع ، وهذه الفطرة قائمة على المنفعة والجمال ، والجمال فطرة تبعث فى النفس البهجة والسرور والمتعة والإنشراح ، فالله جميل يحب الجمال ، وما خلق الله من نبات أو حيوان أو جماد إلا وله منفعة وجمال فى الوقت نفسه ، وهذه الفطرة التى أودعها الله فى الإنسان ظهرت فى العمران الذى أقامه ، عمارات تؤدى وظيفتها مع جمالها، وكذا المكاتب والمتاجر والمصانع والشوارع والميادين والحدائق ...

بدأ الإنسان يزرع - كما ذكر سابقا - ويحرث ، ويصنع المحراث ، ويجلب الماء ، ومع مرور الزمن بدأ الزارع يزرع وغيره يأتيه بالماء والبذور والسماد والمحراث وغيره ، وهكذا فى بقية الصناعات - تخصص . ثم ظهر التخصص الدقيق والتنسيق والتكامل ، تماما كما يسير هذا الكون على التخصص والتنسيق والإنسجام والتكامل .

الوجود قائم على الوحدة ، وهذه سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، والوحدة يلازمها الإختلاف ، والإختلاف يزيد الوحدة جمالا . والإختلاف فقط يكون فى الشكل أو تكوين الجسم ، ولكن لا يتطرق إلى أصول الوظائف . الوحدة فى النبات والحيوان هى الخلية ، والوحدة فى العمران هى مادة البناء . أما الإختلاف ففى الهيكل ، فكانت العمارة المدرسة والمستشفى .

الثنائية منهج قديم من مناهج الفكر : الليل والنهار ، الشمس والقمر ، الخير والشر ، الروح والجسد ، ومن ثنائيات العمران الصورة والمعنى .

الله واحد له السلطة العليا ، ولو كان معه أحد لفسدت السماوات والأرض ، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم كتبه ، لتبين للرسل ما جاء فيها للقوم الذين أرسلوا إليهم . وفى العمران يجب أن تكون هناك

حكومة أو سلطة مركزية عليا قوية - ليست ضعيفة ، وإلا حدثت الفوضى ، وبجانب هذه السلطة المركزية توجد سلطات محلية تمارسها المجالس المحلية فى إطار السلطة المركزية .

هذا بالإضافة أن التخطيط السليم للعمران يجب أن يقوم على أساس العلم والمعرفة والسلطة ، حتى يضمن تنفيذ هذا التخطيط .

عندما أراد الإنسان أن يقيس مكانه إعتمد على الطبيعة وما بها من ثوابت ، كما إعتمد عليها أيضا فى قياس زمانه ، فوجدها حاضرة تلبى طلبه فكان العام والشهر واليوم والساعة .

عاش الإنسان فى العمران الذى بناه على مر التاريخ منسجما مع قوانين ومكونات الطبيعة ، ولكن عندما بدأ يحطم الطبيعة وما فيها بإستخدام المبيدات وعادم السيارات والمصانع والمخلفات السائلة وبالإستغلال الجائر للثروات الطبيعية بدأ التلوث بأنواعه المختلفة ينتشر أنتشارا رهيبا .

من جهة أخرى كان الإنسان فى أغلب الحالات يتبع رسل الله ويؤمن برسالاتهم ، ويسير على المنهج الذى وضعه الله له ، وكان منسجما مع ذاته ومع المجتمع ومع الوجود - آمنا مطمئنا ، ولكن حدث فى الفترة الأخيرة أن هجر الناس هذا المنهج وأعلنوا جهارا أن الله قد مات وأن الدين أسطورة قديمة ، ماذا كانت النتيجة ؟ ضل الإنسان وشقى ، وتعب وطغى ، وحدثت له الإنهيارات والقلق والفوضى الجنسية وعبادة المال والعنف بشتى أنواعه .

وهذا الكتاب "العمران والتخطيط" يضم ما سبق بعاليه فى فى تقسيمات ثلاثة .

-خصائص العمران .

-التلوث المادى .

-الأمراض الإجتماعية .

والله الموفق

المؤلفان

محرم ١٤١٩
يونيو ١٩٩٨

القـرآن والعمـران

فهرس الكتاب

الجزء الأول : خصائص العمران ١
الأمن والطعام ٣
التطور ١١
الريف والحضر ١٨
المدينة ومكوناتها ٢٣
الإنسان والبيئة ٣٢
الفرد والجماعة ٣٧
المنفعة ٤٤
الهواء ٤٨
الماء ٥١
الأرض ٥٣
النار والنور ٥٥
النبات ٥٩
الأنعـام ٦٢
الجمال ٦٥
التخصص والتنسيق ٧١
الوحدة والإختلاف ٧٨
الروح والجسـد ٨٢
الحكم المركزى والمحلـى ٨٨
السلطة والعلم ٩٤
المكـان ٩٦
الزمـان ٩٨

الجزء الثانى : التلـــوث ١٠٩
تلوث الهواء..... ١١١
الأمطار الحمضيـة..... ١١٤
تلوث الماء ١١٦
تلوث البحار ١١٨
التلوث بالمبيدات الحشرية ١٢٠
الغذاء ١٢١
الغابات ١٢٢
الضوضاء ١٢٤
الإشعاعات الذرية ١٢٦
الإشعاعات الكونية ١٣٠
التلوث الكهرومغناطيسى ١٣٣
مدن الصفيح ١٣٤
تشوه العمران ١٤١
النظافة والقمامة ١٤٣
وهو بكل خلق عليم ١٤٥

الجزء الثالث : الأمراض الإجتماعية ١٥٣
القلـــق..... ١٥٥
الجنـس..... ١٧٢
المـــال..... ١٨٢
العنـــف..... ١٩١

الجزء الأول

خصائص العمران

* الأمن والطعام
* التطور
* الريف والحضر
* المدينة ومكوناتها
* الإنسان والبيئة
* الفرد والجماعة
* المنفعة
* الهواء
* الماء
* الأرض
* النار والنور
* النبات
* الأنعام
* الجمال
* التخصص والتنسيق
* الوحدة والإختلاف
* الروح والجسد
* الحكم المركزى والمحلى
* السلطة والعلم
* المكان
* الزمـان

الجزء الأول

خصائص العمران

الأمـن والطعـام

قامت المدينة منذ فجر التاريخ على ركيزتين أساسيتين هما : الطعام والأمن. ونمت المدينة وإزدهرت عندما توفر هذان العاملان ، وإنكمشت وإنتهت إلى زوال عندما ساد الجوع وشاع الخوف ، وأكد القرآن الكريم على الأمن والطعام فى نشأة التجمعات العمرانية ، وقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن تكون مكة بلدا آمنا ، وأن يرزق أهلها من الثمرات ، كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر أهل مكة بنعمة الله عليهم بالأمن والطعام .

وتذكر قصص الأنبياء أن النبى إبراهيم عليه السلام إصطحب زوجته وإبنه إسماعيل إلى مكة ، وتركهما بجوار البيت الحرام وإستودعهما الله ، وإنحدر إبراهيم عليه السلام راجعا ، يثقله الإشفاق والخوف ، ويدفعه الإيمان والثقة بالله، ودعا الله أن يتولاهما برحمته وعنايته ويقول " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " (إبراهيم : ٣٧).

ثم أمر الله سبحانه وتعالى بعد ذلك إبراهيم ببناء الكعبة وإقامة أول بيت للناس ، فإستجاب لأمر ربه ، وخف إلى الحجاز وأخبر إبنه إسماعيل بأن الله أمره بأن يبنى هنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة عن ما حولها ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨).

ووضح الأساس ، وظهر موضع البناء ، وكان إسماعيل يأتيه بالحجارة، ويهيئ الأدوات والآلات ، وإبراهيم عليه السلام يبنى ، ، وإرتفع الجدار وقصرت يد إبراهيم على أن تنال أعلى الجدار ، فطلب من إبنه أن يأتيه بحجر يضعه تحت قدميه ، وأتى إسماعيل بحجر وصعد إبراهيم عليه ، وصار يبنى وإسماعيل يناوله ، وهكذا تم بناء البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا تشتاق إليه أرواحهم ، وتحن إليه أفئدتهم إستجابة لدعاء إبراهيم:

" ..... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " (إبراهيم : ٣٧).

وفى موضع آخر يقول الله تعالى :

" ..... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " (البقرة : ١٢٥)

" ..... وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " (الحج : ٢٦).

أى يطهر البيت من الأوثان والقاذورات.

أصحاب الفيل : كان أبرهة واليا على الحبشة ، وأراد أن يعيد للدين المسيحى مجده وشأنه ، ولما رأى الناس جميعا يقصدون مكة ويحجون إلى البيت الحرام ، وكعبتها المقدسة ، فكر أن يصرف الناس عن مكة وبيتها ، ويجذب قلوب الناس نحو بلاده ، ويستميلهم إلى دينه ، فبنى كنيسة بصنعاء (قصبة اليمن) وزينها وغنى بزخرفتها ، ولكنه رأى العرب لا تتجه إلا إلى البيت العتيق ، ومن بينهم أهل اليمن أنفسهم ، فغضب أبرهة وأقسم ليهدمن البيت الحرام ، وليزيلن بيت إبراهيم ، حتى ينصرف العرب عن كعبتهم ويولوا وجوههم نحو كنيسته .

وجهز أبرهة جيشاً تتقدمه الفيلة (شكل ١) وسار نحو مكة ليهدم البيت الحرام ، وخضعت له قبائل العرب ، ونزل فى موضع بالطائف قريب من مكة ، وبعث رجلاً من جنده فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم ومن بينها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، سيد قريش وشريف قومه ، وجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهمت قريش ومن معهم من أهل مكة لقتال أبرهة ، ولكنهم رأوا أنهم لا طاقة لهم به فإستكانوا .

وأرسل أبرهة فى طلب سيد قريش لمقابلته ، فسار إليه عبد المطلب ومعه أبناؤه وغيرهم من كبراء مكة ، وسأل أبرهة عبد المطلب عن طلبه ، فطلب إليه ما أغتصب من أبله ، وتعجب أبرهة من هذا الطلب ، وقال له : "أتكلمنى عن مائتى بعير ، وتترك بيتا هو دينك ودين أبائك ، قد جئت لأهدمه لا تكلمنى فيه ...!" فقال عبد المطلب : "إنى رب الإبل ، وإن للبيت ربّاً يحميه سيمنعه" ورد إبرهة على عبد المطلب إبله .

ونصح عبد المطلب قومه أن يخرجوا إلى شعاب الجبل إبقاءً على نفوسهم وحفظا على أرواحهم ، وكانت ليلة البلاء حيث إشتد فيها الهرج والمرج ، وتعالى الضجيج وإهتزت شعاب الجبل وضاقت بهم شوارع مكة ، تسمع رغاء الإبل وثغاء الغنم وعويل النساء وبكاء الأطفال .....

وخلت مكة ، وآن لأبرهة أن يوجه جيشه ليهدم البيت ، فتهيأ وجهز فيله وعبأ جيشه ، ولكن الله أرسل عليهم أسرابا من الطير ، تحمل فى مناقيرها حجارة رمتهم بها ، فهشمت رؤوسهم ومزقت لحومهم وجعلتهم جثثا هامدة وأشلاء ممزقة ، وأصاب أبرهة شيئا مما أصاب جنده ، فأخذه الروع فأمر من بقى من جنده بالعودة إلى اليمن بعد أن فنى معظم جنده ، وبلغ صنعاء وقد وهنت قوته ثم مات .

وبذلك حفظ الله لقريش بيتها ، وأبقى لها زعامتها ، وزاد هذا الحادث

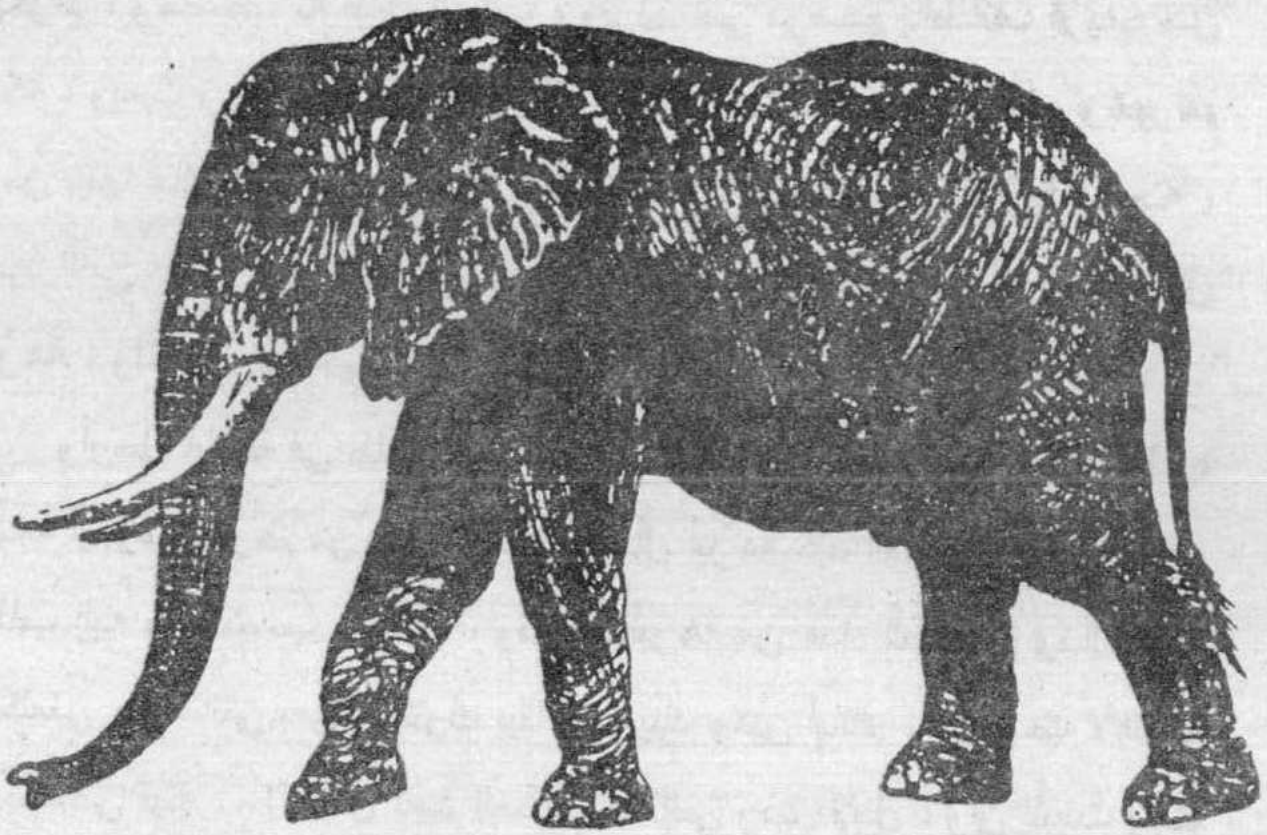

أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ

شـــكل (١)

العجيب من مكانة مكة ، وأرخ العرب بعامه وسمى بعام الفيل وكان عام ٧٥٠ م وصار ذكرى لهم كما أنه هو العام الذى ولد فيه رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا يقول الله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " (سورة الفيل).

وفى السورة التى بعدها والمعطوفة عليها يقول الله تعالى :

" لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " (سورة قريش).

وفيها يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش أن يذكروا نعمته عليهم ويألفوا على التوحيد كإيلافهم على رحلة الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام .

* * *

وإذا إنتقلنا إلى حياة المدينة نجد أن الحضارة منذ فجر التاريخ قامت – كما ذكر سابقا – على هاتين الركيزتين : الأمن والطعام ، تنمو المدينة وتزدهر عندما يتوفر هذين العاملين ، والمدينة منذ فجر التاريخ كانت لها نواة مركزية تتكون من قلعة ومعبد وقصر الحاكم ومخازن الغلال ، وكانت حياة سكانها تعتمد أساسا على منتجات المناطق المجاورة ، وإرتبطت المدينة منذ بدايتها بزيادة الإنتاج الزراعى، فالحياة الناجحة فى المدن تتصل إتصالا وثيقا بتقدم الزراعة فى الريف.

وإحتوت المدينة ثروة كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات المكدسة فى قصور الحاكم والمعابد ، كما إحتوت المخازن العامرة بالغلال والسلع ، وأصبحت هذه الثروة سببا فى الحروب ، وفى الوقت نفسه كانت المدينة ذاتها

مركزا للاعتداءات المنظمة ، وفى خلال الشطر الأكبر من التاريخ كانت أعمال الإسترقاق والسخرة والتدمير تصاحب نمو المدينة ، وكانت سلطات الحاكم تقاس ليس بقدرته على الإنشاء والتعمير ، بل - أهم من ذلك - بقدرته على السلب والنهب والتدمير والإبادة ، يقول أفلاطون : إن كل مدينة فى حالة حرب طبيعية مع كل مدينة أخرى .

والمدينة منذ نشأتها كانت تتوقع الإعتداء من الخارج بقدر إشتداد الصراع الداخلى ، وكثيرا ما قامت حروب عديدة فى ساحة السوق ودور القضاء لاسيما فى مباريات كرة القدم أو فى ساحات المصارعة.

ونشأ السور الذى كان يحيط بالمدينة مع بداية نشأتها ، وكان هذا السور ظاهرة مشتركة بين الغالبية العظمى لمدن العالم ، ويستثنى من ذلك مصر واليابان وبريطانيا ، حيث كانت الحواجز الطبيعية كالصحراء والبحار تكفل للمدن والقرى قدرا كافيا من الحماية فى عصور معينة ، وكان السور يؤدى وظيفتين هما : تدبير حربى ويتمثل فى تدبير وسائل الدفاع عن المدينة ضد أخطار الغزاة والمغيرين ، هذا إلى جانب إستخدامه كوسيلة فعالة لسيطرة الحاكم على سكان المدينة .

وكان إنسان المدنية يستطيع أن ينام مطمئن البال حتى فى أشد الأوقات عندما يحاصر الغزاة المدينة ويقفون خارج أسوارها ، وكان ذلك الإطمئنان يكتمل تماما إذا توافرت بالداخل كميات كبيرة من الماء والحبوب المخزنة فى الصوامع ، وفى حالة حصار المدينة لفترات طويلة ، كان السكان يزرعون المساحات الفضاء الموجودة داخل الأسوار ، حدث ذلك فى كثير من المدن مثل بابل وإسطنبول عندما حاصرها العثمانيون.

كان السور يتكون من أبراج ومزاغل وتحصينات وحوائط سميكة متينة، وعندما تنمو المدينة ويزداد عدد سكانها ، كان الأهالى يبنون مساكنهم خارج

الأسوار ، وعندما تكبر هذه التجمعات يقوم أهل المدينة بهدم السور وإزالته ، ثم يبنى سور آخر جديد يضم الإمتدادات العمرانية الجديدة ، أما مكان السور القديم فيحل محله شارع عريض - بوليفار - على شكل حلقة ، وهكذا كلما نمت المدينة وإمتد عمرانها خارج أسوارها ، يزال السور ويبنى سور آخر يضم العمران الجديد ، والشوارع الواسعة الحلقية (الدائرية) التى تشاهد فى مدن العصور الوسطى هى أكبر شاهد على ذلك ، حدث هذا فى أثينا وروما وفينا وباريس وغيرهم من المدن الأخرى ، حتى إخترع البارود قبل الثورة الصناعية، والذى قضى على فكرة تحصين المدينة بالسور ، وإستبدل بإستراتيجية دفاعية جديدة (شكل ٢).

ومع مضى الوقت ظهرت الدولة الحديثة بمقوماتها ، والتى أصبح من أولى مسئولياتها الحماية الخارجية والأمن الداخلى وتحقيق الرفاهية للسكان.

وفى القرآن الكريم توجد قصة ذى القرنين مع القوم الذين لا يفقهون قولا، والذين طلبوا منه أن يبنى لهم سدا يحميهم من يأجوج ومأجوج ، فبنى لهم سورا من ردم .

يقول الله تعالى :

" قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " (الكهف : ٩٤ - ٩٧).

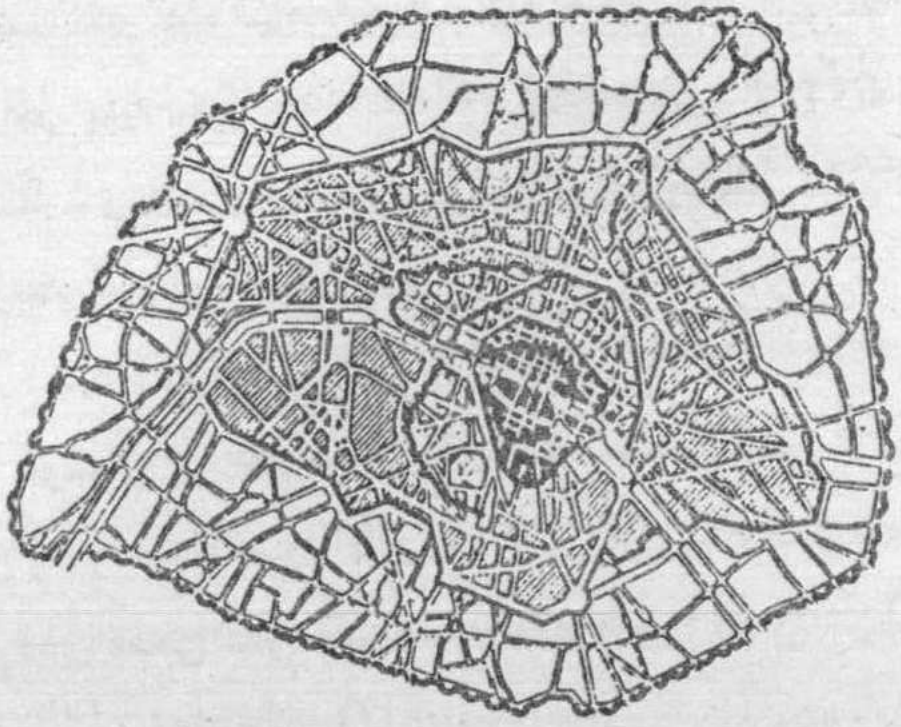

باريس

باريس : بنى الرومان أول سور حولها ثم بنيت بعد ذلك عدة أسوار على مر التاريخ ، وكان هذا مألوفا فى باريس حتى القرن السادس عشر ، كلما نمت المدينة وامتدت خارج أسوارها ، يهدم السور ويبنى سور جديد يضم مناطق الامتداد العمرانية ويحل محل السور القديم شارع عريض (بوليفار) .

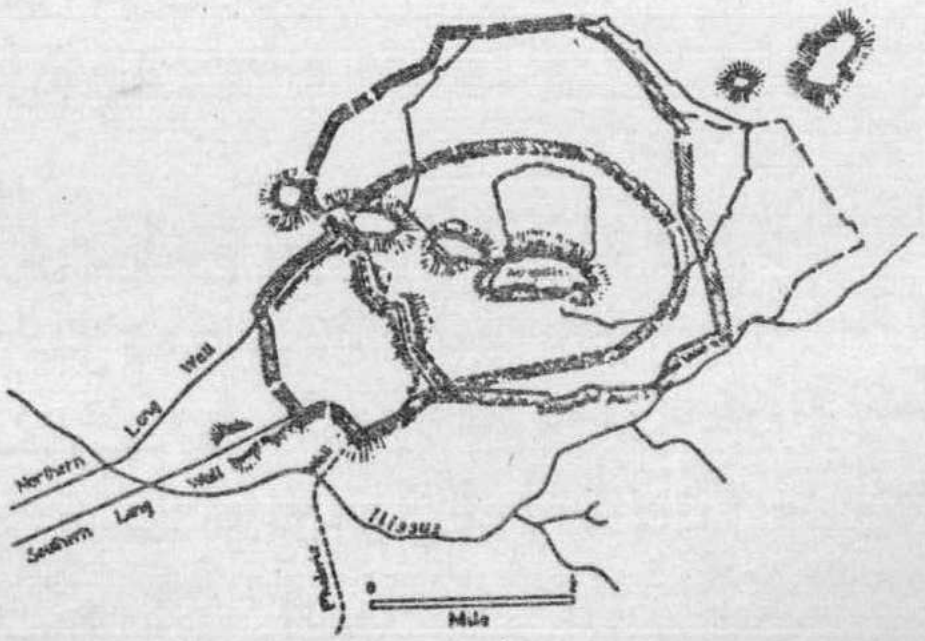

أثينا

أثينا : يتوسطها هضبة الاكروبول المقام عليها عدد من المعابد أهمها البارثنون ، يحيط بها عدة أسوار بنيت على مر العصور ، تعرضت للغزو باستمرار من الفرس ومن اسبرطة .

الاسوار حول المدن

شكل (٢)

التطور

نشأة الحياة على الأرض : مرت نشأة الحياة على الأرض بمراحل متعددة ولازالت مستمرة فى تطورها ، فلم يكن ظهور الكائنات الحية على هذا الكوكب من سواد حية فجائيا ، بل سبقه أحداث كثيرة مهدت له السبيل ، وتطورت هذه الأحداث فى مراحل طويلة يمكن إجمالها فى ثلاث مراحل رئيسية :-

- بدأت المرحلة الأولى فى شكل تطور غير بيولوجى (حيوى) حيث لم يكن هناك حياة على الأرض مطلقا ، كانت الأرض ذات قشرة صلبة من صخور من المعادن ، يحيط بها غشاء من الماء ويحيط بالماء غشاء من الغازات ، وقد حدثت فى هذه المرحلة تفاعلات كيماوية ، وقد إستمدت هذه التفاعلات الطاقة اللازمة لها من مصادر كثيرة كالأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية، ونتج عن هذه التفاعلات تطورات كثيرة .
- تلت هذه المرحلة مرحلة تطور بيولوجى (حيوى) بدائى ، بدأت بظهور أو تجمع (إرهاصات الخلية) ذو حيز خاص ، يفصله ويحده عما يحيط به غطاء، ويحدث داخل هذا الحيز تغيرات فيزيائية وكيماوية منظمة ومتناسقة متتابعة ، وهو ما يعرف بالتحول الغذائى.
- ثم تطورت هذه التجمعات الحية تطورا بيولوجيا (حيويا) بطيئا ، إنتهت بظهور خلية أولى ذات تنظيم داخلى ، على غرار ما يعرف الآن بالكائنات الأولى ، وتقدر مدة هاتين المرحلتين (غير البيولوجية والبيولوجية القديمة) بنحو ٢ - ٣ ألف مليون نسمة .
- ثم جاءت بعد هاتين المرحلتين مرحلة تطور بيولوجى (حيوى) حديث إمتدت نحو ألف مليون سنة ، ولازالت ممتدة حتى اليوم ، وتوجد داخل

هذه المرحلة مرحلتين (حقبتين) حتى وقتنا هذا ، فضلا عن حقبة ثالثة نحن على أبوابها وهذه الحقب هى :

١- حقبة ظهور الكائنات الحية .

٢- حقبة التمثيل الضوئى حيث تطورت مركبات الخلية الحية ، وإستطاعت هذه المركبات أن تمتص الطاقة التى تحملها أشعة الشمس كمصدر للطاقة وأن تستفيد من غاز ثانى أكسيد الكربون كمصدر جديد للكربون ، ومن الماء فى بناء مركبات عضوية جديدة ، ويطلق على هذه العملية التمثيل الضوئى وإستقر التعاون بين نوعين من الخلايا :

- نباتية تبنى جسمها من غازات ثانى أكسيد الكربون والماء والطاقة الشمسية ونترات ذائبة تمتصها من البيئة .
- خلايا حيوانية تبنى جسمها من خلايا عضوية مجهزة تكونها الخلايا النباتية وتبعث فى الجو ثانى أكسيد الكربون .

وتطورت الكائنات الحية الأولى إلى أنواع كثيرة من الحيوان والنبات ، إنقرض بعضها وبقى البعض الآخر الذى يعمر الأرض الآن ، وكان التطوير يتمثل فى كبر الحجم ، وتعقد فى التركيب والوظائف ، وتنوع النشاط الغذائى، وأصبح يوجد عالمين من الأحياء : عالم النبات ، وعالم الحيوان ، بينهما توافق دقيق .

٣- حقبة المستقبل (التمثيل الكربونى النووى) : تدل الدلائل على أننا على أبواب حقبة جديدة أخرى فى حياة كوكبنا ، وهى حقبة إستخدام الطاقة النووية فى تكوين المركبات العضوية من ثانى أكسيد الكربون والماء مباشرة فى أى زمان وأى مكان بدون الحاجة إلى النباتات الخضراء أو إلى أشعة الشمس أو إلى زرع أو تربة . حقبة ستكون بدورها ذاخرة بتكوين مواد عضوية وفيرة ذات كفاءة ومقدرة أعلى من السابقة ، وهى

حقبة وإن كانت لا تزال فى طور الأحلام والآمال ، إلا أنها ولا شك ستحدث فى مستقبل البشرية تطورا عظيم الأثر ، عملية مرحلية مستمرة.

حياة الإنسان على الأرض

تقدمت حياة الإنسان على كوكب الأرض بإستمرار ، وتطورت مع الزمان من حياة الكهف إلى حياة المدن الكبرى ، ولقد أخذ هذا التطور آلاف السنين ، فكما يقول علماء الطبيعة كان الثلج يغطى سطح الأرض ، ولما بدأ الذوبان ظهر الحيوان والإنسان الذى عاش فى الكهف ، وإستعمل النار فى تدفئته وحمايته من الحيوانات البرية المفترسة كما إعتمد على النبات والحيوان فى طعامه .

ولما زادت الأرض دفئا ظهرت نباتات جديدة فى الأجواء الدافئة كالحبوب والأعناب والبقل ، وتجمع الناس حيث وجدت هذه النباتات أو الأماكن التى يسهل فيها صيد الأسماك ، وعمل كل مجتمع بالطريقة التى تناسب البيئة التى يعيش فيها ، يتكيف ويتأقلم مع بيئته ، فظهرت مجتمعات على الهضاب وأخرى على شواطئ الأنهار والبحيرات والبحار .

ونبت الشعير والقمح بريا وعرف الإنسان أن هذه الحبوب مفيدة كطعام يعيش عليه ، فإستعملوها وأقاموا بجوارها حتى وقت حصادها ، وبمرور الزمن بدأ الناس يتعلمون كيف يزرعون هذه النباتات البرية ، وكانت هذه هى الخطوة الأولى فى تعلم الزراعة ، وإستوطنوا بجوار هذه المزارع ، يبذرون الحب ثم يجمعون المحصول فى نهاية الربيع ، وفى الوقت نفسه بدأ الإنسان يستأنس بعض الحيوانات بدلا من صيدها مثل الماعز والأغنام والخنازير والماشية ، وبدأت تظهر تجمعات سكنية عبارة عن قرى وسط المزارع (شكل ٣).

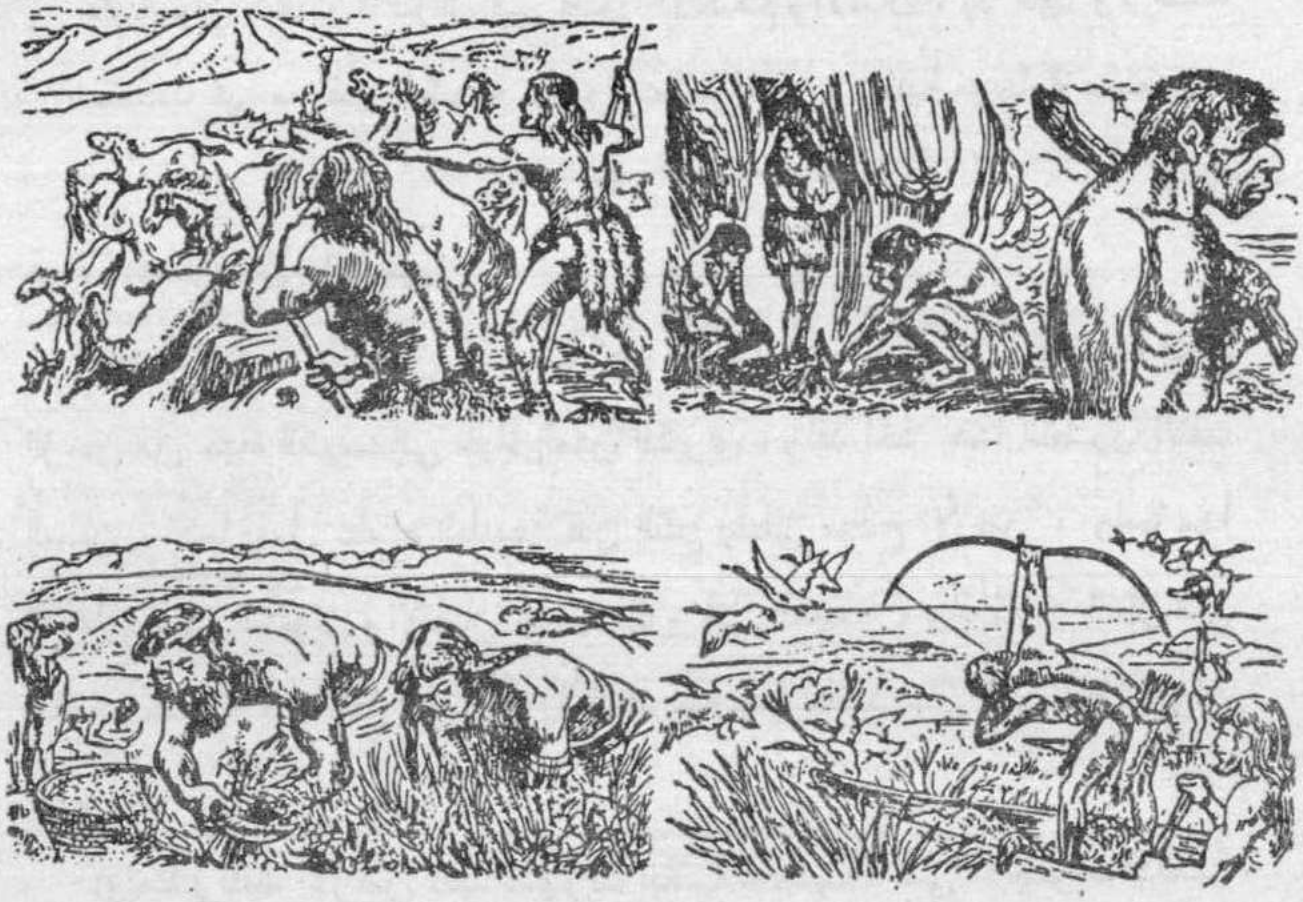

تطور الحياه : من ساكن الكهف الى ساكن المدن الكبرى

شكل (٣)

ثم أخذ يهذب مجارى المياه ، فبنى الجسور والسدود ليخزن الماء بدلا من ذهابه إلى البحر سدى ، وإستعمل عقله فى رفع الماء بالشادوف لرى الأرض المرتفعة ، وأخذ يفكر فى إستعمال الحيوان لحرث الأرض المطلوب زراعتها ، وإتسعت رقعة الأرض المنزرعة ، وزاد المحصول ، وأصبح لدى المزارع فائضا من الغذاء والكساء ، وكبرت التجمعات ، فنشأت الأسواق التى يتبادل فيها السكان ما يفيض عن حاجتهم ، ويتوسط السوق مجموعة من القرى ، ثم تحول السوق فيما بعد إلى مدينة زراعية ومركزا لإدارة هذه القرى . فالفلاح يزرع ويحصد ، وما زاد عن حاجته من الغذاء والكساء يستبدله بسلعة من المدينة ، التى تقوم بصناعة ما يحتاجه من منسوجات وأثاث وآلات زراعية وأوانى فخارية .

وظهرت المعابد فى هذه المدن وأصبح المعبد هو المركز الرئيسى فيها، وتجمعت حوله المبانى العامة ومقر الحاكم ودار القضاء والمحلات العامة والسوق، وغيرها من المبانى الأخرى .

ثم ظهرت المدن الدولة City State أى أن حاكم المدينة لا يوجد فوقه حاكم آخر ، وإمتد نفوذ هؤلاء الحكام إلى المدن المجاورة وسيطروا عليها فظهرت الدولة ، وإخترعت الكتابة ، وبنيت المدارس لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب فإزدهرت الكتابة وظهرت المقاييس والموازين ، وبنى الحكام معابد أكبر وأكبر ، وتبادل التجار التجارة مع المدن الأخرى وإستعملت وسائل النقل المائى فى المجارى المائية والعجلات لجر العربات ، وصنعت الحلى والجواهر والملابس الأنيقة والمبانى الجميلة والأدوات المعدنية ، وأصبحت المدينة ثروة يخشى عليها من إعتداءات المجرمين واللصوص وقطاع الطرق فبنيت حولها الأسوار لحمايتها .

وبنيت الأسوار والقلاع حول المدن للدفاع عنها ، وبنيت الأديرة

والكنائس والمساجد والمبانى العامة وتطور العمران ، وشقت الشوارع الواسعة والميادين الكثيرة ، وظهرت الحضارات ، وإمتدت المدينة رأسيا فى شكل ناطحات سحاب، وأفقيا فى شكل ضواحى حول المدينة ، وبنيت مراكز الحضر فى وسط المدن والمراكز التجارية الجميلة فى قلب وخارج المدينة ، وأصبحت المدينة تزخر بكل أنواع الرموز المعمارية الجميلة من متاحف ومعارض ومبانى عامة وقصور وأسواق وتماثيل ومكتبات .... إلخ .

وهكذا تطورت حياة الإنسان وتأقلمت على هذا الكوكب من حياة الكهف البدائى إلى حياة المدينة العظمى ....

وإذا إنتقلنا إلى كتاب الله تعالى وتدبرنا الآيات الخاصة بالكون وما فيه نجد أن الله سبحانه وتعالى أخذ بأسلوب المرحلية المتطورة فى الخلق والإبداع مع أنه كان قادرا على أن يخلق هذا الكون دفعة واحدة دون تطور فيقول تعالى :

" إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (يس : ٨٢) .

ولكن آثر أن يبين لنا أن هذا الخلق كان على أساس التطور فيقول :

" وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " (نوح : ١٤) .

فبالنسبة لخلق السموات والأرض فقد خلقها فى ستة أيام فيقول :

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ..... " (السجدة : ٤)

" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ..... " (فصلت : ٩ – ١٢) .

والأيام الواردة فى هذه الآيات ليست كأيام الدنيا ولكنها مراحل لا يعلم مداها إلا الله فيقول تعالى :

" ..... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ " (الحج : ٤٧)

" ..... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " (المعارج : ٤) .

ويفسر بعض العلماء الآيات الخاصة بخلق السماوات والأرض بأن الله خلق الكون فى ست مراحل ، وتتضمن كل مرحلة أحقابا برمتها ، عبر عنها القرآن الكريم بالأيام الستة .

وبالنسبة لخلق الإنسان فقد خلقة الله تعالى على مراحل ، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أكوار رئيسية :

- مرحلة الخلق الأول من العدم ، فيقول الله تعالى :

" أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا " (مريم : ٦٧) .

- طور الخلق فى رحم الأم .

- طور الخلق فى هذه الحياة الدنيا .

وفى داخل كل طور رئيسى توجد مراحل فرعية :

فبالنسبة للطور الأول ، فقد بدأ بالتراب ثم تحول التراب إلى طين ثم طين لازب (متعفن) ثم إلى صلصال كالفخار ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ..... " (فاطر : ١١)

" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ..... " (آل عمران : ٥٩)

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ " (المؤمنون : ١٢)

" ..... إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ " (الصافات : ١١)

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " (الحجر : ٢٦)

" خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ " (الرحمن : ١٤) .

أما طور الخلق فى رحم الأم فقد مر بمراحل بينها الله تعالى فى قوله :

" ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " (المؤمنون : ١٣ ، ١٤)

" ..... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ..... " (الزمر : ٦)

أما طور الخلق فى هذه الحياة الدنيا فيمكن إجماله فى أربع مراحل أساسية هى: الطفولة - الشباب - الكهولة - الشيخوخة ، فيقول الله تعالى :

" ..... ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ..... " (غافر:٦٧)

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً .... " (الروم : ٥٤) .

وبالنسبة للنبات فيتم نموه على مراحل : جذع وساق وفرع وأوراق وثمار ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" ..... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ..... " (الفتح : ٢٩)

عملية مرحلية متطورة مستمرة فى كل شئون الحياة .

الريف والحضر

الحضارة والبداوة

المجتمعات العمرانية صنفان (نوعان) (زوجان) ريف وحضر - قرى ومدن ، وقبل هذا كانت هناك ثنائية أخرى هى : البداوة والحضارة أو بدو

وحضر .

فى البداية ومنذ فجر التاريخ وقبل وجود المدينة وجد الكفر والهيكل والقرية، وقبل القرية كانت الخيمة والكهف والمغارة ، وقبل كل ذلك كان الميل إلى الحياة الإجتماعية ، كان الصيد وجمع الطعام وإلى أن تعلم الإنسان كيف يستخدم الدخان والملح فى حفظ اللحوم لم يكن هناك مندوحة من أن يوفر قوته يوما بيوم ، وأن يلتزم جانب الحياة فى جماعات صغيرة مستقلة متنقلة ، لا يعوقها أمتعة ثقيلة ولا يقيدها مسكن ثابت – حياة بدو.

ثم ظهرت القرى الصغيرة ، وظهرت كذلك أولى الحيوانات المنزلية ، تلك الحيوانات الحارسة والمستأنسة لدى أهل البيت كالقطط والخنازير والدجاج والبط والأوز والكلاب ، بإعتبارها أقدم الحيوانات التى إتخذها الإنسان رفيقا .

ثم تبع ذلك مرحلة إستقرار وإستئناس ، صحب ذلك الإنتظام فى جمع وزراعة البذور المنتقاة من أنواع معينة من النباتات ، وإستخدم الحيوانات التى تنتظم فى قطعان ، كالثيران والأغنام والحمير والإبل .

والقرى مهما كانت أغراضها لم تكن سوى مأوً مشتركا للعناية بالأطفال وتغذيتهم ، وفيها أطالت المرأة مرحلة العناية بالأطفال ، واللهو الخالى من المسئولية ، وكانت الحياة المستقرة ، تمتاز على مختلف أشكال الحياة فى جماعات صغيرة متنقلة متفككة الروابط ، بأنها كانت تهيئ أقصى الوسائل الملائمة للتكاثر والتغذية والوقائة .

ونشأت القرى فى أحواض الأنهار كنهر النيل ونهرى دجلة والفرات وسط الحقول والبساتين ، وكونت نوعا من مراكز الإستقرار بوصفها مجتمعا

مستديما ، يتكون من الأسر والجيران والطيور والحيوانات ومن البيوت وحفر التخزين ومخازن الغلال ، وكان مدار الحياة اليومية الأكل والإتصالات الجنسية .

وصاحب ظهور القرية تطور جديد فى أساليب الصناعة ، كأسلحة الرجل وآلات الصيد ، وقطع الأحجار كالرمح والقوس والمطرقة والفأس والسكين .

وبمرور الزمن ظهرت المدينة فى الوجود ، وعندما بزغ فجر التاريخ حوالى ٣٠٠٠ ق.م كان نمو المدينة قد إكتمل بأحجام صغيرة ، وإلى جانب الصياد والفلاح والراعى دخلت المدينة نماذج أخرى كقاطع أحجار وقاطع الخشب وملاح القارب وملاح السفينة والجندى والمصرفى والمهندس والتاجر ورجل الدين ، ومن كل هذه العناصر المعقدة أصبحت المدينة وحدة أرقى وأرفع من وحدة القرية ، وقد حقق هذا الخليط الحضرى الجديد زيادة هائلة فى قدرات الإنسان فى مختلف النواحى ، ذلك أن المدينة أنتجت فيضا من المخترعات والإبتكارات ، كما شجعت على زيادة الإنتاج الزراعى .

وإستغرقت مراحل تكوين المدينة آلاف السنين فإن زراعة الحبوب وصنع المحراث وعجلة صانع الفخار والسفينة الشراعية والنسيج اليدوى وتعدين النحاس والرياضات البحتة والمشاهدات الفلكية الدقيقة وتقويم السنة والكتابة وغيرها من وسائل التعبير التى يمكن فهمها وتدوينها إلى الأبد كل ذلك ظهر فى الوقت نفسه أى حوالى ٣٠٠٠ ق.م .

وسارت الحضارات منذ ذلك التاريخ على أساس ثنائية القرية والمدينة ، تقوم القرية بالزراعة لسد حاجة سكانها من الغذاء والكساء وما زاد عن حاجتها تستبدله بسلع من المدينة ، كان هناك تكامل بين القرية والمدينة وإن

كانت كفة القرية أرجح فى إمدادها المدينة بخيراتها - فأصبحت القرية دائنة والأخرى مدينة.

وبجانب هذا كانت هناك على مر التاريخ الحضر والبدو - الحضرى والبادى أو البدوى - الحضارة والبداوة ، وكانت تطلق كلمة الحاضر على المقيم فى المدن والقرى ، كما تطلق على المساكن والأبنية والضياع الموجودة فى القرى والمدن، ومعنى البدوى المقيم بالبادية ، ويقال فلان من البادية أو من أهل البادية أو من أهل الحضر .

والحاضرة هى المدن والقرى والريف ، والريف فى معناه اللغوى ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها ، حيث تكون الخضرة والمياه ، والزرع والخصب ، وفى المثل يقول كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا

ويقول أحمد شوقى :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

والحضر فيه إستقرار وعمران ، ويصحب الإستقرار والعمران : وضع النظم .... والإحتكاك والتجربة الطويلة التى تولد الثقافات والرقى فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، والعلم والتعلم ، والرقة وعدم الخشونة ، لهذا كان لفظ الحضارة يدل على التقدم ، وهذا هو المعروف فى اللغة العربية .

أما المدينة فإنها إصطلاح يؤدى ما يؤديه لفظ الحضارة ، إذ أن لفظ الحضارة يؤدى أكثر مما يؤديه مصطلح المدينة الآن ، فالعهود الحديثة فرقت بين المدينة والقرية فالمدينة البلد الكبير فى حجمه وعدد سكانه ، والتى فيها الرقى والتثقيف ، والتى تكون مقرا للولاة والحكام . أما القرية فلا تصل إلى هذا المستوى الراقى الذى تتجه إليه أذهاننا ، ومازل وصف قروى أو ريفى

يدل على بعض الخشونة وبعض التأخر بالنسبة لوصف (مدنى) المنسوب إلى المدينة .

وقد ورد فى القرآن ذكر القرية والمدينة والبلد منها :

القرية - يقول الله تعالى :

" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا " (البقرة : ٢٥٩)

" ..... وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " (الأنعام : ٩٢)

" ..... لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا " (الأعراف : ٨٨)

" تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا " (الأعراف : ١٠١)

" وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ " (الأعراف : ١٦٣)

" وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " (هود : ١١٧)

" فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا .... " (الكهف : ٧٧)

" لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ .... " (الحشر : ١٤)

المدينة - يقول الله تعالى :

" قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ " (الأعراف : ١١١)

" ... إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ... " (الأعراف : ١٢٣)

" ..... فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا .... " (الكهف : ١٩)

" وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ..... " (يس : ٢٠)

" وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ..... " (الكهف : ٨٢)

" وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ..... " (النمل ٤٨)

" وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا .... " (القصص : ١٥)

" فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ..... " (القصص : ١٨)

البلد – قول الله تعالى :

" لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ " (آل عمران : ١٩٦)

" وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا ..... " (الأعراف : ٥٨)

" .... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا .... " (إبراهيم : ٣٥)

" لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ..... " (الفرقان : ٤٩)

" الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ " (الفجر : ٨)

" ..... بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ " (سبأ : ١٥)

" لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ " (البلد : ١)

المدينة ومكوناتها

تنقسم المدينة إلى ثلاثة أنواع من ناحية إستعمالات الأرض هى السكن والعمل والترفيه .

ويوجد تقسيم آخر تقليدى هو تقسيم الإستعمالات إلى إستعمالات سكنية ، تجارية وخدمات ، وصناعية .

الإستعمالات السكنية

المسكن هو العامل المسيطر فى المدينة ، هو نسيج المدينة ، وبينه وبين بناء المدينة شبه قريب جدا ، أما مبانى المشروعات الصناعية والتجارية فتشكل هيكل المدينة ، ولكن المدينة قبل كل شيئ مجتمع المساكن، ويوفر التخطيط العمرانى السليم للمواقع السكنية المتطلبات الآتية :

- إضاءة وتهوية كافيتان داخل المبنى السكنى مع نفاذ أشعة الشمس إليه .
- الحماية من الضوضاء أى توفير الهدوء اللازم .
- مساحات لإحتياجات الأسرة المختلفة ، كالنوم والمعيشة ....
- أمان ضد الحوادث والحريق .
- الخصوصية والستر للسكان .

والفيلا هى المبنى السكنى المنفصل المخصص لأسرة واحدة ، أى تحيط به أرض مخصصة لأغراض الخدمة السكنية المنزلية المساعدة ، وتشمل هذه الأرض الفناء الأمامى والفناء الخلفى والممرات الجانبية وأماكن إنتظار السيارات والحديقة الخاصة والمبانى الملحقة كالجراجات الخاصة .

أما العمارات فهى مبانٍ سكنية متعددة الطوابق ، يتكون الطابق من عدد من الوحدات السكنية ، والعمارات إما عالية أو متوسطة الإرتفاع .

وفى الإحصاء الأخير لمصر قسمت مساكن المدينة إلى أنواع هى : بين - منزل - فيلا - وحدة سكينة فى عمارة ، وإسكان جوازى يتكون من : إسكان إيواء - إسكان الدكاكين - إسكان قبوات السلالم - المخابئ - القوارب - العشش - إسكان المقابر .

وفى القرآن الكريم تتعدد مسميات المسكن منها :

- البيت :

" .... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ

وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .... " (النساء : ١٠٠)

" ..... أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ..... " (يونس : ٨٧)

" .... وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ .... " (يونس : ٨٧)

" وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ ..... "(يوسف: ٢٣)

" وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ " (الحجر : ٨٢)

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا .... " (النحل : ٨٠)

" ..... لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ..... " (النور : ٢٧)

" ..... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ..... " (النور : ٦١)

" وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ " (الشعراء : ١٤٩)

- السكن

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ .... " (إبراهيم : ٣٧)

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ..... " (النحل : ٨٠)

" وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ..... " (إبراهيم : ١٤)

" ..... يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ..... " (طه : ١٢٨)

- الدار

" ..... وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ..... " (البقرة : ٨٤)

" ..... وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ..... " (البقرة : ٨٥)

" ..... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ..... " (آل عمران : ١٩٥)

".... فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ" (هود: ٦٥)

".... تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ .... " (الرعد: ٣١)

" ..... فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ ..... " (الإسراء : ٥)

- منزل

" وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ " (المؤمنون : ٢٩)

" .... تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا .... " (الأعراف : ٧٤)

- بروج

" أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...." (النساء: ٧٨)

- حجرات

" إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ " (الحجرات: ٤)

- غرف

" أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ..... " (الفرقان : ٧٥)

" ..... وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ " (سبأ : ٣٧)

"لَكِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ ....." (الزمر: ٢٠)

- ملجأ (مغارات)

" لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ " (التوبة : ٥٧)

- غار

".. إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ..." (التوبة:٤٠)

- جب

" فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ..... " (يوسف : ١٥)

الإستعمالات التجارية

تتكون الإستعمالات التجارية من وسط المدينة والمراكز التجارية الموجودة فى الأحياء والمجاورات السكنية ، نشأ وسط المدينة مركز تجارى لتجارة الجملة والتجزئة ، يخدم المدينة وغالبا ما يخدم أيضا الضواحى الواقعة داخل منطقة تأثير المدينة أو الإقليم ، وهذا المركز لم يخطط أصلا بل زحفت الأنشطة التجارية أفقيا إلى الخارج على إمتداد شبكة شوارع معقدة ، كما إمتدت رأسيا فى شكل مبان متعددة الطوابق ، يخدم أغراضا حيوية معقدة ، وفى بعض الدول هربت كثير من الأنشطة والأعمال من وسط المدينة - من التخلف والتدنى والتدهور - إلى الضواحى .

أما المراكز التجارية على مستوى المجاورات السكنية ، فتوفر السلع التى تحتاجها الأسرة يوميا ، يضم مثل هذا المركز قائمة من السلع مثل : مجموعة الأكل (بقالة - جزارة - خضر - حلوى - مطاعم) ومجموعة الخدمات (حلاق - مخبز - مكوجى - كهربائى - تصليح أحذية ...) ومجموعة الترفيه والصيدلية والخردوات .

يقول الله تعالى :

"وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ..." (الفرقان:٧)

" وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ....." (الفرقان : ٢٠)

الخدمات

وتشمل الخدمات الترفيهية والتعليمية والثقافية والصحية والإجتماعية والدينية وخدمات الأمن والعدالة والخدمات الإدارية .

وبالنسبة للخدمات الترفيهية فلقد إزداد الإهتمام بها ، والحفاظ على البيئة

الطبيعية ، والمناظر الجميلة ، وتحسين نوع البيئة التى يعيش فيها الناس ، وحمايتها من التلوث ، ويزداد عدد السكان بسرعة وفى الوقت نفسه تزداد إحتياجاتهم بمعدلات كبيرة نتيجة زيادة وقت الفراغ ونقص وقت العمل ، يقول الله تعالى على لسان أولاد يعقوب :

" أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (يوسف : ١٢)

" قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ..... " (يوسف : ١٧)

ويقول تعالى :

" إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا ..... " (الكهف : ١٨)

" ..... جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا " (الكهف : ٣٢)

" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ..... " (الأنعام : ١٤١)

ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"

وبالنسبة للخدمات التعليمية فتشمل دور الحضانة ورياض الأطفال والتعليم الإبتدائى والإعدادى والثانوى والتعليم الفنى والتعليم العالى والجامعات ومراكز التدريب وتعليم الكبار .

يقول الله تعالى :

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ..... " (العلق : ١ - ٥)

وتشمل الخدمات الصحية الموجودة فى المدينة دور الإسعاف ومراكز الأمومة والطفولة والعيادات الخارجية والوحدات الصحية والمستشفيات

المحلية والمركزية والعامة والتخصصية والصيدليات والمعامل .

يقول الله تعالى :

" وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ " (الشعراء : ٨٠)

وتشمل الخدمات الثقافية المكتبات العامة ودور الثقافة والمسرح والسنما والمتاحف والمعارض .

يقول الله تعالى :

" .... وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا .... " (القصص : ٧٧)

المساجد

وهى عبارة عن مبان دينية لإقامة شعائر الدين الخاصة بالمسلمين ، وتعتبر هذه المساجد إحد العلامات المميزة للمجاورة السكنية والحى السكنى والمدينة ككل ، ويقسم المسلمون المساجد إلى مستويات هى : مصلى - مسجد صغير - مسجد كبير - مسجد جامع ومصلى العيد كما فى دول الخليج العربى .

تقام المصلى على مستوى عدد من المساكن ، والمسجد الصغير على مستوى المجاورة السكنية ، والمسجد الكبير على مستوى الحى السكنى (مجموعة مجاورات) أما المسجد الجامع فعلى مستوى المدينة كلها.

يقول الله تعالى :

" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ..... " (البقرة : ١١٤)

" ..... وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .... " (الأعراف : ٢٩)

" يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ..... " (الأعراف : ٣١)

" مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ... " (التوبة : ١٧)

" ... لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ... " (التوبة : ١٠٨)

" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ... " (الإسراء : ١)

" .... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا " (الكهف : ٢١)

" .... وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا .... " (الحج : ٤٠)

وخدمات الأمن والعدالة عبارة عن نقط شرطة وأقسام وسجون ومحاكم بمختلف أنواعها ومستوياتها .

يقول الله تعالى :

" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .... " (يوسف : ٣٣)

" .... وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ .... " (يوسف : ٣٦)

" ..... فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ " (يوسف : ٤٢)

" .... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .... " (النساء : ٥٨)

وبالنسبة لبيت المال يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :

" قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " (يوسف : ٥٥)

الإستعمالات الصناعية

يمكن تقسيم الصناعات عدة تقسيمات :

- صناعات ثقيلة - متوسطة - خفيفة .
- صناعات إستخراجية - تحويلية - تجميعية - توزيعية .
- صناعات معدنية - بترولية - كيماوية - غذائية - غزل .

- صناعات كبرى - متوسطة - صغرى .

والصناعات الثقيلة غالبا ما تكون صناعات مقلقة للراحة وخطرة على الصحة ولها تأثيرات عكسية على إستخدامات الأرض المجاورة ، ولهذا تخطط مواقعها بعيدا عن المساكن ، ومن أمثلة هذه الصناعات صناعات الحديد والصلب والأسمنت والأسمدة الكيماوية وتكرير البترول ، وتخطط حواجز من النباتات والأشجار كفاصل بين هذه الصناعات وغيرها من الإستعمالات المجاورة ، لتقليل مضايقة الصناعات عن الجيران ، علاوة على إختيار مواقعها أسفل مهب الرياح.

أما الصناعات المتوسطة والخفيفة ، فتخطط قريبا من سكن العمال طالما لا تصدر منها أى ملوثات أو تكون مقلقة للراحة أو خطرة على الصحة .

يقول الله تعالى :

" أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ " (الشعراء : ١٢٨ ، ١٢٩)

المقابر

يعتبر مكان دفن جثة الميت خدمة هامة ، يجب توفيرها فى أى مدينة أو قرية أو أى تجمع سكنى ويجب النظر إليها على أنها مسئولية البلدية ، وتتولى البلدية إنشاء الجبانات وصيانتها والإشراف على حراستها ونظافتها ، وتوفير الجهاز اللازم لتشغيل هذه الخدمة ، كما تتولى توفير مجموعة من الحانوتية والترابية لتتولى مسئولية الدفن والصيانة ، يقول الله تعالى :

" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ... " (المائدة : ٣١)

" وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ .... " (التوبة : ٨٤)

" وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ " (الإنفطار : ٤)

" حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ " (التكاثر : ٢)

الإنسان والبيئة

يمكن حصر مَظاهر العمران وتجمع الناس إلى حد كبير فى القرية والمدينة، والقرية هى المظهر الأول لتجمع عدد من السكان فى مكان واحد ، ونشاط أهل القرية فى الأصل يتجه إلى الزراعة ، أما المدينة فهى وحدة عمرانية تختلف فى أساسها عن القرية من ناحية الوظيفة التى تقوم بها ، حيث إتجه نشاطهم الإقتصادى نحو التجارة أو الصناعة أو العمل فى الخدمات العامة ، وليس معنى هذا أن المدينة منفصلة تماما عن بيئتها الزراعية ، إذ أن أهلها يعتمدون فى غذائهم على فائض القرى التى تقع فى محيط المدينة - كما أسلفنا.

يقول الله تعالى على لسان قوم موسى :

" ..... فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا .... " (البقرة : ٦١)

" فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ " (عبس : ٢٧ - ٣٢)

ويعيش الإنسان على سطح الأرض فى هذه التجمعات فى بيئة طبيعية تتكون من العناصر الآتية :

- الموقع الجغرافى .
- التضاريس ومظاهر السطح .
- المناخ (الحرارة - الضغط - الرياح - الأمطار).

- التكوينات الجيولوجية والتربة .
- الموارد الطبيعية .
- الغطاء النباتى والحيوانات البرية - الفلورا والفونا .

وعندما يدرس الإنسان الموقع العام للمدينة أو التجمع الذى يعيش فيه ، فإنه يهتم بالموقع الجغرافى إهتماما شديدا ، فيدرس الدور الذى يسهم فيه موقع المدينة، كعنصر يشترك مع بقية عناصر الطبيعة الأخرى فى صناع خصائص البيئة ، فيدرس علاقة الموقع مع مراكز العمران الأخرى ، والعلاقة بينه وبين المحيطات المائية من بحار ومحيطات وأنهار ، والتى تشهد حركة التجارة . يقول الله تعالى عن موقع القرية:

" وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ .... " (الأعراف : ١٦٣)

والموقع الجغرافى للمدينة له نصيب يشترك فى وضع الإطار العام الذى يتحدد فيه دور الإنسان ونشاطه فى البيئة : فموقع مدينة طنطا فى وسط الدلتا أو القاهرة عند ملتقى فرعى النيل رشيد ودمياط ، أو الإسكندرية كميناء ساحلى ، يتيح لكل منها فرصة تشترك فى تحديد ملامح شخصية المدينة ، وبهذا تكسب المدينة صفات وخصائص من واقع هذه الأبعاد تنعكس آثارها على الناس الذين عاشوا ويعيشون فيها .

والتضاريس - مظاهر السطح - إسم يطلق على مرتفعات ومنخفضات القشرة الأرضية . والمرتفعات أنواع منها : الجبال والهضاب وسلاسل الجبال، والسهول أنواع منها : السهول الخصبة الزراعية ، التى كونتها الأنهار كدلتا النيل فى مصر ، ومنها السهول التى تغطيها الحشائش طوال العام أو فى مواسم الأمطار، وقد تقع فى موقع لا تصله الأمطار أو ماء الرى فتكون صحارى رملية، يقول الله تعالى :

" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا .... " (البقرة : ٢٢)

"... تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ..." (الأعراف:٧٤)

" وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ .... " (الحجر : ١٩)

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا " (نوح : ١٩ ، ٢٠)

" أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا " (النبأ : ٦ ، ٧)

والمناخ عامل هام ينعكس أثره على حياة الإنسان فيمال يأكل أو يلبس أو يسكن ، ويمثل المناخ أهم عنصر من العناصر التى تشترك فى وضع خصائص البيئة ، وهو أهم العوامل المتحكمة فى توزيع السكان على سطح الأرض ، فتأثير المناخ على توزيع السكان يتمشى مع تأثير النباتات الطبيعية والتربة ، على أساس أن المناخ هو الضابط الرئيسى فى تشكيل كل من النبات والتربة .

والبرودة الشديدة لم تشجع الإنسان على سكن نسبة كبيرة من مساحة الأرض ، كما أن الحرارة العالية هى الأخرى لها آثارها على صحة الإنسان، وإذا إقترنت الحرارة المرتفعة بالرطوبة الشديدة فإن ذلك يضر بالحياة البشرية والنشاط البشرى ضررا بالغا .

وبالرغم من وجود الوسائل الصناعية فى تكييف الطقس ، فإن البحث عن وسائل طبيعية للحماية والإستفادة من عوامل المناخ مازالت هى الأساس.

وبالنسبة للرياح فمن المرغوب فيه فى تخطيط المدينة إستقبال الرياح اللطيفة والنسيم العليل صيفا ، ويتحقق ذلك بتوجيه شوارع المناطق الحارة فى الإتجاه الشمالى الجنوبى لزيادة سرعة الهواء لتلطيف درجة حرارة الأحياء السكنية . وعن الرياح (الهواء المتحرك) يقول الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ .... " (الأعراف : ٥٧)

" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ .... " (الحجر : ٢٢)

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ ..... " (الروم : ٤٦)

والماء الذى جعل الله منه كل شيئ حيى له أهمية فى الحياة البشرية ، وأهم المصادر المباشرة للماء هو المطر ، الذى يلعب دورا هاما فى تشكيل نمط توزيع السكان فى العالم .

يقول الله تعالى :

"... وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ..."(البقرة:٢٢)

"... فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ " (الحجر: ٢٢)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ .... " (الزمر : ٢١)

وعن الأنهار والماء الباطن يقول الله تعالى :

" .... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ..... " (الرعد : ١٣)

" .... وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا .... " (النمل : ٦١)

" وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ " (يس : ٣٤ ، ٣٥)

" وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ " (القمر : ١٢)

وبالنسبة لجيولوجية البيئة ، فتساعد دراسة الأزمنة الجيولوجية على تفسير بعض الظواهر الطبيعية فمثلا الأودية الجافة التى توجد فى الصحارى العربية تنتمى إلى العصور المطيرة (التى حدثت فى الزمن الأخير) والتى كونتها أنهار جارية ، فلما إنقطعت الأمطار جفت الأنهار وأصبحت أودية جافة ، والقشرة الأرضية تتكون من معادن وصخور ، وتتكون الصخور من عدة معادن ، ويعتبر الصخر هو الوحدة الأساسية فى بناء الأرض ، والمعادن هى الوحدة الأساسية فى بناء الصخر ، والصخور محاليل طبيعية للمعادن،

ويغطى الصخور طبقة من الصخور المهشمة المفككة كالزلط والرمل ، أو يغطيها طبقة من الصخور المهشمة المحللة التى تسمى بالتربة ، ويضرب النبات فى هذه التربة بجذوره ويستمد منها ماءه .

والتربة هى إحدى مقومات الإنتاج الزراعى ، حيث تمد النبات بجزء من غذائه وتؤثر فى حياته ، وللتربة أثر غير مباشر على الإنسان والحيوان ، فمثلا تزدحم الجهات التى تتميز بالتربة الجيدة الخصبة بالسكان ، وتصبح مركز حرف وصناعات زراعية ، وتقوم بها حضارة ، مثل تربة وادى النيل وبلاد ما بين النهرين ، أما التربة المجدبة فلا تصلح للزراعة ولا تشجع على الإستيطان .

ويقول الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأنعام : ١٤١)

ويقول الله تعالى : أنه جعل فى الأرض جبالا وبارك فيها وقدر فى هذه الجبال أقوات الخلق حتى قيام الساعة:

" وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ " (فصلت : ١٠)

" .... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ .... " (الحديد : ٢٥)

والنباتات الطبيعية – الفلورا – عبارة عن الغلاف الحيوى لسطح الأرض ، ويقصد بها النباتات التى تنمو طبيعيا دون أن يكون للإنسان دخل فى وجودها ، وهى بذلك تختلف عن النباتات المستأنسة التى يتولى الإنسان زراعتها ويتعهدها بالعناية والرعاية لتدر عليه محصولا ثابتا ، والنباتات الطبيعية أنواع شتى منها : الغابات والسافانا والأعشاب والحشائش .

وتعبر النباتات الطبيعية عن ظروف البيئة التى تنمو فيها ، حيث تعد إلى حد كبير بمثابة النتاج النهائى لهذه البيئة بعناصرها الجيولوجية والتضاريسية والمناخية المتعددة ، وعلى هذا فهى تآلف طبيعى تجمع بين شتى عناصر البيئة الطبيعية فتتيح الصورة النباتية الطبيعية الحياة لأنواع معينة من الحيوانات.

ويقول الله تعالى :

" وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ " (النحل : ٥ - ٨)

ويختلف دور الإنسان من حيث التأثير فى البيئى الغنية بالحشائش والأعشاب إختلافا كبيرا عن دوره من حيث التأثير فى البيئة الغنية بالأشجار والغابات ، وهذا مدعاة لإختلاف الحرف وأساليب إستخدام الأرض فى البيئة التى تحيط بالمدينة .

ويتضح من هذا أن البيئة لم تعد مظهرا طبيعيا بل مظهرا حضاريا ثقافيا، وعناصرها متنوعة وإمكاناتها لا حصر لها ، والإنسان هو الذى يختار من هذه العناصر ما يناسبه ويستغله فى بناء حضارته وحسب طاقته الذهنية ومهارته .

الفرد والجماعة - الشعب والحكومة

" يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات : ١٣)

جسم الإنسان والحيوان دولة أساسها الخلية Cell :

- تنتظم الخلايا المتشابهة بعضها إلى بعض فيتكون منها نسيج Tissue .
- وتنضم الأنسجة مع بعضها لتكون العضلة ، والعضلة عبارة عن نسيج من الأنسجة يحوى خلايا متشابهة ، خلايا عضلية تخصصت فى عمل واحد هو الإنقباض والإنبساط ، اللذان يسببان الحركة والسكون .
- ويتجمع النسيج من نوع بنسيج من نوع آخر ثم ثالث ورابع فينتج عن ذلك العضو Organ كالقلب والكبد والكلية ، وكل نسيج تكون منه العضو له عمل واحد وله هدف واحد .
- وينضم العضو إلى عضو آخر وثالث ورابع فيكون الجهاز System كالجهاز الهضمى الذى يتكون من الفم والأسنان والحلق والمرئ والمعدة والأمعاء وما يتصل بالهضم من كبد وبنكرياس ، ومن أمثلة الأجهزة الأخرى الجهاز التنفسى وجهاز الدورة الدموية والجهاز العصبى والجهاز البولى ومن كل هذه الأجهزة يتكون الكائن الحى Organism كالإنسان .

وإذا إنتقلنا إلى المجتمع الإنسانى نجد أن الأسرة وهى نواة المجتمع تتكون من ذكر وأنثى ، تجتمع الأسرة بالأسرة فتتكون طائفة وتجتمع الطائفة مع طائفة أخرى فتتكون الطائفة الأكبر والطائفة الكبيرة مع الطائفة الكبيرة يتكون المجتمع الأكبر ....

فتنشأ قرى ومدن وعواصم أقاليم ، وما يعرف بالدولة ، دولة أساسها الأسرة ، والأسرة أساسها الفرد ذكرا كان أم أنثى .

وصورة أخرى تقول : إن الدولة أساسها الفرد كالفلاح والزارع والصانع والتاجر والنجار ، يجتمع الزراع بالزراع فتتكون أسرة الفلاحين ، وتجتمع الأسرة بالأسرة فتتكون طائفة الفلاحين وكالفلاح وأسرة الفلاحين وطائفة الفلاحين يوجد الصانع وأسرة الصناع وطائفة الصناع ، والفلاح يزرع

لنفسه فيأكل ، وفى الوقت نفسه يزرع لغيره ليأكل ، وهكذا الصانع ، ويجرى هذا على كل طوائف الأمة فتعدها ألوفا ، كل يعمل لنفسه وفى الوقت نفسه يعمل لغيره ، وفوق ذلك يعمل بغيره ، فالفلاح يحتاج إلى الماء وغيره يأتيه بالماء ، والفلاح يحتاج إلى آلات الفلاحة وغيره يأتيه بها ، والفلاح يحتاج إلى البذور السليمة وغيره يأتيه بها .

وكل ما يقال عن الفلاح يقال عن الصانع ، يعمل لنفسه ويعمل لغيره ويعمل بغيره ، وكذا الخباز والتاجر ورجل الشرطة والقاضى والطبيب والمهندس، وكلهم أفراد ومجموعات يخدمون الحياة ولهم فيها نصيب .

وفى الأمة تنضم الطائفة إلى الطائفة الأخرى ، لتكون طائفة كبرى ، تنسيق العمل فيما بينها لغاية واحدة ، فتنشأ المدن والعواصم والأقاليم والدولة – كما ذكر سابقا – دولة أساسها الفرد .

وبجانب هذا توجد ثنائية مرتبطة بها هى الجماعة والعلاقات التى تربط بينها ، أو بمعنى آخر الشعب والحكومة ، فلكى يكون هناك مجتمع يجب أن يتوافر عنصران هما : التعدد والقواعد الرابطة ، فبغير التعدد لايمكن أن يتصور أن يكون هناك مجتمع ، لأن المجتمع لا يقوم على خلية واحدة أو وحدة واحدة ، وإنما يفترض لقيام المجتمع عدد من الخلايا أو الوحدات تجتمع فيتكون من إجتماعها المجتمع .

ولا يكفى التعدد وحده لقيام المجتمع ، إنما يجب أن يكون هناك رابطة ما أو دستور أو قاعدة تربط بين الوحدات المتعددة على نحو أو على آخر حتى يمكن القول بوجود المجتمع ، فالوحدات التى لا تلتقى على شيئ ولا يربط بينها شيئ هى عبارة عن وحدات متناثرة ، لكل منها كيانها الذاتى ولا يتصور أن يكون منها مجتمع معين .

فإذا تصورنا الحياة البدائية مثلا على أنها أفراد لا يرتبط أحدهم بالآخر

بأى رابطة ، فلا يمكن أن توجد فكرة المجتمع ، إنما توجد هذه الفكرة حينما توجد الوحدات المتعددة ويوجد بين هذه الوحدات المتعددة نوع من الرابطة .

ومن هنا جاز أن تكون الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، أو هى أول صورة من صور التجمع الإنسانى ، أى أول وأصغر صورة لمجتمع بشرى ، والمجتمع الداخلى هو مجموع الأفراد الذين يخضعون لسلطة واحدة ، ويتكون منها جميعا ما يسمى بالدولة : شعب وحكومة .

شعب يتكون من سكان يسكنون مساحة محدودة من الأرض يعيشون عليها ويرتبطون بها على نحو أو على آخر ، مواطنون يحملون جنسية الدولة وينتمون إليها جميعا ، والحكومة هى التنظيم السياسى الذى يستطيع أن يصدر الأوامر ويضع القواعد ويكفل لها النفاذ فى داخل حدود هذه المساحة التى تشكل الدولة .

من هذا يتضح أن العمران : فرد وجماعة - شعب وحكومة - خلية وجسم.

وقد ورد فى القرآن تقسيمات عدة للبشر منها :

- الناس : يقول الله تعالى :

" يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ .... " (البقرة : ٢١)

" يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... " (البقرة : ١٦٨)

" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ..... " (البقرة : ٢١٣)

" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ .... " (آل عمران : ١٤)

" .... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .... " (النساء : ٥٨)

" وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً .... " (هود : ١١٨)

" أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ " (العنكبوت : ٢)

- الأمة : يقول الله تعالى :

" تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ..... " (البقرة : ١٣٤)

"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ..."(البقرة:٢١٣)

" وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ .... " (آل عمران : ١٠٤)

" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .... " (آل عمران : ١١٠)

" .... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً .... " (المائدة : ٤٨)

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ .... " (الأنعام : ٣٨)

" وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..... " (النحل : ٩٣)

- قوم : يقول الله تعالى :

" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ .... " (البقرة : ٥٤)

" وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ .... " (البقرة : ٦٠)

" إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ .... " (آل عمران : ١٤٠)

" .... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (الأنعام : ٩٩)

" .... وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ " (يونس : ٧٥) وهم قوم فرعون .

" .... وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (البقرة : ٢٥٨)

" .... أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ " (هود : ٦٠)

" .... يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ " (هود : ٧٤)

" وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ .... " (هود : ٨٥)

" .... وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " (الرعد : ٧)

" وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى " (طه : ٧٩)

- الملأ : أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم - الذين يرجع إليهم القوم ،

جماعة يجتمعون على رأى

فيملأون العين رواءً ومنظرا والنفوس بهاء يقال فلان ملء العين:

" قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنْ الْكَاذِبِينَ " (الأعراف : ٦٦)

" قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا .... " (الأعراف : ٨٨)

" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .... " (يونس : ٨٨)

" .... وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ... " (هود : ٣٨)

" .... قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ .... " (القصص : ٢٠)

- طائفة : هي الجماعة من الناس . قال تعالى :

" وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ..... " (النساء : ١٠٢)

" وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ .... " (النساء : ١١٣)

" وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ " (الأعراف : ٨٧)

" .... فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ .... " (التوبة : ١٢٢) - فرقة : طائفة ، قوم

" وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ... " (الحجرات : ٩)

- الفريق : جماعة متفرقة من آخرين . قال تعالى :

" ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ... " (البقرة : ٨٥)

" .... وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (البقرة : ١٤٦)

" .... ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ " (آل عمران : ٢٣)

" وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ .... " (آل عمران : ٧٨)

" .... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً .... " (النساء : ٧٧)

" فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلالَةُ .... " (الأعراف : ٣٠)

- فئة (الفرقة أو الجماعة من الناس) . قال تعالى :

" وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ .... " (الأنفال : ١٦)

" .... فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ... " (الأنفال : ٤٨)

" .... فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ ... " (القصص : ٨١)

- أهل : قال الله تعالى :

" .... وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ ... " (التوبة : ١٠١)

" .... وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ " (القصص : ٥٩)

" إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " (العنكبوت : ٣٤)

" وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ... " (آل عمران : ٧٥)

" وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ... " (المائدة : ٤٧)

- الشيعة : قال الله تعالى :

" .... هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ .... " (القصص : ١٥)

" وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ " (الصافات : ٨٣)

المنفعة

الحى السكنى والمسكن والمركز التجارى والمنطقة الصناعية ، كل عنصر من هذه العناصر له وظيفة يؤديها - أى له منفعة ، وفى نفس الوقت يجب أن يكون جميلا ، فيخطط الحى السكنى لكى يوفر بيئة سكنية صحية آمنة مريحة خالية من المضايقات ، وفى الوقت نفسه يجب أن يكون جذابا وجميلا .

يوفر المسكن الحاجات المادية والروحية (النفسية) للإنسان حيث تعنى العمارة بحاجات الناس المادية والنفسية ، بالحاجات الفردية والجماعية ، يحتاج الإنسان إلى الحماية والوقاية والغطاء ، وإلى مأوًا أو ملجأ يحتمى فيه من قوى الطبيعة وعناصرها من عوامل أخرى ، وأسباب الحاجة إلى المآوى كثيرة منها :

- الوقاية من عوامل الجو وتقلباته ، من حر وبرد ، ومن أمطار وثلوج وغيرها ...
- الوقاية من الأخطار الطبيعية كالعواصف والصواعق والخوف من الظلام وأصوات الحيوانات .
- الوقاية من الأخطار الحيوانية مثل الوحوش والزواحف والحشرات .
- الوقاية من الأخطار الآدمية كالأعداء والمجرمين واللصوص والمجانين والشواذ .

والإختفاء من أعين الناس لأمور كثيرة تتطلب الخلوة والعزلـة والستر والبعد عن أعين الفضلاء .

ويحتوى البيت على ممتلكات من أثاث وأمتعة وأوان وملابس ...

وعلى الجانب الآخر يلبى المسكن الحاجات النفسية ، حيث يعتبر مركـزا عاطفيا يجد فيه الإنسان الراحة والإستقرار ، وهو نـوع من الراحة لا يشعر بمثلها فى أى مكان ، ولا فى بيت آخر مهما وجد فيه من كرم الضيافة ولا فى فندق مهما وجد فيه من راحة ، وهو مركز روحى لأن بيت الإنسان هو مركزه ومسقط رأسه ونقطة الأصل بالنسبة لـه ، وهنـاك فروق بين المسكن House والبيت Home ، فالبيت يشعر المرْ فيه بحنين يشبه الحنين للوطن . وهو مركز تكوين الأسرة ، وتوثيق الروابط بين أفرادها وتربية الصغار .

يقول الله تعالى :

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا .... " (النحل : ٨٠)

لهذه الأسباب كلها كانت حاجة الإنسان إلى بيت أساسية بعد الغذاء والملبس .

وبمعنى آخر يصمم المبنى، ويبنـى أصـلا ليؤدى وظـائف ومنفعـة يخدم أغراضا محددة ، وفى الوقت نفسه يراعى فى المبنـى جمـال الشكل وحسن الصورة ، حيث يبعث فى النفس أسباب المتعة والإنشراح .

يصمم المبنى من أجل الإنسان وإستعمال الناس له ، ويلزم معرفة أبعاد جسم الإنسان فـى الأوضـاع المختلفـة واقافـا - جالسـا - نائمـا - باسـطا ذراعيه... كما يصمم المبنى ليحتوى فى داخله على الأثاث والأجهزة ، وتحدد طبقا لمقاسات هذه الأثاثات والأجهزة عناصر المبنـى نفسه مثل إتساع الطرقات والغرف والسلالم ودورات المياه والمطابخ والحمامـات وإرتفـاع جلسات الشبابيك ، وتحدد المساحة اللازمة لكل عنصر من هذه العناصر تبعا لهذه المعلومات والعدد الذى ستتسع له من الناس وللقدر المطلوب من الأجهزة

والأثاثات.

كما يراعى عند التصميم جمال الشكل وحسن الصورة ، ويتم ذلك بوسائل كثيرة مثل : إستعمال المواد الفخمة كالرخام والجرانيت والألومنيوم المذهب ، وإستعمال الألوان الجميلة .

وإذا إنتقلنا إلى الكون وما فيه نجد أن الله سبحانه وتعالى ما خلق شيئا إلا وله منفعة ووظيفة يؤديها ، فيقول الله تعالى :

" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ " (المؤمنون : ١١٥)

" وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا .... " (ص : ٢٧)

" وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ(٣٨)مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ " (الدخان : ٣٨ ، ٣٩)

" وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ(١٦)لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ " (الأنبياء : ١٦ ، ١٧)

فالسماء لها منفعة والأرض كذلك ، والشمس والقمر والليل والنهار ....

والجماد له منفعة وهى خدمة الأجناس التى أعلى منه ، وهى النبات والحيوان والإنسان ، والنبات له وظيفة وهى خدمة الأجناس التى أعلى منه وهى الحيوان والإنسان ، والحيوان له وظيفة وهى خدمة الإنسان.

يقول الله تعالى :

" وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " (إبراهيم : ٣٣ - ٣٤)

وبالنسبة للإنسان يقول الله تعالى :

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِي " (الذاريات : ٥٦)

وبالنسبة للنساء يقول الله تعالى :

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا .... " (الروم : ٢١)

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا .... " (النحل : ٧٢)

وبالنسبة للنجوم يقول الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .... " (الأنعام : ٩٧)

" وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " (النحل : ١٦)

وبالنسبة للشمس والقمر والليل والنهار يقول تعالى :

" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ .... " (يونس : ٥)

" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا .... " (يونس : ٦٧)

" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا " (الإسراء : ١٢)

" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا " (الفرقان : ٤٧)

" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا " (الفرقان : ٦١)

" أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا .... " (النمل : ٨٦)

" وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا " (النبأ : ٩ - ١٣)

وبالنسبة للبحر يقول الله تعالى :

" وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (فاطر : ١٢)

" وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ..... " (الشورى : ٣٢ - ٣٣) .

" وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ "(يس:٤١ - ٤٣)

الهواء

الغلاف الهوائى هو المادة أو الغلالة الشفافة التى تحيط بالأرض ، وتفصل سطحها عن الفراغ الكونى ، ونحن نعيش فى قاع مجموعة من الغازات ، لا طعم لها ولا لون ولا رائحة ، نستنشق هذه الغازات .

والرياح هى الهواء المتحرك ، وعندما يتحرك الهواء ببطء يسمى نسيما، ويسمى رياحا عندما يحمل بشائر الخير من مطر وخلافه ، ويسمى ريحا عندما ينذر بعقاب من الله أو بهلاك لما على الأرض .

وتتكون الطبقات السطحية من الغلاف الهوائى من خليط من غازى الأكسجين والنيتروجين (الأزوت) بنسبة ٢٠,٩٥٪ و٨٧,٧٪ من حيث الحجم بالإضافة إلى عدة غازات أخرى نسبتها ضئلة لا تتعدى فى مجموعها ١٪ .

وغاز الأكسجين هو أساس الحياة على الأرض إذ تستنشقه الكائنات الحية فيجدد نقاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل ، ويذوب الأكسجين فى الماء ، ولذوبانه أهمية عظمى ، إذ تستمد منه الحيوانات والنباتات المائية ما

يلزمها للتنفس من الأكسجين الذائب المذاب فى الماء ، وتقلل نسبة الآزوت العالية الموجودة فى الجو من حدة الأكسجين فى جميع العمليات ، وذلك لأن الأزوت لا يساعد على الإحتراق .

وكأنما تحافظ الطبيعة بذلك على الحد من شدة عمليات الإحتراق على الأرض حفاظا على الحياة ، أما ثانى أكسيد الكربون الذى يوجد فى الجو ، والذى يخرج زفيرا من الإنسان والحيوان فتمتصه النباتات ، ثم تعيده إلى الجو أكسجينا خالصا ، وهكذا تبقى كميات هذا الغاز العالقة فى الهواء ثابتة .

ويحتاج كل حيوان ليعيش إلى طعام ، ولا ينتفع بهذا الطعام إلا إذا تزود معه بالأكسجين حيث يتفاعل معه الغذاء بعد هضمه ويوزعه على خلايا الجسم ، وينتج عن هذا التفاعل طاقات الحياة جميعها كالدفء والحركة وبناء ما يستعاض به عما إستهلك ....

وينقص الهواء كلما إرتفعنا عن سطح الأرض ، مما يترتب عليه نقص كميات الأكسجين ، بحيث إذا بلغنا إرتفاعا معينا لا يكفى الأكسجين الجوى للتنفس ، ويشعر الإنسان بضيق الصدر والإختناق ، ويعبر القرآن الكريم عن هذه الظاهرة فى قوله تعالى :

" .... وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ .... " (الأنعام : ١٢٥)

ويرتبط الحديث عن الهواء إرتباطا وثيقا بما يحمل بين طياته من بخار الماء الذى تنشأ عنه السحب ، ولقد ربط القرآن إرسال الرياح أو هبوبها ليتكاثف بخار مائها بإثارة السحب ونزول المطر .

ويقول الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ .... " (الأعراف : ٥٧)

" اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ .... " (الروم : ٤٨)

" فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ " (ص : ٣٦)

وللغلاف الهوائى الذى نعيش فى قاعه منافع أخرى منها أنه يحفظ حرارة الأرض ، ويسرى فيه الصوت، وينتشر فيه ضوء الشمس ، ويحفظ سكان الأرض من النزك والشهب والأشعة الكونية ، ويعتبر هذا الغلاف سقفا لهؤلاء السكان ، فيقول الله تعالى :

" وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا .... " (الأنبياء : ٣٢)

ويسير الهواء السفن على صفحة الماء لمئات وآلاف الأميال ، وكان الهواء هو الوسيلة الوحيدة لحركة السفن مهما كبرت وتضخمت، يقول تعالى:

" وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنْ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " (الشورى : ٣٢ ، ٣٣)

والريح آية من آيات الله وجند من جندوه ، وما يعلم جنود ربك إلا هو، فيقول :

" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (فصلت : ١٦)

" فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ..." (الأحقاف : ٢٤ ، ٢٥)

إن توجيه الرياح وتوجهها وتصريفها آية من آيات الله ، ويترتب عليها كثير من المظاهر المناخية ، وما يتبعها من حياة نباتية وحياة إنسانية ، يقول الله تعالى :

" وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (الجاثية : ٥)

الماء

" وجعلنا من الماء كل شيئ حيى "

يقول الله تعالى :

".... وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ..." (البقرة : ٢٢)

" هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ .... " (النحل : ١٠ ، ١١)

" .... وَتَرَى الأرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (الحج : ٥)

" .... وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(٤٨)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا " (الفرقان : ٤٨ ، ٤٩)

والماء هو أساس العمران حيث تقوم عليه زراعة الأرض إبتداءً ، ثم تعقبها أنشطة أخرى صناعية وتجارية تابعة لها ، ويمكن تنميتها جميعا فى بوتقة واحدة ، إن هذه الأيات وهذه المعانى تدل على أهمية الماء فى التنمية العمرانية ، ولا يمكن الإستعاضة عنها مهما تقدمت أساليب ووسائل التقنية ، فستظل الرزاعة والتنمية الزراعية هى أساس العمران البشرى .

ويقول الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ .... " (الأنعام : ١٤١)

ويلفت الله عز وجل النظر إلى أن هذه النباتات والثمار والزروع وإن تعددت أشكالها وألوانها ومذاقاتها

".... يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ...." (الرعد : ٤)

إن هناك تتابعا وتكاملا جميلا يستشعر الإنسان وهو يعيش فى ظل هذه الأيات الكريمة حول الماء ، فيرى أن الحياة كلها تدور حول ذلك الكائن اللطيف .

" .... وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ " (الأنبياء : ٣٠)

" وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (النحل : ٦٥ - ٦٩)

إن توارد الأيات متكاملة بهذا الترتيب يضع أساسا يمكن أن تقوم عليه حياة عمرانية متكاملة الجوانب ، فالماء الذى يحيى به الله الأرض بعد موتها ، ستكون نتيجته محاصيل زراعية يعيش عليها الناس والدواب والأنعام، وستدر هذه الأنعام الألبان التى تغذت وأرتوت من خيرات الأرض التى حباها الله بالماء ، فكانت النتيجة لبنا خالصا سائغا للشاربين ، ثم تتكامل عناصر التنمية ، فإذا بتلك الأرض تنبت ثمرات النخيل والأعناب ، ومنه تكون المشروبات حلوة المذاق والأرزاق الحسنة "سكرا ورزقا حسنا" ثم تتكامل الصورة ، فيعيش فى تلك الظلال الوارفة النحل ، ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أشجارها ومن الجبال ومن كل الثمرات ليسهم هو الآخر فى عملية التنمية بذلك الشراب الذى يشفى به الله الناس من أمراضهم .

فالماء أساس لهذا التكامل بين الأرض والأنعام والألبان ، ثمرات

النخيل والأعناب والنحل والجبال والشجر والدواب ، إنها حقا عناصر متكاملة لو أحسنا تنميتها وإستغلالها ، وإنها لآية من آيات الله لقوم يسمعون ، ولقوم يعقلون ، ولقوم يتفكرون ...

يقول الله تعالى :

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (فصلت : ٣٩)

" وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ " (الزخرف : ١١)

وسيظل الماء سببا للنماء والتنمية والحياة .

الأرض

يقول علماء الطبيعة إن الأرض كانت ملتهبة بالتيارات الهوائية وغيرها من قوى أخرى ، بردت السوائل فغطست العناصر الثقيلة كالحديد وبقيت العناصر الخفيفة كالجرانيت والرخام على السطح ، وتكونت بعض الهضاب والمرتفعات والسهول والوديان ، وفى بعض الأحيان حدثت شروخ وشقوق فى الأرض ملأت باللهب المنصهر مكونة عروقا من ذهب أو حديد ، وبهذا أصبحت أجزاء من الأرض غنية بالمعادن .

ولو تركت الصخور المعدنية الأخرى على حالتها ما قامت حياة ولكن قوى الطبيعة : الشمس الساطعة - الماء - الهواء - كانت دئما فى حركة لتكسير هذه الصخور وتوزيعها على سطح الأرض ، فالشمس تسخن سطح الأرض ، فيتمدد ويتشقق ، فيخلق فراغ يدخل فيه الماء ، وفى الشتاء يتجمد الماء فيتمدد ويساعد على توسيع الشروخ وتكسير الضخور ، والهواء به ثانى أكسيد الكربون الذى يذوب فى الماء النازل من السماء على سطح

الأرض ، فيذيب ما بها من أملاح ، وبهذه العمليات تتكسر الصخور إلى قطع صغيرة تساعد على تكوين التربة .

ومن جهة أخرى فإن الرياح ومياه الأمطار النازلة من السماء تكتسح أمامها الصخور من الهضاب فتطحنها فى الطريق إلى قطع صغيرة لمئات الكليومترات ، لترسبها فى وديان بعيدة أو فى بحيرات أو فى محيطات ، وبهذا يحمل الماء الصخور المطحونة التى تحوى المواد المعدنية الذائبة . وتمتصها الأحياء الدقيقة وتحولها إلى معادن أخرى لتكون تربة صالحة للزراعة .

ويتضح من هذا أن الثروات المعدنية وغير المعدنية الموجودة فى باطن الأرض ، أو على ظهرها هى كميات ثابتة لا تتغير يستعملها الإنسان حتى يوم القيامة لا تتغير . وفى هذا يقول الله تعالى :

" .... وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ " (فصلت : ١٠)

"... وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ "(فاطر: ٢٧)

" وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (ق : ٧)

" وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا .... " (القمر : ١٢)

" وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ " (الرحمن : ١٠ - ١٢)

" وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ " (النازعات : ٣٠ - ٣٣)

" أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ " (عبس : ٢٥ - ٣٢)

" .... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ .... " (الحديد : ٢٥)

والأرض من الركائز الأساسية للتنمية العمرانية ، ومع الأرض تتكامل العناصر الأخرى من مياه وزراعة وخلافه ، ويقاس نجاح التخطيط والتنمية بقدر نجاح المخطط فى إستغلال وإستثمار مكونات الأرض ، التى تحمل فى باطنها العديد من الموادر الإقتصادية ، فهذا هو البترول من مكونات الأرض وهناك المعادن الثمينة كالذهب والموراد المعدنية وغيرها التى تلعب دورا هاما وأساسيا فى التنمية العمرانية.

ويخبرنا الله عز وجل أن الموارد الأرضية موزونة "ومتزنة" حيث يقول سبحانه وتعالى :

" وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ(٢٠)وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ " (الحجر : ٢٠ ، ٢١)

وبالنسبة للسكن يقول الله تعالى :

" .... وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا .... " (الأعراف : ٧٤)

" وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ " (الحجر : ٨٢)

"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ..."(النحل: ٨١)

النار والنور

لعبت النار دورا كبيرا فى قيام المدينة ومنها إنبعث نور المعرفة والعمران ، ولقد أتى على الإنسان وقت كان يجهل فيه النار وطرق إيقائها وإستخدامها ، ولما تعلم كيف يوقد النار ، وقتما يشاء وحيثما كان ، تملك زمام التقدم التدريجى ، ويرجح أن إكتشاف الإنسان للنور بدأ مع كشفه للنار ، وأن أول مصدر ضوئى حصل عليه ، كان من قطعة خشب محترقة بفعل

الصواعق فى شجرة إحترقت بها ، وربما ظل نور لهب الخشب والقش المحترق هو المصدر عند الإنسان لفترة طويلة ، تعلم فيها أثر النار فى إنضاج الطعام وفى تكوين الأسرة والعشيرة .

فإجتمع أفراد الأسرة أو القبيلة حول النار يأنسون بدفئها ونورها وإنضاجها للطعام ، وهم يسمرون آمنين شر الوحوش الضارية التى كانت ومازالت تخشى الإقتراب من النار ، بالنار والنور بارك الله الناس فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

النار مصدر النور ، ويستمد الإنسان النور من مصدرين يرجع أصلهما أساسا إلى مصدر واحد :

الأول : هو النور الطبيعى وهو نور الشمس والقمر والنجوم .

الثانى : هو النور الصناعى كنور المشاعل والمصابيح والشموع .

يقول الله تعالى :

" .... وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا " (الفرقان : ٦١)

" وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " (نوح : ١٦)

والشمس جسم يحترق بنار عظيمة يخرج منها الدفء والحرارة ويشع منها نور النهار وينعكس بعضه على سطح القمر فيسطع ليلا ، فيبدد الظلمات وخاصة إذا إكتمل البدر .

تتكون فى النباتات طاقة تستمدها من الشمس ، وهذه الطاقة إما أن تذهب للإنسان فيستعملها فى تدفئة وحركة وفكر وتفاعلات كيماوية أخرى وإما أن تذهب وقودا له .

فتذهب الطاقة الموجودة فى النبات إلى الإنسان (أو الحيوان) فى شكل الطعام الذى يأكله ، فيهضم فى المعدة ، ثم يذهب الطعام المهضوم إلى خلايا الجسم ، فيأتى الأكسجين من الرئة فيحترق بعض هذا الطعام لتوليد

طاقة تساعد على هذه التفاعلات .

أما الطاقة الأخرى التى تذهب وقودا للإنسان فتكون فى شكل خشب أو فحم يستعمله للتدفئة أو لطهى الطعام أو فى تسيير آلاته .

وفى هذا يقول الله تعالى :

" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ " (يس : ٨٠)

" أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ " (الواقعة : ٧١ ، ٧٢)

والطاقة التى تتكون فى النبات إستمدها من طاقة الشمس ، وبمعنى آخر الأغذية جاءت للإنسان والحيوان مكتملة الطاقة ، وقد ساهمت هذه الطاقة العملية الكونية الكبرى : تشكيل الشمس وبمعنى أدق أشعة الطيف المرئى للشمس .

فتربط أشعة هذا الطيف بين أوراق النبات وثانى أكسيد الكربون والماء الواصل للنبات من الأرض والمادة الخضراء فى النبات ، وينتج عن هذا الربط تخليق مواد عضوية كالسكر ونحوه ، يبدأ بها النبات وجوده ، وتسمى هذه العملية عملية التمثيل الكلوروفيلى ، عملية كيماوية تؤمن الحياة فتؤمن وجود الحيوان على سطح الأرض فتؤمن وجود الإنسان ، ولا تحدث هذه العملية إلا فى وجود أشعة الطيف المرئى للشمس التى تمتصها المادة الخضراء .

وهناك صنف ثان من أشعة الشمس وهى الأشعة ذات الحرارة التى تعطى الحياة ، والتى تنتشر فى الطيف المرئى ، المتركزة فيما دون الأشعة الحمراء ، وهى ضرورة من ضرورات الحياة فى النبات والحيوان جميعا ، فالحياة كلها تفاعلات كيماوية ، والتفاعلات لا تصلح إلا بين طرفين من الحرارة ، طرف قليل ، وطرف كثير : دون الطرف القليل يموت النبات

والحيوان من البرد – ودون الطرف الكثير يموت النبات والحيوان من شدة الحر .

وهناك مصادر أخرى من الطاقة صنعتها الشمس وإختزنتها فى طبقات الأرض فى شكل فحم وبترول وغاز طبيعى ، وهذه المخزونات صنعتها الشمس من أحياء قديمة من نباتات وحيوانات من بلايين السنين ، دفنت وتحولت إلى ما تحولت إليه ، وهى الأساس التى قامت عليه الحضارة الصناعية الحالية ، حيث تستعمل هذه الطاقة فى تشغيل المصانع ووسال النقل وغيرها .

وبمعنى آخر تعتبر هذه المصادر – الفحم والبترول والغاز الطبيعى – بمثابة العمود الفقرى للبنيان الإقتصادى لأى دولة ، حيث تستعمل هذه القوى فى إدارة الآلات اللازمة فى عمليات الإنتاج ، وفى تسيير وسائل النقل كالسيارات والبواخر والطائرات وفى النشاط الزراعى وفى عمليات الإنشاء والبناء والخدمات البلدية والمنزلية كالإضاءة .

وبجانب مصادر الطاقة التى صنعتها الشمس وإختزنتها توجد لها إنجازات أخرى قائمة ، فتبخر الشمس مياه البحار فتعلو سحبا تنزل أمطارا أو ثلوجا على قمم الجبال وقد يهبط الثلج ماء من قمم الجبال بشدة فيولد الكهرباء أو يخزن أمام السدود والخزانات ، فيولد الكهرباء أثناء فتح هذه الخزانات ، والرياح تتسبب عن الشمس : حرارة هنا وبرودة هناك ، وحركة الهواء الناتجة عن فروق الحرارة تكون الرياح ، وبطاقة الرياح ننتفع حتى فى البحار ننتفع بطاقة الرياح فى الأمواج .

وأخيرا سيطر العلماء على اليورانيوم وروضوا جماحه وهدأوا من ثورته ، وأخذوا منه تلك القوة الهائلة التى صنع منها الكهرباء ومحطات القوى الكهربائية المنتشرة فى إنجلترا وأمريكا وروسيا وبعض دول غرب

أوروبا .

والطاقة المتولدة من ذرة اليورانيوم عظيمة ، ولكن توجد طاقة أعظم هى الطاقة المتولدة من ذرة الأيدروجين ، ويريد العلماء أن يفعلوا بالأيدروجين ما فعلوه باليورانيوم : يروضوا جماحه ويهدئوا من ثورته ، ولو وصل العلماء إلى ذلك لأنتجوا من الأيدروجين هذه الطاقة ، ولأصبح للإنسان مصدرا لا ينفذ ...! لأن فى بحار هذا الكوكب ومحيطاته مقادير لا تنفذ ، لأن الإيدروجين عنصر من عناصر الماء .

النباتات

يتكون النبات من ثلاثة عناصر :

- البروتين وهو مادة اللحم والبيض والجبن .
- النشا وهو يتحل من السكر .
- الدهن وهو الشحم والزيت وأصناف شتى .

ثلاثة أصول هى أصول الحياة وكلها موجودة فى النبات ، وبهذا يمكن للإنسان أن يعيش بالنبات وحده دون شيئ سواه ، ويحتفظ النبات بهذه الأصول فى جذر - أو فى ساق - أو فى ورق - أو فى ثمرة - أو فى بذرة. والطعام الذى يحتفظ به النبات فى ثمرة أو فى بذره هو أهم أنواع الأطعمة ، وقد يجد الإنسان فى الورق طعاما هاما أو فى الساق أو فى الجذر .

وبمعنى آخر جاءت هذه الأغذية للإنسان مكتملة ، صنعتها العملية الكونية الكبرى (تخليق الشمس : ثانى أكسيد الكربون + اشعة الشمس + يخضور) تعطى جلوكوزا أولا ثم نشا ودهونا ، ومن أملاح الأرض البروتين ثم يخزن النبات هذا كله فى بذره أو فى ثمره .

وتحتل الحبوب المرتبة الأولى من الأطعمة ، هى عادة أكثر ما

تحتويه وجبات الإنسان على إختلاف مواقعه على سطح الأرض ، وأهم الحبوب القمح ثم الذرة ثم الشعير ثم الأرز وبذور الحشائش .

وتحت البقول المرتبة الثانية بعد الحبوب وهى البسلة والفول وفول الصويا والفول السودانى ، وتمتاز بغذائها الممتاز حيث تحوى الثمرة على النشا والدهن ، وبها من البروتين ما هو أكثر من أى محصول آخر .

ثم يأتى البقل وهو البندق واللوز والجوز . نسبة البروتين بها عالية، والدهون مرتفعة أيضا .

أما ما يخزنه النبات فى ثمره فهى الفواكه وهى كثيرة منها البرتقال والتفاح والكمثرى والمشمش والبرقوق وما إليها . وليس بها من أصول الطعام (البروتين أو الدهن) ما يستحق الذكر ولكن السكر والنشويات هى الأصل .

أما ما يخزنه النبات من الغذاء فى جذور أو ساق أو ورق فالفجل واللفت والكرنب والجزر والبطاطس والخس ، والخضراوات جميعها وأكثرها الورق الأخضر ، وإن فقدت القيمة من أصول التغذية فقد إحتوت على الكثير من الأملاح ، التى يحتاجها الجسم وعلى الفيتامينات ، ومن أجل ذلك كانت أساسية فى الطعام .

يقول الله تعالى :

" .... فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا .... " (البقرة : ٦١)

" .... نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ .... " (الأنعام : ٩٩)

" .... وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .... " (الرعد : ٣)

" يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ .... " (النحل : ١١)

" وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ .... " (النحل : ١٣)

" وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا " (مريم : ٢٥)

" فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ " (المؤمنون : ١٩ ، ٢٠)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا .... " (فاطر : ٢٧)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ .... " (الزمر : ٢١)

" فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ " (الرحمن : ١١ ، ١٢)

" فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ " (عبس : ٢٧ - ٣٢)

كما أقسم الله بثمرتين فقال " والتين والزيتون " .

إن تكرار هذه الآيات إنما هو توجيه من الله لهذه الأمة للإعتماد على محاصيلها ونباتاتها وعمارة الأرض بالزراعة والإنبات كمتطلب دينى له ابعاده الإقتصادية ، بدلا من الإستجداء فى طلب القمح .

الأنعام

يقول الله تعالى :

" .... فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ " (هود : ٦٩)

" وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ " (النحل : ٥ - ٨)

" وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ... " (النحل : ١٤)

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ " (النحل : ٦٦)

" .... وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ " (النحل : ٨٠)

" اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ " (غافر ٧٩ ، ٨٠)

" .... يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ .... " (النحل : ٦٩)

من تلك الآيات وغيرها يتبين أن الله قد سخر للإنسان كثيرا من الأنعام بأشكال وأحجام وخواص متعددة ولمنافع شتى ، منه الركوب ومنها الزينة ومنها حمل الأثقال ، منها ما يدب على الأرض (الدواب) ومنها ما يعيش فى البحار والأنهار والمحيطات مكونا ثروة سمكية ضخمة (لحما طريا) ثم من تلك الأنعام أيضا ما يستفاد بذبحه وأكل لحمه مثل البقر والغنم

والإبل ، ومناه ما يستفاد بألبانها "لبنا خالصا سائغا للشاربين" ، ومنها ما يستفاد بجلودها ، وما على تلك الجلود ، "ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين" ومازلنا حتى أيامنا هذه نعتمد على تلك المواد فى ملبوساتنا ، خاصة المبوسات الشتوية التى نحتمى بها من البرد .

إنها أشكال وألوان متعددة من المنافع والنعم " .... وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا .... " (إبراهيم : ٣٤)

وتغص الأجواء المحيطة بنا بأنواع شتى من الطيور ، التى تمثل منفعة للإنسان فى صور عديد .

تكامل المنفعة بين العناصر السابقة
(هواء - ماء - طاقة - نبات - حيوان)

إن من الصعوبة بمكان فصل هذه العناصر عن بعضها البعض ، فهى وحدة متكاملة ، تكون مع بعضها البعض ومع غيرها شبكة أو نسيجا متماسكا ومرتبطا أشد الإرتباط ، وفى توافق وإنسجام عجيب " ....صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ .... " (النمل : ٨٨).

وإذا كان كل عنصر يمثل إعجازا مستقلا ، فإن الإعجاز الأكبر يتمثل فى تفاعل هذه العناصر مع بعضها بالنسب والكيفية والنظام الذى أودعه الله إياها .

فهناك مثلا علاقة الأرض بالنبات ونوع التربة وخصائصها اللازمة للإنبات ونوع النبات ذاته ، وهناك أيضا الماء وعلاقته بالتربة ، فهناك أرض تمسك الماء وهناك قيعان ، وهناك أرض لا تمسك ماءً ولا تنبت بالمرة ، نباتات تغوص فى أعماق التربة ضاربة بجذورها عدة أمتار ، وذلك لمقاومة العوامل الجوية ، وللوقوف فى مهب الرياح ، ونباتات أخرى ليس لها جذورا

عميقة ، تلك لا أوراق لها وتلك لها أوراق إبرية ، هذه أوراق مفرطحة ، وكل ميسر لما خلق له .

ويشبه الله لنا الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الثابتة الجذور ، والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة الهشة الضعيفة المتهاوية الجذور ، يقول الله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ " (إبراهيم : ٢٤ - ٢٦)

كما يمثل الله لنا دورة الحياة فى النبات بدورة الحياة الشاملة كلها فيقول تعالى :

" وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ .... " (الكهف : ٤٥)

" إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (يونس : ٢٤)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ " (الزمر : ٢١)

" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا .... " (الحديد : ٢٠)

الجمال

يقول د. عرفان سامى* : الوحدة شرط أساسى لكل الفنون ، وحدة العمل الفنى كالقطعة الموسيقية ، وقصيدة الشعر ، والتمثال واللوحة والمبنى ، بالوحدة تتجمع العناصر الكبيرة ، المتفرقة والمتنوعة ، ويتكون منها شيئ واحد ، وتأتى الوحدة من التركيز وإتباع أسلوب واحد ، تناسق العناصر وترابطها والأيقاع Rhythm والمعنى .

الوحدة الزخرفية تتماسك عندما تترتب عناصرها ...

الجملة فى اللغة تفقد معناها إذا إختل ترتيب وظائفها ...

المبنى يفقد صفة المبنى إذا تكومت مواد البناء على الأرض ...

بدون الوحدة يكون العمل مفككا وأجزاؤه متناثرة مبعثرة مشتتة ، أو يبدو بعضها ملصوقا لا ينتمى للمجموعة وليس له مكان فى المنظر .

ويلاحظ فى الوحدة أنها تكسب المجموعة معنىً جديدا ، وأن تغير النظام يغير المعنى ، كأن تتحول مجموعة من الأخشاب من كوم خشب إلى سلم أو سور أو كشك دون زيادة أو نقصان فى عددها ، أى أن الوحدة تخلق شيئا جديدا أكثر من الوجود المادى أو الوجود الكمى ، وتأتى الوحدة فى التصميم المعمارى بوضع العناصر بأحجامها الصحيحة وفى مكانها المناسب .

والتنوع لازم فى كل الفنون ، كما فى كل نواحى الحياة ، فيعطى للعمل الفنى وللحياة حيوية وبهجة ، ويزيل الملل والسأم والضجر ، والحركة الآلية والفكر على وتيرة واحدة .

وفى العمارة يأتى التنوع والإختلاف من :

---

* أحد رواد العمارة ، ورئيس قسم العمارة الأسبق بكلية الهندسة جامعة الأزهر ، وله مؤلفات فى العمارة

- المادة : طوب - زجاج - رخام - جرانيت - ألومنيوم - بلاستيك ...
- اللون : فاتح - غامق - معتم - لامع - براق ...
- الملمس : درجات متعددة ن النعومة إلى الخشونة .
- الإتجاه : أفقى - رأسى - مائل .
- الشكل : مستطيل - مربع - فراغات .
- الكتل : مكعب - هرم - إسطوانة .
- الحوائط والفتحات وصفوف الأعمدة والوصلات .
- المبانى والفراغات الداخلية كالأفنية الداخلية بـاتيو Patio والخارجية كالأحواش والحدائق .

ويجب عدم المبالغة فى التنوع حتى لا تتنافر الأجزاء وتتناقض أى يجب أن يبقى التنوع داخل الوحدة .

الألوان

من منطلق الزينة التى أحلها الله لعباده ، وأنكر سبحانه على من يحرمها بقوله :

"قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ .."(الأعراف: ٣٢)

فإن الألوان هى أحد عناصر تلك الزينة ، وللألوان وتباينها وتعددها تأثير جذاب فى النفوس يأسر القلوب ويأخذ الألباب ، لقد أصبحت الألوان وتناسقها ودراستها فرعا من فروع العلم والمعرفة ، ولقد نبهنا القرآن الكريم فى أكثر من آية إلى مواطن الجمال فى الألوان فيقول الله تعالى :

" .... إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ " (البقرة : ٦٩)

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيـزٌ غَفُورٌ " (فاطر : ٢٧ ، ٢٨)

" يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ " (الصافات : ٤٥ ، ٤٦)

" أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَـلَكَهُ يَنَـابِيعَ فِـي الأَرْضِ ثُـمَّ يُخْـرِجُ بِـهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًـا إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَذِكْـرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ " (الزمر : ٢١)

" مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ " (الرحمن : ٧٦)

الإبداع الفنى

كانت عناصر المدينة قبل الإسلام تزخر بالعديد من الرسومات والتماثيل والصور سواء كانت صورا لأشخاص عراة أو غير عراة ، أو حيوانات أليفة أو غير أليفة ، تلك التماثيل والصور كانت أقرب ما يكون بالتماثيل والأصنام التى كانت تعبد فى الجزيرة العربية قبل الإسلام .

ولما جاء الإسلام سد كل منافذ الشرك رغبةفى تنقية العقيدة من كل مظاهر الشرك ومن بينها ما يتخذه الناس من تماثيل ورسومات ، من هنا حرم الإسلام هذا النوع من الفنون التى كانت سائدة آنذاك . ولكنه فى نفس الوقت قدم بدائل كثيرة لهذه الفنون تتمثل فى أشكال لا حصر لها من الخط العربى والزخارف والحليات من أوراق الأشجار والزهور والنباتات بكافة أنواعها وأشكالها ، أى أن الإسلام لم يعطل هذا الإبداع الفنى فى المبانى والعناصر العمرانية ، بل وجهها بما تتمشى مع قيم الإسلام وقواعده من حيث الحلال والحرام ، فكانت زخارف المساجد آية فى الفن والإبداع وكانت حليات الحوائط والأسقف والكرانيش والمقرنصات .... إلخ مما يمكن القول معه أن الإسلام إنفرد بهذا النوع من الإبداع الفنى من منطلق العقيدة .

يهدف تخطيط العمران كما سبق ذكره إلى تحقيق رفاهية الإنسان ، رفاهية صورة ومعنى ، وبمعنى آخر يجب ألا تغفل النواحى الجمالية فى التخطيط ، فيهدف تخطيط الحى السكنى مثلا إلى أن يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل وأن يكون جميلا وجذابا فى نفس الوقت ، فجمال الشكل وحسن الصورة يبعث فى النفس المتعة والطمأنينة .

فيخطط الحى السكنى على أساس توفير بيئة صحية آمنة تؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل ، وأن يكون جميلا وجذابا يبعث فى النفس البهجة والسرور ، ويتحقق ذلك بخلق الفراغات المناسبة حول المساكن وتخطيط الميادين والشوارع الواسعة وإنشاء الحدائق والمسطحات الخضراء وزراعة الأشجار وإقامة النصب والتماثيل فى الأماكن العامة ، والتحكم فى إرتفاعات المبانى على جانبى الشارع .

وبالنسبة للأحياء التجارية لا يكفى أن تخطط هذه الأحياء فى مواقع يسهل على الزبائن الوصول إليها دون مشقة ، بل يجب أن تصمم فى أشكال معمارية جميلة تساعد على أن يقضى فيها الزبائن وقتا ممتعا ، وكذلك بالنسبة للمناطق الصناعية فلقد سارت الدول الصناعية شوطا طويلا وخطوات واسعة نحو تجميل هذه المناطق ، وأصبحت المصانع المخططة والمصممة تصميما معماريا ممتازا تقام فى وسط المسطحات الواسعة من الأرض الخضراء ، وأصبحت زينة الأرض وتجميل الأحياء الصناعية تحتل بندا هاما فى ميزانية الصناعة بعد أن ثبت أثر الجمال على زيادة إنتاجية العامل .

أما الطرق العامة الرئيسية التى تربط المدن ببعضها فتزين كثير من الدول هذه الطرق بزراعة الأشجار والجزر الخضراء وتصميم شبكات الإنارة والإعلانات على إمتداد هذه الطرق تصميما جذابا ، كما تخطط الحدائق القومية والإقليمية والغابات السياحية والشواطئ لتجميل أقاليم الدول المختلفة .

وبالنسبة للكون وما فيه نجد أن الله يلفت النظر إلى النواحى الجمالية عند خلقه لمخلوقاته فإنه بجانب منفعتها يقول تعالى :

" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ..... " (السجدة : ٧)

ولقد أضاف الله أكثر من ذلك عندما مدح كثيرا فى المعانى بأنها من العمل الجميل فيصف الصفح والصبر والهجر بالجمال فيقول تعالى :

" .... فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " (الحجر : ٨٥)

" فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا " (المعارج : ٥)

" .... وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا " (المزمل : ١٠)

وبالنسبة للإنسان يقول الله تعالى :

" هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ .... " (آل عمران : ٦)

" وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ .... " (الأعراف : ١١)

" .... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ .... " (غافر : ٦٤)

" الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ "(الإنفطار: ٧،٨)

" لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " (التين : ٤)

ولقد إختلفت سلالة البشر طولا ولونا وشعرا ، إلا أن صورة الإنسان بقيت مثلا أعلى للفن والجمال ، وإتخذ قدماء المصريين مقاييسهم التى إستعملوها فى قياس المكان وعند بناء معابدهم من جسم الإنسان ، فأصبحت اليد مقياسا ، والأربع أصابع مقياسا أكبر وهو الكف ، والست (أو السبع) أكفف مقياسا أكبر وهو الذراع ، وهكذا القدم ، كما تمثل الأجزاء التى يتكون منها جسم الإنسان وعلاقتها مع بعضها أجمل النسب فى العالم ، فالنسب المعمارية الموجودة فى العمارة الفرعونية كمعبد الكرنك بالأقصر وأيضا فى العمارة الحديثة أخذت من النسب التى يتكون منها جسم الإنسان .

ولقد ذهب أحد رواد العمارة الحديثة فى هذا العصر وهو المهندس

المعمارى لوكوربوازيه إلى أن وضع تمثالا لإنسان بحجمه الطبيعى أمام مسكنه فى فرنسا ، وإستعمل النسب التى يتكون منها هذا الجسم ، فى بناء المسكن الذى عاش فيه ، وقال أن هذه النسب لا تلبى فقط متطلبات الجمال فى فن العمارة بل أيضا تلبى وتشبع متطلبات وظيفة المبنى نفسه ، كما تبين لنا النواحى الجمالية فى الكون من حولنا.

فبالنسبة للناحية الجمالية فى السماء يقول الله تعالى :

" وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ " (الحجر : ١٦)

" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا " (الفرقان : ٦١)

" إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ " (الصافات : ٦)

" أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ "(ق: ٦)

" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ .... " (الملك : ٥)

وبالنسبة للأرض يقول تعالى :

" إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا .... " (الكهف : ٧)

" وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ " (يس : ٣٤)

" وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (ق : ٧)

وبالنسبة للنبات يقول تعالى :

" .... جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا " (الكهف : ٣٢)

" .... فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ .... " (النمل : ٦٠)

" وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ " (ق : ١٠)

" .... انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ .... " (الأنعام : ٩٩)

وبالنسبة للأنعام يقول الله تعالى :

" وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ " (النحل : ٦)

" وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً .... " (النحل : ٨)

التخصص والتنسيق

سارت الحضارات منذ فجر التاريخ على أساس تجمع عدد من القرى حول مدينة تكون إما مركزا إداريا لهذه القرى أو سوقا تجارية لها ، تقوم القرى بالزراعة لسد حاجة سكانها من الغذاء والكساء وما زاد عن حاجتها تستبدله بسلع من المدينة ، وكانت المدينة تقوم بصناعة ما يحتاجه سكان هذه القرى من أثاث ومنسوجات وأوان وغيرها ، تخصصت القرى فى الزراعة والمدينة فى الصناعة ، وكانت هذه الصناعات يدوية وطرق المواصلات بين هذه التجمعات بدائية .

وساد هذا النظام (التكامل بين الزراعة والصناعة - تكامل الريف والحضر) على مر العصور حتى ظهرت الثورة الصناعية فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، عندما إكتشفت قوة البخار وإخترعت الآلة البخارية وإستخدمت فى الصناعة ، وترتب على ذلك ميكنة الصناعة وتحول العمل اليدوى إلى عمل ميكانيكى وتحول دكان الحرفة أو الورشة الملحقة بالمنزل إلى مصنع قائم بذاته ، وتحولت حياة الناس من حياة الريف إلى حياة الحضر .

وفى منتصف هذا القرن ، وبالذات بعد الحرب العالمية الثانية بدأت معدلات التغير أو التطور فى الصناعة - خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية - تسير لعجلة تزايدية هائلة تفوق بمئات المراحل ما حدث من

تغييرات أثناء الثورة الصناعية الأولى ، فلا تكاد تخترع آلة لإنتاج سلع معينة ويمضى وقت قصير على إختراعها أو تشغيلها إلا وتخترع آلة أخرى لإنتاج نفس السلعة تجعل السلعة فى شكلها الأول أقل جودة .

ويتمثل هذا التطور فيما يسمى بالآلية فى الإنتاج أو الأوتوميشن Automation وذلك بإستعمال أجهزة إلكترونية معقدة فى عمليات الإنتاج ، ولقد أدت هذه الآلية إلى التقسيم الواسع فى العمل وكثرة التخصصات وزيادة الطلب على المهارات العمالية العالية .

وأصبحت سمة هذا العصر التخصص الدقيق فى إطار التكامل ، ولقد قال هنرى فورد صاحب مصنع سيارات أمريكية ، إن السيارة التى تحمل إسمه يشترك فى صناعتها أكثر من ٥٠٠٠ مصنع ، كل مصنع يقوم بتصنيع جزء بسيط من هذه السيارة مثل المسامير والإطارات والألواح والياءات والمولدات والمحركات والمصابيح والمقابض والزجاج والتنجيد ، ثم يقوم مصنع فورد بتجميع هذه الأجزاء فى شكل سيارة ، كل جزء له مكانه ووظيفته ، تخصصات دقيقة فى إطار تخطيط وتصميم محكم وتنسيق وتكامل، وهذه سمة هذا العصر .

وإذا إنتقلنا إلى عالم الحيوان نجد الإنسان وصل فى خلقه إلى قمة التخصص الدقيق ، ووقف على الدرجة العليا من السلم الحيوانى ، بينما تقف الحيوانات ذات الخلة الواحدة (الأميبية) فى أسفل السلم ، وبين مرتبة الإنسان العليا ومرتبة الأميبا الدنيا مراتب عدة تتدرج فيها الحيوانات من حيث التركيب ووظائف الأعضاء حتى تصل القمة .

يبدأ السلم الحيوانى بالحيوانات ذات الخلية الأميبية ، وهى حيوانات ليس لها أجهزة ، وإنما تقوم الخلية بكل الوظائف من هضم ودورة دموية وتناسلية وغيرها . الإنسان يتغذى بالطعام فيهضمه وله جهاز خاص للهضم ،

والأميبة تتغذى بالطعام وليس لها فم ، فهى تصنع فمها عند الحاجة ، وليس لها جهاز يهضم الطعام ، تجعل من الفجوة التى حجزت الطعام جهازا هضميا، وأيضا ليس لها أيست يخرج منه ما لم يهضم من الطعام ، ولكنها تصنع إستها عندما تفرغ الفجوة ما فيها مما لم يهضم .

الأميبة ليس لجسمها شكل ثابت وتلتقى الأمبية وهى تتحرك فى الماء بقطعة من الطعام ، فتسرع وتلف حولها رجلا كاذبة عن يمين ورجلا كاذبة عن يسار ، ويلتقى طرفا الرجلين ، فإذا بالفريسة فى باطن الأميبة ، ويبدأ الهضم فى فجوة الطعام هذه ، وبعد الهضم يكون الإمتصاص للشيئ المهضوم ثم تنفجر الفجوة فتلقى بالذى لم يهضم خارج جسمها فى الماء ، ومن أجل ذلك يوجد بجسم الأميبة فجوات عدة بها قطع من الطعام على درجات من الهضم مختلفة ، وهكذا تقوم الخلية الأميبية بكل الوظائف من هضم وتنفس ودورة دموية وتناسلية .....

ويشبه الدكتور أحمد زكى* هذه الحيوانات بالكوخ الذى يسكنه الرجل الفقير ، كوخ يتكون من كان يعيش فيه ، ويأكل فيه ، ويستقبل ضيوفه فيه ، ويستحم فيه ، غرفة واحدة متعددة الوظائف .

وإذا صعدنا فى السلم الحيوانى وجدنا الحيوانات متعددة الخلايا كالإسفنج فى الدرجة الثانية ، ثم الحيوانات ذات التجويف البطنى كالمرجان فى الدرجة الثالثة ، حيث يقوم التجويف البطنى مقام الجهاز الهضمى ، فإذا صعدنا إلى الدرجة الرابعة وجدنا الديدان التى إرتفعت ببناء أجسامها إلى مرتبة ظهرت فيها بعض الأجهزة الموجودة فى جسم الإنسان واضحة تماما :

---

* أحد رواد الفكر والعلوم والثقافة وشغل مناصب عديدة أستاذا فى كلية العلوم ورئيسا لجامعة القاهرة ووزيرا للشئون الإجتماعية ورئيسا لتحرير مجلة العربى بالكويت وعضوا بمجمع اللغة العربية

جهاز للهضم ، وجهاز للتنفس وجهاز للدورة الدموية ، وكلما إرتقينا فى السلم إرتفعت الحيوانات تخصصا .

ثم إذا إرتقينا إلى الحيوانات الفقارية وجدناها تتميز بسلسلة من الفقارات فى ظهرها ، نجد فى أولها الأسماك يليها الزواحف فالطيور فالحيوانات ذات الثدى كالثعلب والخيل والبقر ، إكتملت خلقا وإزدادت تخصصا ،.فالحجاب الحاجر يفصل بين الجزء العلوى والسفلى ، والتنفس عن طريق الرئتين ، والقلب أربع حجرات ، والأطراف أربعة ، والمخ والجهاز العصبى أرقى مما هما فى سائر الحيوانات الأخرى .

ويشبه الدكتور أحمد زكى ذلك بالقصر يسكنه الرجل الغنى ، قصر يتكون من حجرات كثيرة ، كل حجرة لها وظيفة محددة ، يأكل فى غرفة ، ويشرب الشاى فى غرفة ، ويستقبل الزوار فى غرفة ، وينام فى غرفة ، وقد يفطر فى غرفة ، ويستحم فى غرفة ، ويطهى الطعام فى غرفة هكذا .

فإذا وصلنا إلى قمة السلم وجدنا الإنسان وقد إزداد كمالا وإرتقى تخصصا ، كل عضو تخصص فى وظيفة محددة : العين للرؤيا ، والأذن للسمع ، واللسان للتذوق ، والرجل للمشى .... هكذا ، يقول الله تعالى:

" .... وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ .... " (النحل : ٧٨)

وأبدع ما فى هذا الإنسان التنسيق والتكامل بين وظائف الأعضاء ، فكلها تعمل كفريق متعاون يقدم عملا متناسقا ، فالرئة والقلب والكلى والكبد والهرمونات .... تعمل بتنسيق وتوازن دقيق وتكامل ، كل جزء على علم بما يحدث فى الكل ، وكل خلية تعمل لتحيى ويحيى غيرها ، وتعمل الخلايا الأخرى لتحى ولكى تحيى هذه الخلية وهكذا .... تخصص دقيق فى إطار تكامل وتناسق وتوازن .

يقول الله تعالى :

" اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ " (الرعد : ٨)

" .... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " (الفرقان : ٢٩)

" إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * ..... * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ " (القمر : ٤٩ ، ٥٣)

" .... إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " (الطلاق : ٣)

" أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ " (المرسلات : ٢٠ - ٢٣)

يشمل مجتمع التربة الموجود تحت سطح الأرض البكتريا والحشرات والديدان الصغيرة التى تأكل النباتات والحيوانات المتحللة وتخرجها نفايات تغنى التربة بمواد جديدة ، كما توجد مخلوقات أخرى فى التربة كالنمل والنحل والفئران بعضها يأكل النباتات وبعضها يأكل آكلة النباتات .

أما مجتمع الغابة فيشتمل على الحشرات والثدييات والطيور والديدان، تعيش كل واحدة من هذه الكائنات على بعضها ، مجتمع ذى تدرج هرمى : آكلة النباتات تحول الطاقة إلى لحم وتحول هذا إلى حيوان أضخم ، وهذه بدورها تحولها إلى حيوان أضخم حسب الترتيب الهرمى ، وكل مجموعة تصبح أقل عددا كلما كبرنا حيث أن كل حيوان يعتمد على عدد أكبر من الأجسام الصغيرة .

ومن هذه الحشرات التى تعمل كفريق متعاون بشكل ظاهر النحل والنمل : فالنحل يعمل كفريق متعاون كل له وظيفة مخصوصة : تخصص وظيفى لتنفذ النظام بأعلى درجة من الكفاءة . ينقسم الأعضاء إلى فصائل كل

مجموعة بعمل خاص بشكل غريزى :

البعض له قدرة على الإنتاج ....

والبعض يبنى البيت ...

والبعض يخزن الطعام ...

والبعض يربى الأولاد ...

والبعض يقوم بدور التهوية ...

والبعض يقوم بدور الإستكشاف ...

والبعض يبنى وسائل الدفاع ...

والبعض يقوم بالحماية ...

وتتم العلاقات الداخلية والإتصال بين هذه المججموعة بدقة وكفاءة ، يقول الله تعالى :

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ " (الأنعام : ٣٨)

" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " (النحل : ٦٨)

وذهب النمل درجة أعلى من النحل حيث يهيئ الطعام بمعرفته فيبنى الحجرات ويزرع بعض الفطريات .

وإذا إنتقلنا إلى الكون وما فيه ، نجد التخصص فى إطار التكامل والتنسيق ، كل كوكب له مكانه المحدود وعلى مسافة معينة من الكواكب الأخرى الموجودة فى المجموعة التى ينتمى إليها ، والمجموعة لها مكانها المحدد بالنسبة لملايين المجموعات الأخرى ، فالنجوم والكواكب والأقمار تدور كمجموعة واحدة حول مركز مشترك بحيث تتم دورتها جميعا فى نفس الفترة ، بينما تظل المسافة ثابتة بين النجوم وبعضها ، فالنجوم البعيدة

الخارجية تسير بسرعة أكبر من النجوم الداخلية (التى تسير ببطء) حتى تقطع كل منها دورتها فى نفس الفترة .

فالقمر يدور حول الأرض والأرض تدور حول الشمس ، وتسير بسرعة ثابتة وعلى مسافة معينة من الشمس ، لا تقترب منها فيحترق ما عليها من سكان ، ولا تبتعد فيتجمد من على سطحها من شدة البرد ، ولا تزيد من سرعتها فيتطاير ما عليها من سكان ، ولا تقلل من هذه السرعة وتنقلب إلى طاقة حرارية عالية ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " (يس : ٣٨ - ٤٠)

تنسيق جميل ما أبدعه ....

وقديما جاء الفيلسوف الإغريقى فيثاغورس وأتباعه بنظرية عن الكون مضمونها أن الفترات بين النغمات الموسيقية تعادل المسافات بين الكواكب التى تكون سلما موسيقيا ، ولكل جسم سماوى نغمة موسيقية خاصة به ، وحين تسير هذه الأجسام فى مساراتها تتألف نغماتها لتعطى موسيقى جميلة ليست دنيوية ، ويصف الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بالتقدير السليم والتفضيل والصناع المتقن والتوازن ، فيقول الله تعالى :

" وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ .... " (النمل : ٨٨)

" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ " (الرحمن : ٥ - ٧)

" الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ .... " (الملك : ٣)

ولكن يتطرق إلى أصول الوظائف ، قسمت الكائنات الحية إلى المملكة الحيوانية والنباتية - ضم التقسيم المتشابه فكان النوع ، وكان الجنس ، والفصيلة ، والإختلاف - إختلاف الشكل - يكشف عن حكمة :

- اللواحم واحدة لأنها تأكل اللحم .
- والفقارات واحدة لأن بظهرها فقار .
- والرخويات واحدة لأن جسمها لين بلا عظام .

الخلية هى الوحدة التى تتألف منها الخلائق جميعا ، من حيوانات ونباتات ، وأن هذه الكائنات تتألف منها تركيبا ووظيفة ، وهى شبيهة فى كل الكائنات ، هى شيئ واحد إلا ما إقتضته ظروف الخلية وموضعها فى الجسم، تشمل تفاعلات كيماوية وعمليات حيوية وظواهر فيزيائية .

حلت الخلية فى الأساس من بناء الإنسان والحيوان والنبات ، وحدة قائمة فى أصول الحيوانات والنباتات ، فيها الدلالة الكافية على أن التصميم فى بناء الحياة جميعها واحد ، والأهداف من هذه التصميمات جميعها واحدة ، والخلية هى اللبنة الأولى التى تم بها بناء كل الحياة وواحدة فى بناء الحياة جميعا تركيبا ووظيفة ، تطابق فى أعلى درجاته ، فإذا كان بينهما إختلاف ، دعت إليه إختلاف الحاجات .

تتألف الحيوانات من شيئ لين جامد ، والشيئ اللين لا يتشكل ولا يكون له قوام إلا بالشيئ الجامد الصلب ، وهو الذى يقيم كيان الحيوان وهو هيكله ، والهياكل ذات الفقاريات - الوحدة بينها العمود الفقرى ، الهيكل يكاد يكون واحدا (بإستثناء السمك) ولكن بالطبع يطرأ عليه تبديل ، يكاد يكبر أو يصغر إذا إنتقلنا من شعبة لأخرى ، والتبديل الحادث والتغير إنما يكون لإختلاف البيئة وإختلاف ضرورات الحياة فى كل وحدة ، إنها الوحدة الشاملة فى الأحوال مع التغير الذى تفرضه ضرورات العيش .

السمك به هيكل عمود فقرى ولكن ليس له مثل الإنسان يدين ورجلين لأنه لا حاجة له بهما ، لأنه يعيش فى الماء ولكن قد تخرج من جسمه زعانف عدة هى أوفق ما تكون لسابح فى ماء ، ومع هذا نجد هذه الزعانف زوجا منها يعرف بالزوج الصدرى ، وآخر يعرف بالزوج الخلفى ، وكلاهما زعانف حلت محل اليدين والرجلين فى الحيوانات الفقارية الأخرى .

وفى الطير حلت الأجنحة محل الأيدى لأنها تطير ، ولو قارنت عظام اليد فى الإنسان بعظام الجناح فى الطير لوجدت كلاهما يعتمدان على تصميم واحد .

" وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .... " (النور : ٤٥)

طعام الإنسان هو طعام سائر الحيوانات ، الحيوانات كلها تأكل الطعام وتهضمه ، وإختلف الطعام فإختلف الجهاز ، ولكن التغذية كلها واحدة، وإختلف الجهاز لإختلاف الطعام ولكن الغاية واحدة ، وإن إختلفت الأجهزة فأساس تصميمها واحد : الوحدة ظاهرة من حيث إشتراك فى طعام واحد ، وهضم له ، وطريقة هضمه ميكانيكيا بالسحق ، أو كيماويا بتحليل المعقد من الجزئيات ، ومن حث إمتصاص الطعام المهضوم وإنتفاع الجسم به .

كل حيوان يدب على الأرض أو يسبح فى الماء أو يطير فى الهواء يحتاج ليعيش أساسا إلى طعام ، والطعام أصوله أصول واحدة : بروتين ونشا ودهون. وكل حيوان لا ينتفع بغذائه هذا إلا إذا تزود معه بالأكسجين ، وهذا التزود هو الغاية من التنفس ، وهذه الحاجة إلى الأكسجين هى الوحدة الشاملة

هذا الغذاء بعد هضمه وبعد توزيعه على خلايا الجسم ، لابد وأن يتفاعل مع الأكسجين الذى يتوزع على خلايا الجسم تفاعلا كيماويا ، وينتج عن هذا التفاعل كل طاقات الحياة ، من حركة وفكر ودفء وبناء ما فقد عن

إستهلاك ، وينتج عن هذا التفاعل ثانى أكسيد الكربون .

التنفس فى الحيوان والإنسان عن طريق الرئة ، وفى الأسماك عن طريق الخياشيم ، وفى الأميبا ذات الخلية الواحدة عن طريق الجلد ، والرئة فى الحيوان والإنسان تمتلئ بالهواء ، والإنسان والحيوان يعيش فى الهواء ، السمك فى حاجة إلى هواء إذا إستبدلت الرئة بالخياشيم ، يجرى فيها الماء بهوائه ، فيتمص الدم الذى يذهب إلى الخياشم الأكسجين الموجود فى الماء ، الحيوانات البسيطة يصل إليها الأكسجين عن طريق الجلد .

الطعام الذىنأكله له بقايا ، تهضم الأمعاء الطعام سواء كان بورتينا أو سكرا أو نشا أو دهنا ، وتتخلف منه بقايا لا تهضم ، فهى تسير فى الأمعاء حتى تخرج فى آخر المسيرة عن طريق الإست - والنفايات لها طرق للتخلص منها حسب نوعها :

- الإست طريق للتخلص من فضلات الإنسان الصلبة .
- الرئتان (فى الحيوان) للتخلص من ثانى أكسيد الكربون نفاية ثانية .
- الكليتان والأجهزة البولية هى السبيل للتخلص من النشادر والبولينا وحامض البوريك .

النفايات التى تخرج من الكائنات الحية نتيجة لتفاعلات واحدة متشابهة فى سائر الحيوانات ولو إختلفت درجات التشابه - وحدة واحدة.

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ "(الأنعام: ٣٨)

الروح والجسد - المعنى والصورة

الثنائية مذهب و منهج من مناهج الفكر القديم ، مهدت له الطبيعة التى أوجد الله فيها هذه الثنائية بأن جعل من الزمان ليلا ونهارا ، فالليل أسود والنهار أبيض ، وفى الليل العمى وفى النهار الإبصار ، وفى الليل الضلال

وفى النهار الهدى(١) ، ومن هذه الثنائية الطبيعية القديمة الأولى ، إهتدى الإنسان إلى سائر الثنائيات وضمنها صورا فلسفية وعقائد دينية فكانت منها : ثنائية الخير والشر - وثنائية الحياة والموت - وثنائية الروح والجسد - وثنائية الوجود والعدم - وثنائية المعنى والصورة - إيمان وكفر.

ولا تستوى هذه الأشياء وأضدادها فلا تستوى الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات.

وتعد حياة الإنسان فى كل مكان وزمان إستقطابا حادا بين الألم واللذة ، بين السعادة والشقاء ، بين الصراع والتوافق .

وحياة الإنسان فى جوهرها تعارض وتوافق ، صراع وتمزق ، يعبر الصراع عن حالة ثنائية أو الإزدواج الذى يتسم به الوجود البشرى ، وربما كان المظهر الأكبر لشقاء الإنسان فى كل زمان ومكان أنه وعى وأدرك هذه الثنائية ، مع شعوره فى الوقت نفسه بعجز عن تجاوز هذه الحالة من الإنقسام : الإزدواج - الصراع - القلق - التمزق(٢) وعلاقة الإنسان بربه أحد طريقين ، يقول الله تعالى :

" وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " (البلد : ١٠)

تسأل الناس عن المادة والروح ، وعن الجسم والعقل ، وهل هما حقيقتان مختلفتان ، أم هما شيئ واحد ، أى لا شيئ إلا المادة ، وأن الفكر ليس إلا مظهرا من مظاهر المادة ، بدأ هذا التساؤل من قديم الزمن. نظر الإنسان فى الكون فرأى السماء والأرض وما على الأرض من أحياء وأشياء فضلّ وتاه بينهما ، غمره زحامها ، ويأبى الفكر الزحام فيضل ويتوه ، فراح

---

(١) أحمد زكى : أهل اليمين وأهل اليسار- مجلة العربى -العدد ١٩٩١ - أكتوبر ١٩٧٤- الكويت

(٢) زكريا إبراهيم : السعادة والشقاء - مجلة العربى - العدد ١٧٩ - أكتوبر ١٩٧٣.

يقسم ما يرى ، فيجمع بين الأشياء المتشابهة ويباعد بين ما إختلف منها .

بدأ بالحيوان وما فيه من حركة ، وإنتهى إلى النبات فوجد أن النبات قد خفت فيه الحركة ، ولكنه يظل حيا ، ويظل يتحرك ولو حركة بسيطة لا تحس ودليلها النمو الحادث .

ثم ينتقل الإنسان من النبات إلى الجماد ، فيجد أن كل مظاهر الحياة قد تعطلت ، أصابها السكون ، إلى أن يحركها محرك ، وخرج من ذلك بأن الأشياء فى الدنيا على نوعين : أحياء وجوامد ، ويجمع ما بين الأحياء والجوامد ما بها من مواد متشابهة وهى المادة .

تجمع بين الأحياء الروح والمادة ، والروح حركة ونمو وسوائل ودم يدور ، و الروح غذاء يهضم ويتمثل ، وأرحام تلد ، أو هى براعم تزدهر ثم تثمر .

وتتمخض الروح عن الفكر ، والفكر فى الإنسان قوى واضح ، والفكر فى الحيوان ضعيف عاجز ، من هذا تبين للناس والفلاسفة ، أن هناك المادة والروح ، هناك الأجسام ومع الأجسام العقول ، وإذا قلنا الأجسام عنينا المادة وإذا قلنا العقول قصدنا ما هو غير مادى .

تلك هى الصورة الثنائية التى عرفها الفلاسفة قديما ، ثنائية Daulism جرت فى الأقدمين بين الناس جميعا ، جمعوا بين إثنين : النور والظلام ، الحر والبرد ، الجفاف والرطوبة ، الخير والشر .....

وكان الإغريق أول من إبتعد بالثنائية عن غلبة معنى الخير والشر عنها ، وبنوها أساس على الفكر النظرى الفلسفى ، فقالوا مادة وغير مادة ، وأن هناك عقلا كونيا قائما باقيا دائما يخرج أشياء هذه الدنيا من الفوضى إلى النظام ، ويفارق بين الأصناف والأنواع ، ويرد أفلاطون (٤٢٧ - ٣٥٧ق.م) الأحياء إلى أصول لا مادية هى الأصل ، وهى الحقيقة ، وهى الخالدة ، وإلى

أشكال تتقمصها مادية ، هى التى نراها ، وهى التى يعتريها النقص ، ويعتريها العجز ، وهى تبقى إلى حين ، وهنا يضع أفلاطون فى ثنائية الأصل اللامادى فوق المادى .

إلى جانب النظرية الثنائية ، توجد نظرية معارضة ، تقضى بأنه لا يوجد فى هذا الكون غير حقيقة واحدة لا إثنين ، هى المادة وليس هناك غير المادة ، ويقولون أن المخلوقات الحية لا تتألف من شيئن مادة وروح خالدة ، إنما هى تتألف من جسم مادى فقط ، ويسمى هذا المذهب بالمذهب الواحدى Monoism أى أن الأحياء شيئ واحد ، ويعتمد أصل هذا المذهب على رأى مذهب النشوء والإرتقاء ، فعند هؤلاء أن الحياة الأولى نشأت من مواد عضوية لا حياة فيها ، ثم تدرجت بالحياة فى شتى مراحلها .

ويأتى الماديون الجدليون إنجلز وكارل ماركس يقولون أن العقل يعتمد على المادة ، فإذا تحدثوا عن العقل أبهموا ، فعندهم أن العقل غير المادة.

ويقول أحمد زكى أن الذين يقولون بالمادة وحدها لا ينكرون من ليسوا بماديين ، وأن الثنائيين كانوا فى بحوثهم أهدى سبيلا ، وأكثر إقناعا من الماديين الذين إرتابوا فى الروح ورفضوها* .

وتتفق جميع الكتب السماوية : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ليس على وجود الروح فقط ، وأن الفكر مظهر من مظاهر الروح ، بل تتفق أيضا على بقائها وخلودها ، أما عن كنهها فقد جاء فى القرآن الكريم " وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي " (الإسراء : ٨٥) وإذا عجز أهل الفكر وأهل الفلسفة عن إثبات وجود هذا الأمر لم يبق لنا إلا الرجوع إلى المصادر

---

* أحمد زكى : المادية والروحية عند الفلاسفة - مجلة العربى - العدد ١٤٧ - فبراير ١٩٧١.

التى نهرع إليها دائما عندما تتعطل مصادر العقول.

يقول الله تعالى :

" قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ " (البقرة: ٣٢)

وإذا إنتقلنا من ثنائية الروح والجسد إلى ثنائية المعنى والصورة نجد أن الله تعالى يقول فى سورة الملك : " الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ .... " (الملك : ٢) .

والموت اسم معنى وله صورة فى الخارج تدل عليه وهىالسكون وعدم الحركة ....

والحياة اسم معنى ولها صورة فى الخارج تدل عليها وهى الحركة والنمو والتكاثر والتطور ....

والأنشطة التى يباشرها الإنسان فى هذه الحياة تتعدد صورها أى كل نشاط (معنى) له صورة أو أكثر فى الخارج تدل عليه .

- فالعبادة نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل المسجد أو الكنيسة ....
- والتعليم نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل المدرسة أو الجامعة ....
- والطب نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل المستشفى أو العيادة ....
- والمسكن نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل العمارة أو الفيلا ....
- والترفيه نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل السينما أو الحديقة ....
- والنقل نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل الطريق

أو السيارة ....

- والنصاعة نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل المصنع أو الورشة ....
- والتجارة نشاط (اسم معنى) وله صورة فى الخارج تدل عليه مثل المتجر أو السوق ....

وكل نشاط من هذه الأنشطة له خبراؤه الذين يقومون بالتخطيط له ، فهناك خبراء فى التعليم والطب والإسكان والترفيه والصناعة والتجارة وكلها أنشطة إجتماعية إقتصادية ، وبمعنى آخر يوجد خبراء يخططون فى كافة هذه المجالات بهدف النهوض بالمواطن عن طريق توفير فرص عمل له ورفع دخله وتوفير كافة الخدمات العامة له .

أما صور هذه الأنشطة : المسجد - الكنيسة - المدرسة - الجامعة - المستشفى - المصنع - السوق .... فلها خبراؤها المتخصصون من المهندسين الذين يصممون هذه الصور ويخططون مواقعها حتى تؤدى وظائفها على الوجه الأكمل - بمعنى آخر يخططون الأرض للإستعمالات السكنية والتجارية والصناعية والترفيهية ، فيخططون المصانع غير المضرة بالصحة أو المقلقة للراحة بجوار سكن العمال ، والمدرسة الإبتدائية بجوار سكن التلاميذ ، ويوزعون الحدائق على الأحياء السكنية ويخططون شبكات طرق لهؤلاء السكان .... وهؤلاء الخبراء هم خبراء التخطيط العمرانى .

ويتضح من هذا أن التخطيط معنوى ومادى :

- تخطيط معنوى وهو تخطيط للأنشطة المختلفة وهو التخطيط الإجتماعى والإقتصادى .
- وتخطيط مادى (عمرانى) وهو تخطيط لصور هذه الأنشطة .

ومن التخطيط الإجتماعى الإقتصادى والتخطيط العمرانى يتكون التخطيط

الشامل : معنى وصورة ، والإنسان جسد وروح .

الحكم المركزى والمحلى

كان النظام الإقطاعى سائدا فى أوروبا فى القرون الوسطى ، حيث كانت السلطةِ مجزأة وموزعة بين أمراء الإقطاع ، يملك كل واحد كل خصائص السلطة العامة فى حدود إقطاعيته ، ويبدو الملك بينهم كرب إقطاع كبير ، ولكن لا يكاد يمارس سلطة فعلية خارج حدود إقطاعيته الخاصة ، وكانت الوظيفة الإدارية بدورها مفتتة وموزعة بين المدن والأقاليم .

وعندما قامت الدولة الحديثة فى القرن السادس عشر بعد أن تغلب الملوك على أمراء الإقطاع ، وإستحوذوا على السلطة التى يتمتع بها هؤلاء الأمراء وتمكنوا من تحقيق الوحدة السياسية ، وبسط كل ملك سلطاته على مساحات كبيرة من الأرض ، تضم العديد من الوحدات المحلية من مدن وقرى ومقاطعات ، سعى هؤلاء الملوك إلى تثبيت فكرة الدولة وتدعيم سلطاتها ، وإخضاع كل أقاليمها لسلطة واحدة ، تناسب الدولة على أساس الملكية المطلقة ، وتركيز السلطة الدستورية فى يد الملك .

وقام التنظيم على الأسلوب المركزى الشديد ، وغدت سلطة التنفيذ فى كل مظاهرها بيد الملك أو الحاكم ورهن إرادته ، بحيث لم يكن لعماله فى ربع البلاد سلطة البت النهائى فى أمر من الأمور بعيدا عنه ، وقد ساعد على هذه المركزية المتطرفة أن الوظائف فى ذلك الوقت كانت محدودة للغاية ، وقاصرة على الدفاع الخارجى والأمن الداخلى وإقامة العدالة ، بحيث كان فى مقدور المركزية أن تبت فى هذه الأمور القليلة.

على أن السلطة المركزية المطلقة لم تصمد طويلا أمام التيارات والضغوط الشعبية ، التى طالبت بتقييد سلطة الحاكم تدريجيا وتوزيع السلطة

السياسية - إعمالا بمبدأ الفصل بين السلطات ، وأصبح عدم التركيز السياسى ظاهرة ، بدأ ذلك أولا فى إنجلترا ثم فى الولايات المتحدة ، ثم فى فرنسا بعد ثورتها الكبرى.

وبعد ظهور الثورة الصناعية إتسع نشاط الدولة ، وتعددت مظاهر تدخلها فى المجالات الإقتصادية والإجتماعية ، وتعقدت مظاهر الحياة ، وترتب على ذلك أن تعددت واجبات الوزير ، وإتسع نطاقها عما كانت عليه من قبل ، وأصبح من المتعذر عليه - إن لم يكن من المستحيل - كما لم يعد أمامه الوقت الكافى - أن يتولى أمر البت فى كل كبيرة وصغيرة فيما يتعلق بشئون وظيفته الإدارية بأعمال الوزارة التى يتولاها ، وأصبح الخروج علىالنظام المركزى المتطرف ضرورة عملية إقتضتها الظروف لتخفيف العبء عن كاهل الوزير .

وقد تنازلت السلطة المركزية عن بعض إختصاصاتها لفروع الجهاز الإدارى المركزى فى إقاليم الدولة المختلفة ، وهى عبارة عن أن يفوض الوزير بعض موظفى وزارته التابعين له فى الأقاليم سلطة البت فى بعض الأمور دون الرجوع إليه ، ولا تعنى سلطة البت هذه إستقلال هؤلاء الموظفين عن الوزير ، إذ أنهم يمارسون هذه السلطة فى نطاق السلطة الرئاسية ، ومن ثم فهم تحت إشراف رؤسائهم الإداريين وعلى رأسهم الوزير.

وإمتد بعد ذلك تنازل السلطة المركزية عن بعض خصائصها إلى أبعد من ذلك ، تحت تأثير ضغط الإتساع المتزايد لنشاط الدولة وتنوعه من ناحية ، وتأثير الأفكار الديمقراطية من ناحية أخرى ، فتنازلت السلطة المركزية فى هذه المرة عن جزء من إختصاصاتها وسلطاتها إلى مجالس أو هيئات محلية من أبناء الأقاليم ، تتميز بنوع من الإستقلال ، بحيث لا تعتبر

منفذة لأوامر وتعليمات تتلقاها من السلطة المركزية ، وذلك على أساس مشاركة أبناء الأقاليم فى إدارة شئونهم المحلية ، وفى تسيير المصالح التى تتصل بهم إتصالا مباشرا ، وسمى هذا النظام بالإدارةالمحلية أو الحكم المحلى

ويتحقق نظام الإدارة المحلية بمنح الإقليم الشخصية الإعتبارية ، وتعطى الحكومة المركزية فى هذه الحالة الوحدة المحلية (سواء كانت أقليما أو مدينة أو قرية) قدرا من السلطة والتمويل للإشراف على ما بالوحدة من مرافق وتوفير الخدمات الأساسية .

وتقوم فلسفة هذا النظام على أساس أنه من الأفضل أن يترك الإشراف على المصالح المحلية لمن يهمهم أمر هذه المصالح ، وهم ابناء الإقليم نفسه أو المدينة ، وأن تتفرغ الدولة كحكومة مركزية للمصالح القومية التى تهم الدولة ككل .

ويخضع الحكم المحلى أو الإدارة المحلية لإشراف ورقابة الحكومة المركزية ، وتختلف درجات الرقابة والإشراف التى تمارسها الحكومة المركزية من دولة لأخرى ، إلا أن هناك معيارا لرقابة الحكومة وهو الصالح العام فى كل دولة وإعتبارات السيادة والوحدة القومية .

وتتحصر أهداف الإدارة المحلية فى معظم دول العالم إلى حصول أفراد الشعب على إحتياجاتهم ، وتوفير الخدمات الأساسية اللازمة بطريقة سهلة وميسرة وعادلة وبأسلوب عملى فعال ، والإرتفاع بالمستوى الإجتماعى فى الريف والحضر على حد سواء ، وضمان وصول الخدمات إلى الجماهير بدون مشقة ، وبجانب هذه الأهداف أصبح الحكم المحلى ، أو الإدارة المحلية وسيلة لتطبيق النظم الديمقراطية وممارسة الشعب لحقه فى المساهمة الفعالة فى تصريف شئونه وأموره فى الريف والحضر .

ويتضح من هذا أن الحكم مركزى ومحلى .

الإنسان والحيوان :

وإذا إنتقلنا إلى عالم الإنسان والحيوان وجدنا أن جسم الإنسان به الملايين من الخلايا كالمدينة بها الألوف والملايين من السكان ، حاجات لكل خلية تشترك جميعا فيها ، وحاجات تخص بعض الخلايا دون البعض .... حاجات خاصة وحاجات عامة ، وصانع كل ذلك خلايا الجسم نفسها ، والمنتفع بكل هذه الخلايا الجسم نفسها .

لذا وجب أن يكون فيها ترتيب وتوقيت وإلا كانت الفوضى ، وفى جسم الإنسان إدارة مركزية للحكم ورئاسة مكانها المخ ، وشبكة من المواصلات تجرى بين الخلايا للتدبير والتنسيق وسبيلها النخاع الشوكى ، ويخرج منه أعداد هائلة من الفروع نسميها أعصابا .

المخ فى جسم الإنسان الذى يمثل الإدارة المركزية العليا حيث يتحكم فى كل إرادية أو غير إرادية ، فعندما يتلقى المخ إشارة من أى عضو يقوم بالدراسة الفورية ، ونتيجة هذه الدراسة يرسل المخ الأوامر عن طريق شبكة الأعصاب إلى العضو المعين بما يجب أن يفعله ، ويعاون المخ فى هذه العمليات جهاز الأعصاب الذى يتكون من شبكة أعصاب رئيسية وأخرى فرعية تتصل بكل خلايا الجسم .

فالعين لها شبكة أو حزمة من الأعصاب وللأذن حزمة وللقلب حزمة أخرى وهمذا ... وكل حزمة تنقسم إلى مجموعتين : مجموعة تتلقى الإحساس من العضو فترسله إلى المخ ، ومجموعة تتلقى الأوامر من المخ بما يجب أن يفعله العضو .

كما يوجد فى خلايا المخ مجموعات رئيسية للإحساس ومجموعات ردود الفعل ، وتنقسم المجموعة إلى أقسام فرعية : منها ما يتصل بالبصر والحس والشم والذوق ... ومنها ما يتصل بالأعضاء كالأيدى والأرجل

والأصابع والقلب والرئة والمعدة وغيرها .

فعندما تتلقى مجموعة الإحساس الموجودة بحزمة الأعصاب فى أى عضو بالجسم ترسل إشارات إلى المخ ، فتتلقى مجموعة الإحساس الموجودة بالمخ هذه الإشارات ، ويقوم المخ بالتفاعل والدراسة الفورية ، ونتيجة هذه الدراسة ترسل مجموعة ردود الفعل الموجودة فى المخ إشارات إلى العضو عن طريق المجموعة المسئولة عن تلقى الأوامر بحزمة أعصاب هذا العضو بما يجب أن يفعله ، عشرات من الإشارات والعمليات تتم فى وقت واحد .

هذا ما يحدث على المستوى المركزى (المخ) وبجانب هذا يقول رجال الطب أنه يوجد جهاز عصبى تلقائى ذاتى فى جسم الإنسان Automativ Nervous System يعمل هذا الجهاز دون أن تتدخل فيه إرادة الإنسان ، أى أن الإنسان لا يستطيع أن يتدخل فيه لو اراد ذلك .

فالإنسان يعلم أن قلبه ينبض ٧٠ نبضة فى الدقيقة ويمكنه أن يقيسها وقد تزداد هذه النبضات وقد تهبط ، ولا يستطيع أن يزيدها أو ينقصها ، وهو يأكل الطعام ويقول أنه يهضمه وهو لا يهضم شيئا ، إن المعدة هى التى تهضم ، وهى التى تفرغ الطاعم بعد هضمه ، وهى التى تدرك أن الطعام قد هضم وحان وقت إفراغه فى الأمعاء ، والأمعاء تجود بعصارات الهضم فى الوقت المناسب ، وهى التى تمتص كل هذا ، والإنسان غافل عن هذا .

إن كل هذا من عمل الجهاز العصبى التلقائى أو الذاتى لأنه يدير ذاته بذاته فى إطار من المركزية ، إن له الحكم المحلى الذى لا يرجع فيه إلى السلطات العليا فى المخ حيث الوعى والإرادة .

يتضح من هذا أن الجسم يتكون من إدارة مركزية تشرف على كل خلايا الجسم ، وحكم محلى يعمل فى إطار هذه المركزية ، وكما فى الدولة فكذلك فى الجسم تتحقق أحداث بعلم وإملاء مراكز الحكم الواعية فى المخ ،

وتتحقق أخرى بين عضو فى الجسم وعضو آخر فى غيبة الوعى الإنسانى ، إذا لم يكن من الضرورى أن تعنى مراكز الحكم الكبرى فى المخ بكل حدث يجرى فى الجسم .

* * *

وإذا إنتقلنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله تعالى يقول :

" وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ .... " (النحل : ٥١)

" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .... " (الأنبياء : ٢٢)

" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ " (المؤمنون : ٩١)

" هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (الحديد : ٣)

وأرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله إلى الناس ترسم لهم طريق الحياة المستقيم ، وتوضح المنهج الذى يسيرون عليه ، وتبين لهم أن ما نزل فى القرآن منهج يأمر بالمعروف والعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر ، أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، محور الرسالات واحد: إيمان بالله وعمل صالح ، وحدة ظاهرة فى أصول كل الرسالات ، يقول الله تعالى:

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " (إبراهيم : ٤)

" .... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .... " (النحل : ٤٤)

ولله المثل الأعلى ، فإذا كان جسم الإنسان المحدود الأعضاء لا يدار إلا من إدارة واحدة مركزية ، ولو كان فى الجسم إدارتان لإنتابه الشلل والعطل ، فإن الإنسان فى هذا الكون الكبير أشبه بخلية فى الجسم فهذ الكون لا يستقيم أمره إلا بإله واحد هو الله وحده وهو المنعوت بكل صفات الجمال والكمال ، إله واحد دعت إليه جميع الرسالات من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام .

السلطة والعلم

ختمت كثير من آيات القرآن الكريم بصفتين من صفات الله تعالى مثل : الرحمن الرحيم – الغفور الرحيم – السميع البصير – القوى العزيز – اللطيف الخبير ، وكل ثنائية تتناسب مع الآية المرتبطة بها وتتمشى معها ويتطلبها السياق ، فقد تستلزم آية أن تنتهى بالسميع العلم – بينما تتطلب آية أخرى أن تكون النهاية السميع البصير .... وهكذا .

والثنائية التى نحن بصددها هى "العزيز العليم" فبعض آيات القرآن إنتهت بقوله تعالى "ذلك تقدير العزيز العليم" .

فيقول الله تعالى :

" فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " (الأنعام : ٩٦)

" فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " (فصلت : ١٢)

" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " (يس : ٣٨)

أى أن الله خلق صبح النهار وجعل الليل سكنا .... وذلك بتقدير وبتدبير وبحساب دقيق من صاحب السلطة العليا الذى لا يقهر ، الغالب بقدرته على كل مقدور – العالم بكل صغيرة وكبيرة والمحيط علمه بكل معلوم أى أن الخلق تم بتدبير من قوى قادر وعالم .

يقول الله تعالى :

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا " (الطلاق : ١٢)

فالله سبحانه وتعالى له الحاكمية المطلقة وهو صاحب السلطة فى

تقدير وتدبير هذا الكون برمته لأنه هو العزيز العليم بكل ما فى هذا الكون .

وإذا إنتقلنا إلى شئون العمران نجد أن تخطيط التجمعات العمرانية من مدن وقرى يعتمد على دعامتين أساسيتين هما : العلم والسلطة : علم يعد على أساسه التخطيط ، وسلطة تنفذ وتراقب وتشرف على هذا التخطيط .

ويشمل تخطيط العمران عمليات المسح الشامل ومباحث ميدانية فى كافة المجالات : ففى مجال البيئة الطبيعية يشمل النواحى الطبوغرافية والجيولوجية لأرض المدينة والمناخ والمياه والموارد الإقتصادية والغطاء النباتى للأرض المحيطة بالمدينة ، وفى مجال البيئة العمرانية تشمل عمليات المسح دراسة إستعمالات الأرض المختلفة السكنية والتجارية والصناعية والترفيهية والأرض الفضاء ودراسة حالة المبانى والبيئة المحيطة بها والنواحى الجمالية ، ومباحث عن شبكات الطرق والمرافق العامة وفى مجال الدراسات الإجتماعية يشمل المسح سكان المدينة والزيادة الطبيعية لهم ومعدلات الوفيات والمواليد وخصائص السكان بالنسبة لحجم الأسرة والزواج والطلاق وأوجه الإنفاق ونشاطهم .

وفى مجال الدراسات الإقتصادية يشمل المسح الدخل والإنفاق والإدخار والإستثمار والأجور والقوى العالمة والأنشطة التجارية والصناعي والسياحية والزراعية إن وجدت .

وعلى ضوء هذه الدراسات يعد المخطط العام للمدينة ثم يوافق عليه مجلس المدينة ويعتمد من المحافظ أو من الوزير وينشر فى الوقائع الرسمية ، ليصبح مستندا رسميا تسير عليه المدينة فى عمليات التنمية .

وبعد إعتماده ينتقل تخطيط العمران إلى مرحلة التنفيذ ، وما لم توافق عليه السلطة (مجلس المدينة والمحافظ والوزير) فلا قيمة له ولهذا السبب كان من خصائص تخطيط المدينة أنه وظيفة حكومية ومسئولية

الحكومة .

ومن هذا يتضح أن تخطيط العمران علم وسلطة - كما أن تدبير الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون إرتبط بصفتين : العزيز العليم "ذلك تقدير العزيز العليم" .

المكان

بلغ الإنسان فى قياس مكانه وحساب زمانه إلى أجزاء متناهية فى الصغ فاقت قدرته على تصورها، وإلى أشياء من الكبر عجز خياله عن إستيعابها ، وفى عجز عينه عن إدراكه الصغير ، وفى عجز تصوره عن إستيعاب الكبير ، راح يتفرغ وعيه فى إدراك حاجات العيش ، وهى تقع من الأمور فى أواسطها .

يعيش الإنسان فى مكان فهو يريد أن يعرف البعيد من القريب ، وهو يعيش بين الشجر والطير والأشياء من أحياء وغير أحياء ، وهذه تعطيه معنى الكبر ومعنى الصغر ، فهو يريد أن يعبر .... يحتاج إلى مقياس .

قاس المصرين قديما الأشياء بالأصبع ، الأربع أصابع التى فى اليد غير الإبهام يكون عرضها كعرض الكف ، فهذا هو المقياس الأكبر بعد الأصبع ، وضموا سبعة أكف من هذه مع بعضها فكان الذراع ، وهو يد الرجل من المرفق إلى طرف الأصبع الأووسط ، ولا يزال الذراع شائعا (شكل ٤).

ونسمع عن الفرسخ عند العرب وهو نحو ٨ كم ، ونسأل عن المسافة بين بلد وبلد فيقال أنها مسيرة عشرة أيام بلياليها بالنياق ، وليست النياق ثابتة السرعة ، ولعل هذا القدر من المقاييس كان فى قديم الزمان كافيا لسائر الناس وسائر حاجات العيش .

الرجل المصرى القديم اتخذ من جسمه مقاييس الاطوال والاعراض
فاربع اصابع = كفا
ستة اكف = ذراعا
والقدم = قدما

لعبت : في الصورة الاجرام الطبيعية التي اعتمدنا على حركاتها المنتظمة في تقدير زماننا .
فالارض تدور حول الشمس دورة كاملة ، فهذه هي السنة .
والقمر يدور حول الارض دورة كاملة ، فهذا هو الشهر .
والارض تدور على محورها دورة كاملة ، فهذا هو اليوم .

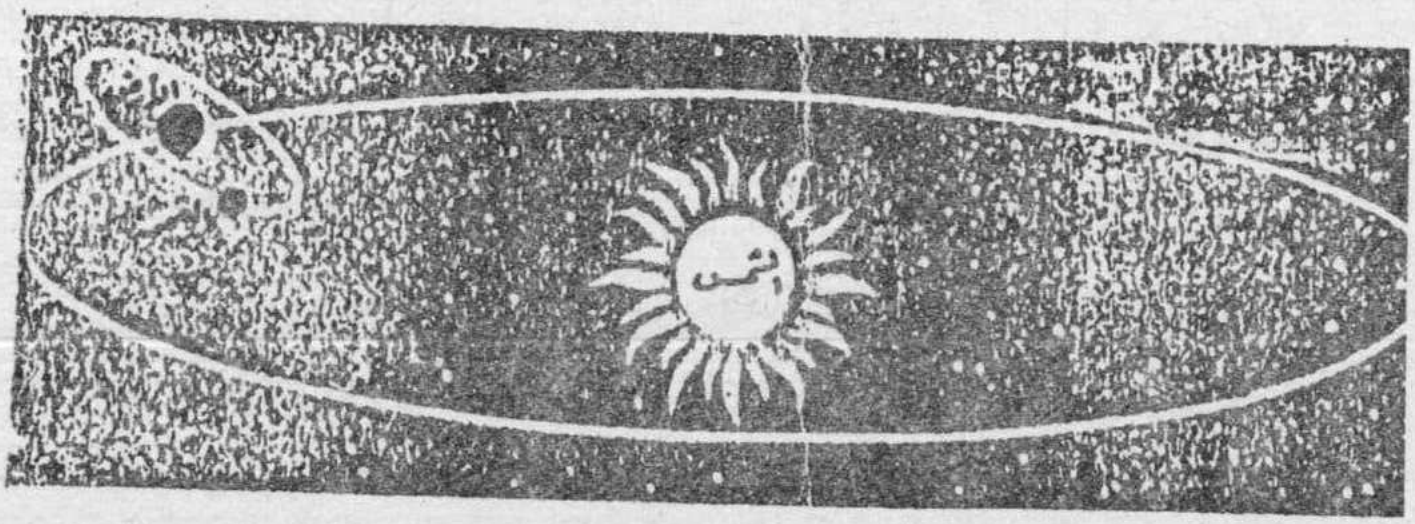

قياس الزمان والمكان

شكل (٤)

وعند الإنجليز البوصة والقدم واليادرة ، أما بقية الأمم فإن المقياس الشائع هو المتر ، وفرنسا أول الدول التى إتخذت المتر مقياسا لها .
يقول الله تعالى : " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ " (سبأ : ١٨) .

الزمان

عندما أراد الإنسان أن يقيس مكانه بدأ يعتمد على الطبيعة وما بها من ثوابت كما ذكر سابقا ، وكما كذلك إعتمد على الطبيعة فى قياس زمانه نظر إليها فوجدها حاضرة تلبى طلبه .

يصعب وضع تعريف واضح للزمن ، فالزمن هو الوقت والوقت هو الحياة ، والحياة مرتبطة بأذهاننا ببقائنا على الأرض بينما الحياة على إطلاقها قديمة منذ خلق الله الأرض ومن عليها إلى يوم القيامة.

وبعبارة اخرى فإن الإنسان مستخلف فى الأرض وليس أصلا فيها ، فالشمس والقمر تبقى إلى يوم القيامة ، ولكن الإنسان عمره محدود فى هذه الدنيا ، لذلك لا يقارن إنسان عمره بعمر الأرض ، ولا بإمتداد الحياة عليها ، لأنه خارج عن ذلك كله ، بل يقارن عمره بالسنوات التى يحياها ، ثم بعد ذلك لا علاقة له بما سيحدث ، تعمر الأرض مئات السنين أو ملايين الإنسان شيئ لا علاقة له به .

وإرتبط الزمن فى أذهاننا بعلاقة الليل والنهار ، فإتخذ اليوم من دورة الأرض حول نفسها دورة كاملة ، والشهر من الدورة القمرية حول الأرض دورة كاملة ، والسنة من دورة الشمس دورة كاملة (شكل ٤) ، ودرج الناس على إستعمال الساعة لمعرفة الوقت وقياس الزمن ، يقول الله تعالى :

" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا " (الإسراء : ١٢)

وتوجد تقاويم عدة أشهرها التقويم الميلادى والهجرى والقبطى والعبرى والسيريانى ، والتقويم الميلادى يرتبط بحركة الشمس ، والدورة فى هذا التقويم هى السنة ، وهى تعادل مدة دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة خلال ٣٦٥ يوما وربع يوم ، وتختلف عدد أيام شهوره بين ٣٠ ، ٣١ يوما و٢٨ يوما أو ٢٩ يوما حسب كون السنة كبيسة أو بسيطة وذلك لتصحيح خطأ التقويم ودقة متابعة حركة الشمس على مدارها .

والتقويم الميلادى فى حقيقته تعديل للتقويم الرومانى الذى كان سائدا منذ ٧٥٠ عاما قبل الميلاد ، ثم عدل هذا التقويم فى عهد يوليوس قيصر عام ٤٦ ق.م وكانت توجد فروق حساب فى التقويم سببها حلول فصول السنة فى غير مواعيدها ، لذلك عهد البابا جريجورى عام ٥٨٢ م إلى بعض الرهبان بإصلاح هذا التقويم ، وقام الرهبان بهذا التصحيح ، وذلك بجعل بعض السنين بسيطة ٣٦٥ يوما وكل أربعة سنوات تحل سنة كبيسة طولها ٣٦٦ يوما ، وأنقصوا أحد شهور السنة وهو شهر فبراير إلى ٢٨ أو ٢٩ يوما ، وجعلوا بداية هذا التقويم ترجع إلى ميلاد المسيح عليه السلام* ، وقد شاعت تسمية هذا التقويم الجريجورى فى أيامنا هذه بالتقويم الميلادى نسبة للمسيح يبدأ بشهر يناير وينتهى بشهر ديسمبر .

أما التقويم الهجرى فيعتمد على حركة القمر ويرتبط بها ويتميز بسمات خاصة إذ يختلف عدد أيام الشهر بين ٢٩ ، ٣٠ يوما (وأحيانا ٢٨

---

* سعد شعبان : أوائل الشهور فى التقويم الهجرى - مجلة المهندسين - يونيو ١٩٨٧ - العدد ٣٨٧ السنة ٤٣

يوما) وكـان العرب يطلقون على الشهور القمرية أسماء متعددة ويعطون لأنفسهم فترة راحة يتوقف فيها القتال ، وذلك خلال أربعة أشهر عرفت بإسم الأشهر الحرم وهى : رجب وذى القعدة وذى الحجة ومحرم .

ولم يستقر العرب فى الجاهلية على بداية الزمن إلى حدث واحد ، حيث كانوا ينسبونها إلى الأحداث الهامة التى طرأت على مجتمعهم مثل بناء سيدنا إبراهيم الكعبة ، وعام الفيل الذى حاول فيه أبرهة ملك الحبشة هدم الكعبة (عام ٥٧١م) وعام تجديد الكعبة بمعرفة عبد المطلب جدّ النبى عليه الصلاة والسلام (وكان ذلك عام ٥٨٥م تقريبا) .

وكان المسلمون فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبى بكر الصديق يطلقون على السنين أشهر أحداثها ، مثل عام الهجرة وعام الأمر بالقتال وعام حدوث الزلزال وعام حجة الوداع وعام فتح العراق ، ويرجع الفضل فى التقويم الهجرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث جمع الصحابة وتداولوا فى أنسب البدايات ، فإقترح بعض الصحابة إتخاذ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بداية ، وإقترح آخرون سنة البعث بداية ، ولكن رجح كثيرون - ومنهم عمر وعثمان وعلى - بدء التاريخ من سنة هجرة النبى من مكة إلى المدينة ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الهجرة فرقت بني الحق والباطل فأرخوا فيها وبالمحرم لأنه منصرف الناس عن حجهم ، ومنذ ذلك الوقت بدأت تسمية التقويم الإسلامى بإسم التقويم الهجرى نسبة إلى إبتدائه بعام حدوث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان قد مضى على هذا الحدث الهام ١٧ عاما* .

ويبدأ العام الهجرى كما نصح عمر بشهر المحرم وتتوالى خلال

---

* سعد شعبان : أوائل الهور فى التقويم الهجرى - مجلة المهندسين - يونيو ١٩٨٧ -- العدد ٣٨٧ - السنة ٤٣.

السنة ١٢ شهرا : المحرم - صفر - ربيع الأول - ربيع الثانى - جمادى الأول - جمادى الثانى - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ، ويقول الله تعالى :

" إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ .... " (التوبة : ٣٦)

وتختلف الشهور القمرية طولا بين ٢٩ ، ٣٠ لذا تبلغ السنة القمرية ٣٥٤ يوما تقريبا ، لذا فهى تنقص ١١ يوما عن السنة الشمسية ، يتم القمر دورته الكاملة (٣٦٠ °) حول الأرض خلال ٢٧ يوما ، ٨ ساعات (٢٧ وثلث يوم) أى أنه يدور فى اليوم الواحد حول الأرض زاوية قدرها ١٣ درجة.

وخلال دورته هذه تكون الأرض قد درات حول الشمس على مدارها بمقدار ٢٧ درجة ، لكى يعود القمر إلى وضعه الأصلى بالنسبة للأرض بعد دورة كاملة حولها يلزمه أن يدور هذا المقدار الذى دارته الأرض حول الشمس أى ٢٧ درجة ويستغرق ذلك أكثر من يومين ، لذا فإن مدة دوران القمر الظاهرية لنا (بالنسبة لأهل الأرض) هى ٢٩ يوما ونصف يوم .

ويظهر القمر كل يوم بشكل مخالف لشكله فى اليوم السابق ، وتتدرج أشكاله ومنازله من كونه هلالا حتى إكتماله بدرا ثم إختفائه تماما خلال ٢٩ يوما ونصف يوم ، لذا إذا حسب طول شهر قمرى ٢٩ يوما يلزم أن يكون طول الشهر الذى يليه ٣٠ يوما ، يقول الله تعالى :

" وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ " (يس : ٣٩)

وتبلغ السنة القمرية ٣٥٤ يوما وهى بذلك تنقص ١١ يوما عن السنة الشمسية ، وعليه يختلف وقوع فصول السنة القمرية فهى أحيانا تبدأ فى

الشتاء ، وأحيانا تبدأ فى فصل الصيف أو الربيع أو الخريف ، كذلك الأحداث الإسلامية الهامة كصيام رمضان أو الحج ، ولا يرتبط وقوعها بفصل من الفصول بل تتقلب بينها ويتكرر وقوعها فى تاريخ محدد كل ٣٣ سنة .

ولا شك أن التقويم الهجرى من أقل التقاويم أخطاء ومن أكثرها مميزات لأنه يرتبط بحركة القمر وهو أقرب أجرام السماوات إلينا ، وهو تابع للأرض ، ويدور حولها فى حركة مستديمة ، وهو إمكان الرؤيا حتى لا نقع فى أخطاء تتراكم بمضى الأعوام ، تصبح بعد أجيال واجبة التصحيح ، ومنذ خلق الله هذا الجرم السماوى لم يخرج عن مداره ولم يتعرض للإنحراف .

يقول الله تعالى :

" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ .... " (يونس : ٥)

" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا " (الإسراء : ١٢)

" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ " (الرحمن : ٥)

وقد ورد فى القرآن الكريم مفردات الوقت مثل عام وسنة وشهر ويوم وليلة ونهار والساعة والفجر والصبح والضحى وغيرها :

عام - سنة - حول - حجج : يقول الله تعالى :

" .... يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ .... " (البقرة : ٩٦)

" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرضاعَةَ .... " (البقرة : ٢٣٣)

" .... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ .... " (البقرة ٢٥٩)

" قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا .... " يوسف : ٤٧)

" قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ .... " (القصص : ٢٧)

الشهر – يقول الله تعالى :

" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ .... " (البقرة : ١٨٥)

" .... يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .... " (البقرة : ٢٣٤)

" إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ...." (التوبة: ٣٦)

" .... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ .... " النساء : ٩٢)

اليوم – يقول الله تعالى :

" .... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ .... " (البقرة : ١٩٦)

" وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ .... " (البقرة : ٢٠٣)

الليل والنهار – يقول الله تعالى :

" وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .... " (البقرة : ٥١)

" .... يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ .... " (لقمان ٢٩)

" .... وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا .... (" الأنعام : ٩٦)

" .... أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا .... " (يونس : ٢٤)

" .... جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .... " (القصص : ٧٣)

" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا " (النبأ : ١٠ ، ١١)

الجمعة والسبت – يقول الله تعالى :

"... إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ..."(الجمعة: ٩)

" .... وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ .... " (النساء : ١٥٤)

الساعة :

" .... حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا .... "

(الأنعام : ٣١)

" لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ .... " (التوبة (١١٧)

" وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ .... " (يونس : ٤٥)

" .... فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ " (يونس : ٤١)

" .... إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ " (الحج : ١)

" .... وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ .... " (الزخرف : ٨٥)

الفجر - الصبح - الضحى - العصر - العشاء - المساء - السبت - الجمعة:

" .... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ .... " (البقرة : ١٨٧)

" .... إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " (الإسراء : ٧٨)

"حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ..."(الكهف: ٨٦)

" فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا " (مريم : ١١)

" .... وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى " (طه : ٥٩)

" .... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ..." (طه: ١٣٠)

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ .... " (النور : ٨٥)

" فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ " (الروم : ١٧)

" وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (الذاريات : ١٨)

" كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا " (النازعات : ٤٦)

" وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ " (الفجر : ١ ، ٢)

" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا " (الشمس : ١)

" وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى " (الضحى : ١ ، ٢)

" سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " (القدر : ٥)

" وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ " (العصر : ١ ، ٢)

كما نجد أن الله سبحانه وتعالى حدد لكل أجل كتاب ، وحدد هذا الأجل ، فحين خلق الإنسان جعل الله له أجلا مسمى فى كل مراحله : فى مرحلة الخلق من العدم ومرحلة الخلق فى رحم الأم وفى مرحلة الحياة الدنيا ، وأيضا فى عمليات الزواج والطلاق ، وفى التكلفة الشرعية والمعاملات ....

يقول الله تعالى:

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ... " (الأنعام: ٢)

" وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ... " (الأنعام : ٦٠)

" .... وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ " (الأعراف : ٢٤)

" .... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ " (النحل : ٦١)

وعن النساء وفترات الحمل والإنتظار بعد الطلاق ، أو وفاة الزوج يقول الله تعالى :

" لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .... " (البقرة : ٢٢٦)

" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ .... " (البقرة : ٢٢٨)

" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .... " (البقرة : ٢٣٤)

وعن الرضاعة ومدتها يقول الله تعالى :

" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرضاعَةَ .... " (البقرة : ٢٣٣)

" .... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ .... " (لقمان : ١٤)

" .... وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا .... " (الأحقاف : ١٥)

وعن الصلاة وأوقاتها يقول الله تعالى :

" .... إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا " (النساء : ١٠٣)

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ .... " (الجمعة : ٩)

وعن الصيام وفترته يقول الله تعالى :

" .... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ .... " (البقرة : ١٨٧)

" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .... " (البقرة : ١٨٥)

وعن الحج ومواقيته يقول الله تعالى :

" يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .... " (البقرة : ١٨٩)

" الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ .... " (البقرة : ١٩٧)

" .... وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ .... " (الحج : ٢٨)

وعن المعاملات بين الناس يقول الله تعالى :

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ..."(البقرة: ٢٨٢)

" .... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ " (يونس : ٤٩)

" مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ " (الحجر : ٥)

وعن الشمس والقمر يحدد الله أجل جريانهما فيقول تعالى :

" .... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى .... " (الرعد : ٢)

" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " (يس : ٣٨)

الجزء الثانى

التلـــــوث

* تلوث الهواء
* الأمطار الحمضية
* تلوث الماء
* تلوث البحار
* التلوث بالمبيدات الحشرية
* الغذاء
* الغابات
* الضوضاء
* الإشعاعات الذرية
* الإشعاعات الكونية
* التلوث الكهرومغناطيسى
* مدن الصفيح
* تشوه العمران
* النظافة والقمامة
* وهو بكل خلق عليم

الجزء الثانى
التلـــــــــوث

شهد العالم فى الفترة الأخيرة نهضة علمية تكنولوجية شملت كافة مجالات الحياة ، صاحبها كثير من التغييرات الإجتماعية فى أسلوب الحياة ومطالب الأفراد والجماعات ، وكانت أهم عوامل هذه النهضة إقامة الصناعات الحديثة والتوسع فى الخدمات والمرافق ووسائل النقل والتحضر السريع ، إلا أن هذه النهضة حملت بين طياتها آثارا جانبية كان لها تأثيرا مباشرا على البيئة ، وعانت المجتمعات المحلية فى كثير من المدن الصناعية من مشاكل بيئية .

وبمعنى آخر غزا الإنسان بتكنولوجيته الحديثة البيئة التى يعيش فيها، وعرف أشياء كثيرة عن هذه التكنولوجيا وغابت عنه أشياء أخرى فكانت النتيجة التلوث الناتج عن إستعمالها .

والتلوث أنواع منها : تلوث الهواء ، وتلوث الماء ، والمبيدات الحشرية ، وتلوث الغذاء ، والغابات، والضوضاء ، والإشعاعات الذرية والكونية ، وإمتداد العمران داخل المدن وخارجها إمتدادا عشوائيا دون تخطيط أو توجيه .

تلوث الهواء

الهواء هو ذلك الحزام - الغلاف - الذى يحيط بالكرة الأرضية ، التى نعيش عليها ، يتكون من خليط من الغازات أهمها غازى النيتروجين والأكسجين ، والهواء ضرورى لحياة الإنسان ، حيث يلزم أن يستنشق الفرد العادى من الهواء نحو ١٥ كجم فى اليوم أى ما يعادل ٣٥ رطلا ، وهو ما يماثل ٦ مرات ما يستهلكه الفرد من طعام وشراب .

ويمكن القول : أن تركيب الهواء ثابت سوى فى بعض التغيرات الطفيفة التى تحدث من جراء التلوث وخاصة فى المناطق الصناعية ، وتصل نسبة الأزوت فى الهواء ٨٧,٠٩٪ والأكسجين ٢,٩٥٪ أما بقية المواد فهى غاز ثانى أكسيد الكربون وكميات قليلة من بخار الماء وبعض الغازات النادرة كالأوزون والأرجون ....

وقد يوجد فى هواء بعض المدن بعض المواد الأخرى كالنشادر وأول أكسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين والكبريت وبعض الأبخرة وذرات الفحم والميكروبات .

ومصادر تلوث الهواء ونوعين : مصادر متحركة ناتجة عن حريق الوقود فى وسائل النقل ، ومصادر ثابتة ناتجة عن مخلفات الصناعة وحرق الوقود فى المنازل وحرق القمامة فى الهواء الطلق ، وينتج عن إحتراق الوقود فى وسائل النقل المختلفة كالسيارات والقطارات والطائرات مجموعة من المخلفات - الملوثات - أهمها أول أكسيد الكربون وأكاسيد الكبريت والنيتروجين والهيدروكربونات والرصاص والجسيمات الدقيقة والضباب الملوث بالكيماويات ، وهذه الملوثات خطرة على صحة الإنسان والحيوان والنبات والجماد (شكل ٥).

وتستخدم الصناعات الزيوت الثقيلة والفحم والخشب فى تشغيل الآلات ومحطات توليد القوى الكهربائية ، وينتج عن حرق الوقود مجموعة من المخلفات تشبه الملوثات الخارجة من عادم السيارات ووسائل النقل الأخرى ، بالإضافة إلى أن هذه الملوثات تحتوى على نسبة كبيرة من أكاسيد الكبريت وعلى الأوراق المتطايرة المحروقة وعلى الأدخنة الكثيرة .

وبالنسبة للملوثات الناتجة عن عمليات الإنتاج الصناعى ، فتختلف نوعية هذه الملوثات حسب نوع الصناعة ، حيث ان كل صناعة لها

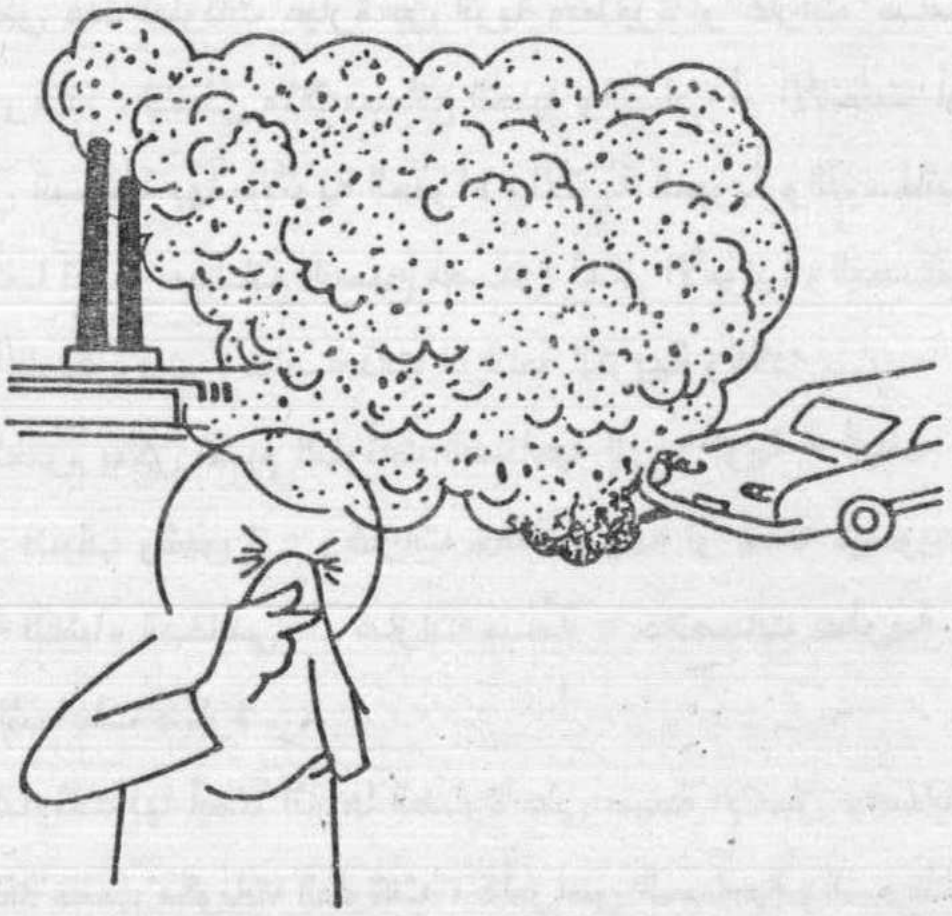

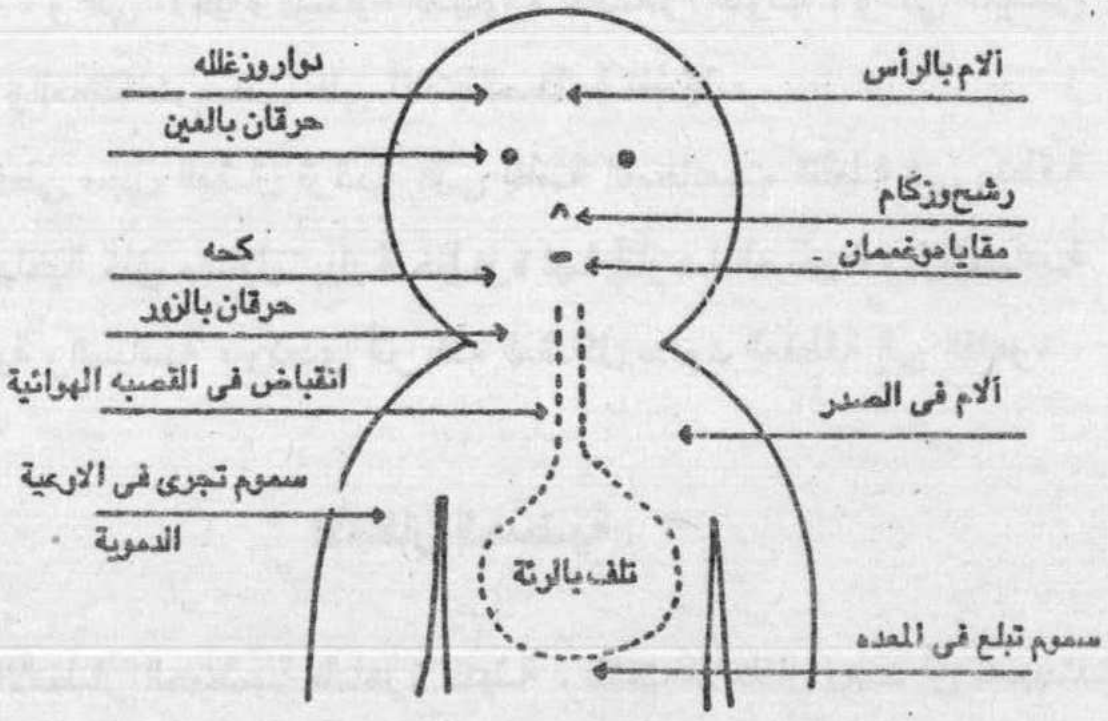

تلوث الهواء وأثره على صحة الانسان

شـــكل (٥)

خصائصها ، فبعض هذه الملوثات عبارة عن أتربة متطايرة أو غازات سامة أو روائح كريهة وهكذا ، فتغطى مثلا مصانع الحديد والصلب أو الأسمنت أو الفوسفات المناطق المحيطة بها بالأتربة الحمراء والأتربة الجيرية والفوسفاتية على التوالى ، كما تعتبر مصانع النسيج مصدرا لغاز الأمونيا والمصانع الكيماوية مصدرا للميكروبات ، خاصة ذات الرائحة الكريهة وهكذا ....

وعلى العموم يمكن تقسيم الملوثات الصناعية إلى : أتربة - ألياف - أبخرة - دخان - ضباب وشبورة - وغازات خانقة بسيطة أو خانقة كيماويا، أو غازات مهيجة للغشاء المخاطى - غازات سامة - خلاصات عطرية - بكتريا ضارة - إشعاعات ضارة ....

وهذه الملوثات لها أيضا آثارها الضارة على صحة الإنسان وإصابته بالأمراض المختلفة حسب مكونات الملوثات ، كأمراض الحساسية والسرطان والصدر والقلب وغيرها ، كما أن لها آثارها الضارة على الثروة النباتية والحيوانية ، وعلى الأحياء السكنية المجاورة لمصادر التلوث ، وعلى المبانى والمنشآت والممتلكات وحتى على آلات الصناعة نفسها .

فعلى سبيل المثال ترتب على إقامة الصناعات الثقيلة فى منطقة حلوان السياحية خلق مشاكل بيئية خطيرة لها آثارها الصحية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية ، وتعدى أثر هذه المشاكل حدود المنطقة إلى القاهرة .

الأمطار الحمضية

الأمطار الحمضية ظاهرة حديثة ، لفتت الأنظار بعد أن سببت أضرارا كثيرة لمختلف عناصر البيئة المحيطة بنا ، ويبدو أن هذه الظاهرة صاحبت الثورة الصناعية حيث ربطت بين الدخان المتصاعد من مداخن المصانع وبين الحموضة التى لوحظت فى مياه الأمطار المتساقطة على

المنطقة المحيطة بهذه المصانع ، وبدت هذه الظاهرة بصورة واضحة بعد إستخدام مزيد من الوقود – الفحم والبترول – للحصول على الطاقة الحرارية لتشغيل الآلات والمحركات ، والتى أدت إلى زيادة تلوث الجو فوق المناطق الصناعية ومحطات القوى الكهربائية .

وتنتج عن هذه الأمطار الحمضية من ذوبان الغازات الحمضية التى تتصاعد من مداخن المصانع فى بخار الماء الموجود فى الهواء ، وتشترك أكاسيد النيتروجين مع أكاسيد الكبريتات التى تدفع بها محطات القوى الكهربائية فى تكوين هذه الأمطار الحمضية .

وللأمطار الحمضية آثارا سيئة ، فهى عندما تسقط على سطح الأرض تتفاعل مع بعض مكونات التربة القلوية وتعادلها ، كما أنها تساعد على تفتيت الصخور ، بالإضافة إلى ذوبان بعض الفلزات فى مياه هذه الأمطار مما يقلل من جودة التربة ويقلل من إنتاجيتها .

كما تؤدى هذه الأمطار إلى أضرار كثيرة بمجارى المياه والبحيرات المغلقة خاصة ، حيث ترفع من حموضة هذه البحيرات ، ويوجد حوالى ٢٠٠٠ بحيرة فى منطقة أونتاريو بأمريكا تحولت مياهها إلى مياه حمضية بسبب هذه الأمطار .

ولا يتوقف ضرر هذه الأمطار الحمضية على تلوث المجارى المائية فقط ، بل قد يمتد هذا الضرر إلى الحاصلات الزراعية والغابات ، فعلى سبيل المثال تخسر ألمانيا سنويا بسبب الأمطار الحمضية مئات الملايين من الدولارات نتيجة تلف أشجار الغابات والأخشاب ، كما تسببت هذه المياه الحمضية فى تآكل بعض قنوات المياه وبعض المعدات المعدنية المتصلة بخزانات المياه ، كما زادت نسبة الرصاص فى مياه الشرب المأخوذة من هذه الخزانات مما يمثل خطرا كبيرا على الصحة العامة ، وتؤدى الأمطار

الحمضية إلى إذابة نسبة كبيرة من بعض الفلزات الثقيلة من التربة ، وتحملها معها إلى مياه البحيرات ، ومن أمثلة هذه الفلزات الرصاص والزئبق والأومنيوم ، وهى تسبب كثيرا من الضرر للكائنات الحية التى تعيش فى هذه المناطق بعد أن نفق كثير منها نتيجة غذائها على الحشرات التى تحتوى أجسامها على نسبة عالية من الألومنيوم الذى جرفته مياه الأمطار الحمضية ، وقد تمتد الآثار الضارة للأمطار الحمضية إلى المدن ، ومن أمثلة ذلك تفتت بعض أحجار برج لندن وكنيسة وستمنستر آبى وكنيسة سانت بول ، وقد بلغ عمق التآكل فى بعض الأحجار الجيرية فى الكنيسة الأخيرة حوالى ٣ سم نتيجة التفاعل بين أحجار الجير وبين غاز ثانى أكسيد الكبريت وحمض الكبرتيك الموجودين فى ضباب لندن ، بالإضافة إلى الأمطار الحمضية التى تسقط على المدينة بين حين وآخر .

تلوث الماء

وبالنسبة لتلوث الماء فعلى إمتداد الأنهار والمجارى المائية يستعمل الماء العذب مرة وأخرى أثناء الجريان من الناطق العالية إلى المناطق المنخفضة إلى البحار والمحيطات ، وكل إستعمال يغير من نوعيته وعادة إلى أسوأ ، وبالطبع توجد حدود مسموحة للمخلفات التى يمكن أن يحملها المجرى المائى معه دون أن يكون لها تأثيرات خطيرة .

وإرتفعت درجة تلوث المياه الإقليمية المطلة على كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر بسبب حركة الملاحة البحرية وعمليات إستخراج ونقل البترول ، بالإضافة إلى إستخدام مياه البحر وبحيرة مريوط كمصرف للتخلص من المخلفات السائلة للمدن الساحلية ، وكذلك إرتفاع درجة تلوث مجرى نهر النيل فى الريف والحضر بسبب نقص إمكانات شبكة الصرف عن

إستيعاب المخلفات السائلة التى تصب فيها وإعادة دفعها إلى النيل .

ومصادر تلوث الماء كثيرة ومتنوعة ، ومن المحتمل أن تظهر فى المستقبل مصادر جديدة نتيجة للتقدم المستمر فى مجال العلم والتكنولوجيا والصناعة ، وعلى العموم يمكن تقسيم مصادر تلوث الماء إلى ثلاثة :

- صرف مخلفات المدن التى تشمل مجارى المنازل والمبانى العامة والمستشفيات .
- صرف مخلفات المصانع السائلة بما فيها التلوث الحرارى والفضلات الإشعاعية .
- صرف مياه الأرض الزراعية .

ويزداد سكان المدن بمعدلات عالية ، وتتطلب هذه الزيادة زيادة فى الخدمات العامة الأساسية كمياه الشرب وصرف مخلفات المدن السائلة ، وكثيرا ما يحدث أن تلقى المدن بمياه مجاريها فى الأنهار أو البحيرات أو البحار دون معاجلة ، فعلى سبيل المثال يلقى فى نهر بردى بسوريا مخلفات المدن التى تقع عليه، وتقذف القاهرة بجزء كبير من مياه مجاريها فى مصرف بلبيس ، ويترتب على ذلك آثار ضارة كثيرة ، منها إبادة الأحياء المائية وتلوث مياه هذه المجارى وإنتشار الروائح الكريهة والأمراض .

والصناعة لها مخلفاتها السائلة غير المرغوب فيها ، وتختلف هذه المخلفات بإختلاف الصناعة ، فمنها المواد الصلبة العضوية ، وغير العضوية، والمواد الكيماوية ، والبترولية ، والتلوث الحرارى ، والفضلات الإشعاعية ، وتلقى هذه المخافات فى كثير من الدول فى المجارى المائية أو البحار دون معالجة ، والأمثلة على ذلك كثيرة : نهر العاصى فى سوريا ، وبحيرة إدكو فى الإسكندرية ، والخليج العربى ونهرى دجلة والفرات فى العراق ، تلقى فى هذه المجارى والمسطحات المائية مخلفات الصناعة الواقعة

عليها ، ويترتب على ذلك آثار ضارة خطيرة .

وبالنسبة لمياه صرف الأرض الزراعية ، تكثر فيها الملوثات نتيجة إستعمال مبيدات الحشرات والآفات الضارة بالمحاصيل الزراعية ، وكذا نتيجة إستعمال الأسمدة بكثرة التى تعوض التربة ما ينقصها من مواد ويساعد على زيادة إنتاجيتها ، فبجانب الدور الذى تقوم به هذه المواد فى القضاء على هذه الآفات وزيادة الحاصلات فهى مواد ملوثة تلوث التربة والمحاصيل والمياه الجوفية ، لدرجة تصل فى كثير من الحالات إلى نفوق الحيوانات والطيور التى تأكل النباتات الموجودة عليها هذه المبيدات ، أو التى تشرب من المياه الملوثة بها ، كما أن بعض هذه المبيدات له صفة التراكم فى الأجسام التى توجد بها ، فعندما يأكل حيوان نبات عليه هذه المبيدات تتراكم فى لحم الحيوان ثم تنتقل إلى جسم الإنسان عندما يأكل هذا اللحم فتسبب له أضرارا جسيمة .

تلوث البحار

الوسط البحرى جهاز بيئى شديد الصلة بحياة الإنسان ، يتمتع بكافة خواص الأجهزة البيئية الطبيعية ، وتشكل الأجهزة البيئية المائية مع الأجهزة الأرضية الكرة الحية ، وللبحار تأثير أساسى فى كل كائن حى على سطح الأرض ، كما أن البحار بكتلتها الهائلة التى تقدر بحوالى ١٣ مليار كم مكعب تلعب دورا منظما حراريا أساسيا للكرة الأرضية ، كما أن مياه البحار التى تتبخر ، ثم تسقط فى شكل أمطار ، عملية ضرورية لكل أشكال الحياة على اليابسة .

ومدخرات البحار من المادة الحية النباتية والحيوانية تعتبر مدخرات غذائية للإنسانية جمعاء فى المستقبل البعيد ، يمكن إستعمالها لتلبية الطلب

المتزايد على الغذاء ، كما أن ثروتها المعدنية الموجودة فى القاع ذات أهمية بالغة خاصة بعد أن بدأت تنضب الثروات المعدنية القارية .

ومن خصائص الجهاز البيئى البحرى قدرته على التنقية الذاتية ، حيث توجد فى البحار مجموعات من الكائنات الحية المجهرية النباتية الحيوانية تفرز موادا كيماوية مضادة للبكتريا التى تلوث البحار عن طريق رمى الفضلات فتميتها ، إلا أن البترول والمواد السامة التى تصل إلى البحار تعوق إفراز هذه المواد ، وإذا زادت فى الوسط البحرى فإنها تسبب موت الكائنات الحية ، المجهرية ، وبذلك تنعدم قدرة الجهاز البحرى على التنقية الذاتية ويصبح مرتعا للبكتريا ومصدرا لإنتقال الأمراض إلى الإنسان .

ولقد أثبتت بعض الدراسات أن الكتلة الحيوية البحرية إنخفضت حوالى ٤٠٪ خلال العشرين سنة الماضية ، مما يدعو إلى القلق ، فأصبح بحر البلطيق مثلا غير منتج من شدة التلوث ، وأن الكمية القليلة من الأسماك الموجودة فيه غير صالحة للإستهلاك ، لدرجة أن منظمة الأغذية العالمية للزراعة نصحت بعدم أكله أكثر من مرة واحدة فى الأسبوع ، وأصبح هذا البحر معرضا للهلاك النهائى إذا تتابع التلوث بهذا الشكل.

ويتلوث الوسط البحرى بعدة طرق منها : التلوث البكتيرى والتلوث الكيماوى ، ومصدر التلوث البكتيرى هو شبكة مجارى المدن التى تصب فى البحار ، وهو أخف أنواع التلوث نسبيا بسبب قدرة التنقية الذاتية التى يتمتع بها الوسط البحرى .

ولقد أثبتت الدراسات أن هذه القدرة على التنقية الذاتية تنخفض تدريجيا حتى تنعدم تحت تأثير الملوثات الكيماوية التى ترمى فى البحر مثل المنظفات والبترول والتلوث بالزئبق والكادميوم والرصاص والمبيدات والتلوث بالمواد المشعة والتلوث بالمواد الصلبة والتلوث الحرارى .

التلوث بالمبيدات الحشرية والأسمدة الكيماوية

ظهرت فى الفترة الأخيرة مصادر جديدة لتلوث التربة نتيجة إستعمال المبيدات الحشرية اتى تقضى على الأعشاب والحشرات والآفات الضارة بالمحاصيل ، وكذا إستعمال الأسمدة الكيماوية التى تساعد على تعويض التربة مما ينقصها من مواد وتساعد على إنتاجيتها ، وقد زاد إستهلاك المبيدات والأسمدة بشكل كبير.

والمبيدات الحشرية بجانب دروها الهام فى القضاء على الآفات فهى مواد ملوثة ، تلوث التربة والمحاصيل ، لدرجة تصل فى بعض الأحيان إلى نفوق الحيوانات والطيور التى تأكل النباتات الموجودة عليها هذه المبيدات أو تشرب من المياه الملوثة بها ، وبجانب التلوث المباشر أو غير المباشر الذى يسببه إستخدام المبيدات فهناك مشكلة تنجم عن هذا الإستعمال ، وهى المناعة التى تكتسبها بعض الحشرات والآفات ، وذلك عند رش المبيد الحشرى على النبات ، ففى كل دورة رش للمبيد الحشرى تزداد نسبة الحشرات التى لا تتأثر بالمبيد ، كما تتكاثر هذه الحشرات وتنتقل مناعتها إلى الأجيال المتلاحقة.

والتلوث بالمبيدات الحشرية ظاهرة حديثة ، لم يعرفها الإنسان إلا فى هذا القرن ، ويؤدى الإسراف فى إستخدامها إلى تلوث التربة الزراعية ، فغالبا ما يتبقى جزء كبير من المبيدات ، وتخزنها فى أنسجتها ، ثم تنتقل المبيدات بعد ذلك إلى الحيوانات التى تتغذى بهذه النباتات وتظهر فى ألبانها ولحومها ، وتسبب كثيرا من الضرر لمن يتناول هذه الألبان .

أما التلوث الناجم عن إستخدام الأسمدة الكيماوية فهو أقل حدة من التلوث الناتج عن إستخدام المبيدات الزراعية ، ولكن يوجد لهذه الأسمدة مضار نتيجة الزيادة فى إستعمالها ، حيث يترتب على بعض التفاعلات

الكيماوية موت بعض الكائنات الحية الدقيقة الموجودة فى التربة والمفيدة للنباتات ، كما تزيد الأسمدة الزائدة من نسبة ملوحة التربة وتدهور إنتاجيتها ، وعند رى التربة المحتوية على هذا القدر الزائد من الأسمدة ، فإن جزءًا منها يذوب فى مياه الرى ، ويصل فى نهاية المطاف إلى المياه الجوفية فى باطن الأرض ويزيد من ملوحتها ، وقد تصل هذه المياه إلى المجارى المائية أو البحيرات .

الغذاء

مصادر الغذاء إما نباتية أو حيوانية أو صناعية وقد آل الوضع فى كل منها إلى :

- بالنسبة للمصادر النباتية زادت الحاجة إلى تكثيف الزراعات ، وإستعمال المخصبات الصناعية والمبيدات الحشرية ، وكل منها ذات تركيب كيماوى معقد ، يمتص النبات من المخصبات حاجته ، وينصرف الباقى منها فى التربة مع مياه الرى إلى المصارف والمجارى المائية بسميته المرتفعة ، وقد إنتشر فى الفترة الأخيرة إستعمال الهرمونات للحصول على أحجام كبيرة وكميات كثيرة من الخضر والفاكهة ، فتتسرب هذه الهرمونات إلى مصادر المياه وما تمتصه المزروعات منها يتسرب فى أنسجة ثمارها ، فإذا تناولها الإنسان سببت له مشاكل صحية معقدة .
- وبالنسبة للمصادر الحيوانية فقد إشتدت الحاجة إلى تلبية زيادة الطلب على اللحوم والدواجن ، فإستخدمت وسائل حديثة للتغذية ، ودخل فى تكوين الأعلاف مواد كيماوية وهرمونات ومضادات حيوية، وقد ثبت أنها تترسب فى أنسجة الحيوانات وإنتاجها من الألبان والبيض ، وشوهدت حالات عديدة (فيمن يتناولون لحوم هذه الحيوانات وإنتاجها)

من عدم الإتزان الهرمونى أو آثار المضادات الحيوية فى الأمهات الحوامل والأفراد .

وكثر فى الوقت الحاضر إستعمال مواد مختلفة (إضافات كيماوية) لأغراض متعددة فى الأغذية ، للحفظ ولإزالة الألوان ، التبييض ومواد التطهير والتعقيم ، ومواد لتليين الطعام ، أو لتعديل قوامه ، ومواد لتحسين نكهته - بالإضافة إلى إستعمال المبيدات الحشرية والمخصبات فى الحصول على كميات كبيرة من الأغذية فى أقل وقت ، وفى مقابل هذا التقدم الصناعى الزراعى يحدث فى كثير من الأحوال بعض الأضرار الصحية الناجمة عن إستعمال مثل هذه المواد فى الأغذية ، إذا لم تطبق عليها الشروط الصحية الملائمة ، ومن هذه الأضرار حدوث التسمم الغذائى أو إضطراب فى الأيضى أو مظاهر شديدة من فرط الحساسية والتجاوب كالربو والإكزما والثرى ، إضافة إلى إمكانية تراكم هذه المواد العضوية بعد فترة طويلة وتأثيرها السيئ فى المستقبل .

الغابات

تعتبر الغابات الطبيعية من أكثر الأجهزة البيئية الأرضية ، وتغطى حاليا حوالى ٢٨٪ من مساحة القارات أى حوالى ١٠٪ من مساحة الكرة الأرضية ، وللغابات خصائص هامة ترتبط بحياة الإنسان ، بصفة خاصة ، وبنمط الحياة الأرضية بصفة عامة ، ولذلك فإن لتدهور وزوال الغابات إنعكاسات خطيرة على حياة الإنسان .

وتعتبر الغابات المصانع الطبيعية الضخمة التى تقوم بواسطة عملية البناء الضوئى ، بتحويل القدرة الشمسية إلى قدرة كيماوية ، عن طريق إمتصاص ثانى أكسيد الكربون وإطلاق الأكسجين ، وتوضح منظمة الأغذية

والزراعة العالمية أن الغابات تبث سنويا نحو ٤٠٠ مليار طن من الكربون ، تستهلكها الحيوانات عن طريق السلاسل الغذائية الموجودة ضمن الغابات .

وللغابات تأثير واضح على المناخ ، كما يوجد مناخ خاص داخل الغابة ، فهى أكثر إعتدالا من الناحية الحرارية وأكثر رطوبة وأشد إنتظاما فى مناخها من المناطق القريبة منها ، وهى بهذه الخاصية تسهل حياة الكائنات الحية النباتية والحيوانية التى تلجأ إليها ، كما تخفف الغابة من حدة الرياح ، وتساعد على إرتفاع نسبة الرطوبة الجوية بشكل محسوس ، كما أن الغابات المتسعة الأرجاء تزيد من كميات الأمطار الهاطلة .

ويوجد داخل الغابة دورة للعناصر المعدنية الغذائية تسمح للغابات المتوازنة بيولوجيا أن تحافظ على إستمرار خصوبتها ، فالبقايا النباتية المتراكمة فوق سطح التربة تتحول عن طريق الكائنات الدقيقة إلى عناصر معدنية تمتصها جذور النباتات والأشجار ، فتساعد على نموها ، ثم تعود هذه العناصر من جديد إلى التربة عن طريق الأوراق والأغصان الميتة وهكذا .

وتلعب الغابة دور مصفاة طبيعية للغبار وثانى أكسيد الكبريت والدخان وغيرها من ملوثات الجو، وهكذا تساهم فى تنقية الجو ، ففى المناطق التى توجد بها غابات يتنفس الإنسان هواء يحتوى على غبار ودخان وملوثات أقل بكثير من المناطق الخالية من الغابات ، وتبدو هذه الخاصية فى تنقية الهواء ذات أهمية بالغة فى المدن المجاورة للمصانع الملوثة للهواء وذلك بالإضافة إلى إثراء الجو بالأكسجين الناتج عن التمثيل الضوئى ، فالغابة إذن جهاز بيئى صحى ، هذا ودورها فى التنقية أيضا ينطبق على الضوضاء، وقد بينت الدراسات أن حاجزا من الغابات يمكن أن يخفف الضوضاء بمقدار ١٠ ديسى بل لكل متر تخانة (سمك) من الحاجز الحراجى (الغابة).

وأخيرا تعتبر الغابات مصدرا للأخشاب ولمواد أخرى تلعب دورا

هاما فى الحياة المعاصرة ، والغابات الحالية عاجزة عن تأمين الحاجة المتزايدة من الأخشاب خاصة إذا تتابع إنخفاض مساحتها وتتعرض الغابات إلى الحرائق المتكررة والقطع الجائر ، فتتهدم الغابة وتتحول من جهاز بيئى متطور إلى مجتمعات نباتية ثانوية على الأرض ، ويزداد التدهور وتزداد نتائجه السيئة على البيئة .

الضوضاء

أصبحت الضوضاء والأصوات العالية أحد مشاكل الحضارة الصناعية ، وهى عنصر مستحدث من عناصر تلوث البيئة ، وتنتشر فى كل مكان ، ولكنها تتركز بصفة خاصة فى المناطق الصناعية ومناطق التجمعات السكنية التى تتكدس فيها المبانى والإسكان .

وتتعدد مصادر الضوضاء والضجيج فى المدن الكبرى ، وأحد الأسباب الرئيسية لها هى الأصوات الصادرة من محركات السيارات أثناء سيرها ووسائل النقل الأخرى ، ويضاف إلى هذا الضجيج أنواع الضوضاء الأخرى مثل الأصوات الصادرة من آلات صناعة البناء والتشييد ، والضوضاء الصادرة من مختلف المحلات التجارية والصناعية الخفيفة مثل ورش إصلاح السيارات وورش النجارة والمسابك ، ومن المصادر الأخرى للضوضاء أجهزة التكييف التى تستعمل فى المكاتب والمنازل وأجهزة الراديو والتليفزيون والكاسيت ، ومن أمثلة درجات الأصوات :

- الأصوات الهادئة تتراوح بين ٣٠ - ٥٠ ديسى بل مثل الكلام العادى وحركة المرور الخفيف .
- الأصوات المتوسطة تتراوح بين ٥٠ - ٧٠ ديسى بل مثل آلة كنس كهربائية - التليفزيون - جهاز التكييف .

- الأصوات العالية تتراوح بين ٧٥ - ١٠٠ ديسى بل مثل السيارة - تشغيل الغسالة .
- الأصوات المزعجة تتراوح بين ١٠٠ - ١٣٠ ديسى بل مثل القاشط - المطارق - الطائرة النفاثة .

وللضوضاء تأثير مباشر على السامعين يمكن تقسيمه إلى قسمين أساسيين : تأثيرات غير سمعية وتأثيرات سمعية .

والتأثيرات غير السمعية هى التى لا يدخل فيها ضعف السمع وتشمل :

١- صعوبة التخاطب وهو يلاحظ داخل الأماكن التى تنتشر فيها الضوضاء .

٢- تأثيرات نفسية مثل الشعور بالضيق والعصبية وسهولة الإثارة وغيرها من الأعراض ، وهذه الأعراض لا يمكن قياسها .

٣- التأثيرات العصبية الفسيولوجية وهى التى تؤثر على إنتاج المشتغلين ، ويتسبب عنها نسبة فى الأخطار فى أداء العمل .

٤- نقص المقدرة على التركيز ، وعلى أداء الأعمال الذهنية ، التى تتطلب صبرا أو دقة فى العمل .

٥- نقص المقدرة على أداء العمل العضلى ، ويبدأ عندما يصل مستوى الضوضاء مثلا إلى ١٣٠ ديسى بل ، حيث يحس المعرض لها بالإهتزازات داخل جسمه ويصاحب هذا شعور بالإنكماش أو الخوف ، وقد تتأثر أجهزة الإتزان مما يؤدى إلى شعور بالدوخة وعدم الإتزان والغثيان والقيئ وغيرها .

أما التأثيرات السمعية فهى التأثيرات التى تؤثر على القدرة السمعية للمعرض لها ، وهى إما أن تكن تأثيرات مؤقتة ، حيث تؤثر الضوضاء على حساسية الخلايا الشعرية الحسية داخل الأذن الداخلية ، فتقلل القدرة السمعية ، ولكن هذا التعب يزول بعد فترة .

أو تكون تأثيرات دائمة تحدث نتيجة تحلل الخلايا الشعرية فى الجسم الحلزونى فى الأذن الداخلية ، وتفقد هذه الشعيرات جزءًا من حساسيتها إلى الأبد ، ولا تستعاد القدرة السمعية مع مرور الوقت .

الإشعاعات الذرية

المواد المشعة

يتعرض الإنسان منذ بداية الحياة إلى الأشعة الكونية (المؤينة) ، أو من البيئة المحيطة به مثل اليورانيوم والثوريوم والبوتاسيوم ، أو من جسم الإنسان ذاته (فى العظام) . وقد جعل الله هذه الأشعة بقدر معلوم :

" إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " (القمر : ٤٩)

" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ " (الحجر : ٢١)

وبعد إكتشاف الذرة فى هذا القرن ، وتسابق الدول للتفجيرات النووية والتسلح الذرى إكتشف الإنسان مصادر جديدة أضافها إلى المصادر الطبيعية وهى جميعا تشكل خطرا على الجنس البشرى كما ونوعا .

يتنفس الإنسان الهواء المحيط به ويشرب الماء ويأكل الطعام الذى ينمو على سطح الأرض ، وتشترك ثلاثة عناصر رئيسية فى تصنيع هذا الطعام وهى الهواء والماء والتربة ، ويتكون الطعام من النبات والحيوان والأسماك ومنتجاتها ، وتسمى بالسلسلة الغذائية ، وتصل المواد المشعة إلى جسم الإنسان من خلال هذه السلسلة ، إلى جانب الهواء والماء والتربة ، وتلوث أحد عناصر هذه السلسلة يلوث معظم أو كل أجزاء السلسلة الغذائية إلى جانب التأثير المباشر على الإنسان ، كما أن تلوث الهواء بالمواد المشعة يشكل أخطر أنواع التلوث .

وتشكل الإشعاعات الذرية التى تصل إلى جسم الإنسان خطرا عليه كما وكيفا ، فتؤثر هذه الإشعاعات بيولوجيا على خلايا الجسم ، فتتوقف قدرة الخلية على الإنقسام أو تضعف قدرتها على تأديتها لوظيفتها الحيوية أو تميتها، أو يحدث تغيرات فى التركيب الوراثى للخلايا الجينية ، والأنسجة الأكثر حساسية لأضرار هذه الإشعاعات هى : عدسة العين ونخاع العظم والغدد الليمفاوية والدرقية والجهاز الهضمى والكبد والكلى والطحال والأمعاء الدقيقة ، وإذا تعرض الإنسان لكميات كبيرة من الإشعاعات الذرية يحدث له قئ وإسهال وظهور حروق بالجلد ونزيف دموى وسقوط الشعر وإرهاق بالغ وحمى يعقبها هلوسة ووفاة .

وبمعنى آخر تحطم المواد المشعة الخلية الحية وتسبب سرطانات الدم والجلد والعظام والغدد والتأثير فى الصفات الوراثية وضعف أو عدم الإخصاب وموت الأجنة والتشوه الخلقى وقصر العمر ، والأمر الذى لا جدال فيه أن الإشعاعات الذرية لها تأثير على الأجيال المقبلة أيضا ، ويتم هذا التأثير بهدوء دون أن يدرى عنه الإنسان شيئا ، لأن مثل هذه الأمراض تتسلل ببطء وتأتى فى هدوء ، وتحدد مدى خطورة هذه الإشعاعات الذرية للإنسان عدة عوامل منها : كمية الإشعاعات الموجودة أصلا فى الطبيعة وكمية الإشعاعات التى يحتفظ بها جسم الإنسان نتيجة تراكمها على مر السنين ونوع الإشعاعات وطبيعة العناصر المشعة وكميتها وشدتها .

ويمكن حصر مصادر الإشعاعات الذرية (غير الطبيعية - التى من صنع الإنسان) فى :

- التفجيرات الذرية .
- المفاعلات الذرية .
- الإستعمالات فى مجال الطب والصناعة .

- الإستخدامات المنزلية .

فتجرى التفجيرات الذرية بغرض إجراء التجارب ، سواء فى الجو أو فى باطن الأرض أو فى أعماق البحار ، ويتوقف المدى الذى يصل إليه تلوث البيئة على نوع هذا التفجير وقوته وكمية المواد المشعة، وتعتبر التفجيرات الذرية فى الجو أكثر هذه الأنواع تأثيرا فى تلوث البيئة .

أما الخطورة التى تأتى من المفاعلات الذرية فقد تحدث أثناء التشغيل مثل إنفجار المفاعل نتيجة خطأ فى التقدير ، أو فى أثناء العمليات الروتينية ، أو من إلقاء المخلفات المشعة - الصلبة والسائلة - الناتجة من هذه العمليات بطريقة غير سليمة ، مما يترتب عليه تسرب أجزاء من المخلفات إلى البيئة المجاورة .

وقد تتنوع إستخدام المصادر الإشعاعية فى الأغراض الصناعية والطبية ، ففى مجال الطب تستخدم أجهزة الأشعة فى التشخيص والعلاج ، وفى مجال الصناعة تستعمل أجهزة الأشعة والنظائر المشعة فى تعقيم الأطعمة والأدوية والتحكم فى الإنتاج وفى كثير من المجالات الأخرى ، كما تستخدم العناصر المشعة فى الأغراض المنزلية فى : الصمامات الإلكترونية وأجهزة التليفزيون والساعات المضيئة والمصنوعات الزجاجية التى تحتوى على اليورانيوم وغيرها .

والنفايات النووية فى قلب كل مفاعل أصبحت قضية جديرة بالإهتمام ، فتستخدم محطات الطاقة النووية لتوليد الكهرباء لأنها وسيلة رخيصة ، إلا أن مشكلة التخلص من النفايات المشعة - من ماء ومواد صلبة تحتاج إلى ترتيبات محكمة ، ولم يجد العلماء وسيلة سليمة لهذا الخلاص :

- فقد لجأت بعض الدول إلى التخلص من هذه النفايات المشعة فى مياه المحيطات ، فوضعوها داخل صناديق محكمة من الرصاص السميك ، ثم صبوا قوالب خرسانية ضخمة حول هذه الصناديق ، يبلغ طول ضلع المكعب ٦ أمتار ، وأسقطوا هذه المكعبات على بعد مئات الكيلو مترات من الشواطئ والسواحل المعمورة ، وبعد فترة وجد أن الإشعاعات الصادرة من هذه النايات قد أحالت مياه المحيطات إلى مادة ملوثة بالإشعاعات.
- وإبتكرت الولايات المتحدة وسيلة جديدة ، وهى عبارة عن وضع المكعبات الخرسانية داخل كهوف موجودة فى باطن الجبال ، إلا أنهم وجدوا أن درجة حرارة الكهف إرتفعت إلى درجة حرارة عالية ، ترتب عليها تشقق جدران الجبال من شدة الحرارة ، فأدخلوا التهوية الطبيعية والصناعية إليها بواسطة مراوح ضخمة ... !
- كما عمدت الإدارة الأمريكية إلى نقل مكعبات النفايات من كهف إلى كهف آخر ، تكون جدرانه قد بردت بعض الوقت ، وإحتاجت هذه الوسيلة إلى جرارات ضخمة لحمل هذه المكعبات ، وتتحرك هذه الجرارات على الطرق العامة بحذر شديد وحيطة ، كما تحتاج هذه الوسليلة إلى روافع ضخمة للهبوط بالمكعب داخل الكهف .

وهكذا أصبح التخلص من النفايات النووية - كما يقول سعد شعبان* - أمرا محيرا يشعر القائمون به بعقدة الذنب ، كما إحتار قابيل أين يوارى جثة أخيه هابيل الذى قتله ، وحمله على ظهره ، حتى بعث الله غرابا يعلمه كيف يوارى سوأة أخيه تحت التراب .

---

* سعد شعبان : المصدر السابق

الإشعاعات الكونية

وإذا إنتقلنا إلى الفضاء والغلاف الجوى ، نجد أن التكنولوجيا الحديثة خلفت ثالوثا شريرا زاد من جرعة الإشعاعات الكونية التى تأتى من الفضاء، ويتكون هذا الثالوث من الغازات التى لها صفة التطاير ، وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء الخارجى ، وصعود وهبوط الطائرات العسكرية ، يعمل هذا الثالوث على تمزق الغلاف الجوى الذى خلقه الله ليحمى سكان الأرض به .

والمقصود بهذاالغلاف الطبقة التى توجد على إرتفاع نحو ٢٤ كيلو مترا من سطح الأرض ، وبسمك حوالى ٢ كيلو مترا والتى تسمى طبقة الأوزون ، والأوزون غاز متأين يحمل شحنة كهربائية ، مشتق من غاز الأكسجين ، إلا أن جزئ الإكسجين يتكون من ذرتى أكسجين (أ٢) ، أما جزئ الأوزون فيتكون من ثلاث ذرات أكسجين (أ٣) ، وهذه الطبقة تعمل على حماية الكرة الأرضية وما عليها من أحياء من أضرار الإشعاعات الكونية التى ترد إلينا من الأجرام السماوية الأخرى ، ومن أشعة الشمس فوق البنفسجية وتحت الحمراء التى لا يتحمل جسم الإنسان منها إلا قدرا محدودا ، يقول الله تعالى :

" وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا .... " (الأنبياء : ٣٢)

وإختراق الغازات التى لها صفة التطاير ، كبعض المبيدات الحشرية والمعبأة فى علب تحت الضغط ، والغازات المستخدمة فى تعطير هواء الغرف ، والغازات المستخدمة فى ثلاجات التبريد كالفلورين وبعض مركبات غاز الكلور ، كل هذه الغازات لها قدرة عالية على التطاير والتصاعد إلى أعالى الغلاف الجوى وإتلاف طبقة الأوزون وإختراقها ، وإحداث ثقوب بها تنفذ منها كميات كبيرة من الأشعة الكونية أكبر مما قدرته العناية الإلهية

لإجسامنا على هذا الكون .

وتزايد نشاط إطلاق الصواريخ إلى الفضاء الخارجى وكذا صعود وهبوط كثير من الطائرات العسكرية ، أدى ذلك إلى تزايد الثقوب فى طبقة الأوزون وبالتالى إلى تدفق كميات كبيرة من الأشعة الكونية إلى الأرض ، كل ذلك أدى إلى خلل فى طبقة الأوزون .

ومن خلال قياسات بالقمر الصناعى قام بها علماء الطبيعة الجوية أثبتوا أن غاز الأوزون إنخفض بنسبة ٤٠٪ خلال الخمس سنوات الأخيرة فوق القارة القطبية الجنوبية المتجمدة المعروفة بإسم إنتاركتكا ، وأن النقص فى طبقة الأوزون يتركز فوق سماء النرويج فى المنطقة القطبية الشمالية ، كما إكتشفوا أن بعض الثقوب يتسع بسرعة كبيرة ، وقد بلغ إحداها مساحة تعادل مساحة الولايات المتحدة كلها ، وأن هناك فجوات وثقوب كبيرة فوق النرويج وسويسرا ، ولكنها أقل من الفجوات التى إكتشفت فوق المنطقة الجنوبية .

وترتب على تمزيق الغلاف الجوى (الذى خلقه الله متزنا) أن فسد هذا الإتزان مما أثر على صحة الإنسان وتغير الطقس ، فإن نفاذ قدر أكبر من الأشعة الكونية خلال هذه الثقوب أثر على صحة الإنسان ، وكانت السبب فيما يصاب به من أمراض سرطان الجلد وخلافه ، وفى مؤتمر عقد بالولايات المتحدة أخيرا قدر العلماء أن ما لا يقل عن ٢ مليون نسمة يصابون كل عام بسرطان الجلد نتيجة الثقوب التى حدثت فى طبقة الأوزون .

كما ترتب على ذلك أن المناخ فى الغلاف الجوى قد أصابه خلل وأصبح له دورة تخالف ما كان يدور عليه فى الماضى ، فقد طرأت عليه تغيرات وتحولات سواء فى الوقت أو الشدة أو المظهر* :

---

* سعد شعبان : بحوث الفضاء وتغير المناخ – مجلة المهندسين – أكتوبر ١٩٨٦

- فجو الصيف يحل بنا لبضعة أيام خلال الشتاء .
- وجو الشتاء يأتى مبكرا أو متأخرا فى كثير من الدول .
- والجفاف يجتاح كثيرا من دول أفريقيا وتروح ضحيته آلاف من البشر ويرحل بسببه ملايين من البشر من بلد لآخر بحثا عن قطرة ماء أو ما يسد الرمق من الغذاء .
- شتاء شديد القسوة فى أوروبا وأمريكا يتكدس بسببه الثلج كثبانا لم تعهده المدن والقرى منذ مئات السنين.
- ورياح الخماسين المبكرة والمحملة بالأتربة التى تهب فى أواخر الشتاء فى مصر ولم يكن العهد بها إلا خلال الربيع .
- والأعاصير والسيول تحدث بشكل لم تعهده البشرية من قبل .

ولعل التغيير فى الطقس قد زحف على الحياة فى بطء ولم يكن محسوسا منذ سنوات حتى أصبح ظاهرا ومخالفا لما تعارف عليه علماء التنبؤات الجوية فى مراجعهم وما يتناقله الناس فى تاريخهم .

كانت أحلام العلماء فى القرن الماضى تدور حول محاولة السيطرة على الطقس فى الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية ، والسعى إلى إجهاض السحب وتوجيه الأمطار إلى الصحراوات القاحلة ، وأصبحت أحلام علماء هذا العصر - عصر الفضاء - تدور حول تلقليل الأضرار التى تحدثها الأبحاث العلمية والإنجازات التكنولوجية الحديثة فى الغلاف الجوى ، والتى تؤدى إلى حدوث هذه التغيرات الملموسة فى الطقس والإقلاق من آثار التلوث التى تصيب كل يوم طبقات هذا الغلاف بفعل الإنسان المتحضر .

التلوث الكهرومغناطيسى

هو تلوث ينتج من الموجات الكهرومغناطيسية التى تملأ الجو حولنا، وهى عبارة عن ضوضاء لاسلكية شديدة ، وقد تزيد هذه الضوضاء اللاسلكية عن الضوضاء الصادرة من الشمس ، وتنشأ هذه الضوضاء اللاسلكية عن* :

- محطات الإذاعة والتليفزيون التى تنتشر فى كل دول العالم والتى تبث برامجها ليلا ونهارا دون إنقطاع .
- شبكات الضغط العالى التى تنقل الكهرباء مسافات طويلة فى معظم الدول ، وتشمل هذه الشبكات الكهربائية محطات القوى ومحطات التقوية والمحولات .
- شبكة الميكروويف (الموجة الصغرى) المستخدمة فى الإتصالات الهاتفية، ويتسبب عن كل ذلك إمتلاء الجو حولنا بالموجات الكهرومغناطيسية وبالمجالات المغناطيسية ، ولو كنا نستطيع أن نرى هذه الموجات والمجالات لرأيناها تتشابك حولنا فى كل مكان .

ولا يعرف أحد حتى الآن مدى تأثير كل هذه الموجات والمجالات فى صحة الإنسان ، ولكن يقول العلماء : نظرا لأن أغلب المؤثرات تنتقل إلى الأعصاب عن طريق نبضات كهربائية معينة ، فهناك إعتقاد بأن هذه الموجات والمجالات لابد أن تتدخل بصورة ما فى المخ ، وتؤثر بشكل أو بآخر فى الجهاز العصبى للإنسان ، كذلك قد تؤثر هذه الموجات والمجالات فى بعض التفاعلات الكيماوية التى تدور فى الخلايا الحية ، مما قد يؤدى إلى تشوه الأجنة أو إلى التخلف العقلى أو حدوث طفرات فى خلايا بعض النباتات.

---

* أحمد مدحت إسلام : التلوث مشكلة العصر السابق ص ص : ٢٣٧ - ٢٤١

وتوجد كثير من البحوث التى تجرى فى بعض الدول لمعرفة الأخطار التى قد تنتج عن إنتشار هذه الموجات الكهرومغناطيسية ، وتجرى كثير من هذه البحوث فى الولايات المتحدة وخصوصا أن بها وحدها حوالى ألف محطة تليفزيون وعددا أكبر كثيرا من محطات الإذاعة وآلاف من محطات التقوية وعشرات الآلاف من الأبراج الخاصة بشبكات الميكروويف ، كما تمتد شبكات الضغط العالى فوق جميع الولايات لتنقل الكهرباء آلاف الأميال .

مدن الصفيح والإسكان العشوائى

يقدر عدد سكان العالم فى الوقت الحاضر بحوالى ٦ بليون نسمة ، بمعدل نمو سنوى ١,٩٪ (يتراوح بين ٠,٩٪ فى الدول الصناعية ، ٢,٥٪ فى الدول النامية) ويقدر عدد سكان الحضر بحوالى ٤٥٪ من إجمالى هؤلاء السكان يزيدون بمعدل نمو سنوى قدره ٢,٨٪ على مستوى العالم (يتراوح بين ١,٩٪ فى الدول الصناعية ، ٤,١٪ فى الدول النامية) .

ويعيش فى مدن العالم الثالث أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة فى النطاقات الحضرية الفقيرة التى تحيط بالمدن الكبرى ، حيث يعانى هؤلاء من ظروف معيشية بالغة السوء ، فمن أزقة موحلة تقوم على جوانبها الأكواخ ، إلى طموح لا يتجاوز توفير الحد الأدنى لأطفال يتضورون جوعا ، والإحتماء من رجال الأمن المتوقعة فى كل حين وكسب قوت معيشتهم يوما بيوم ، وسوف يزداد هؤلاء فقرا وبؤسا ، فى الوقت الذى يصل فيه حجم سكان المكسيك إلى ٣٠ مليون نسمة ويعيش فى كلكتا ٢٠ مليون نسمة كما يقترب عدد سكان القاهرة من هذا الرقم .

والمظهر العام والأصول التاريخية لهذه العشوائيات ومدن الصفيح

تتفاوت بين المدن الضائعة فى المكسيك والأكواخ التى غزتها الفئران فى القاهرة (هكذا يقول تقرير هيئة الأمم المتحدة) والعشش التى يسكنها العمال ذو الأسمال البالية فى تورندو بمانيلا ، فإن سوء التغذية والجريمة وعدم الإنتماء والولاء ونقص الخدمات والمرافق الأساسية ، تعبر عن سمة مشتركة هى الفقر المدقع فى الوسط الحضرى (شكل ٦).

وتمخضت مشكلة الإسكان العشوائى عن نمط عمرانى عالمى ، أصبح معروفا فى معظم دول العالم وهو ما سمى - حقيقة أو مجازا - بمدن الصفيح أو العشوائيات ، إلا أن تصنيف هذا الإسكان السيئ إلى فئات أمر صعب : فالمسكن غير القانونى فى مقابر وعشش القاهرة يختلف عن تلك الملاجئ التى تحتل أسطح العمارات فى بيرو ، وهذان يختلفان عن خانات القوافل القديمة فى عمان عاصمة الأردن ، وعن سكان أرصفة الشوارع فى مدينة كلكتا ، فالسمات العامة ليست واحدة فى كل هذه الأنماط من حيث الحجم والموضع والكثافة ومعدل النمو وطبيعة الأرض .

وتحتوى الدول النامية حاليا على ثلثى المدن العملاقة ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المدن المليونية تضم :

- المساكن القديمة المتهالكة التى غالبا ما تقع فى وسط المدينة .
- مدن الصفيح والعشوائيات التى تقع داخل المدن وخارجها .
- تجمعات التعديات على الأرض التى غالبا ما تقع على أطراف المدينة .

ولا يكفى أن نعرف أن نسبة التحضر تصل إلى حوالى ٤٥٪ من إجمالى السكان ، وهى فى حد ذاتها ظاهرة خطيرة ومزعجة ، بل يضاف إلى هذا أن هناك مليار نسمة من السكان سوف يجب على المدن التى تقترب من

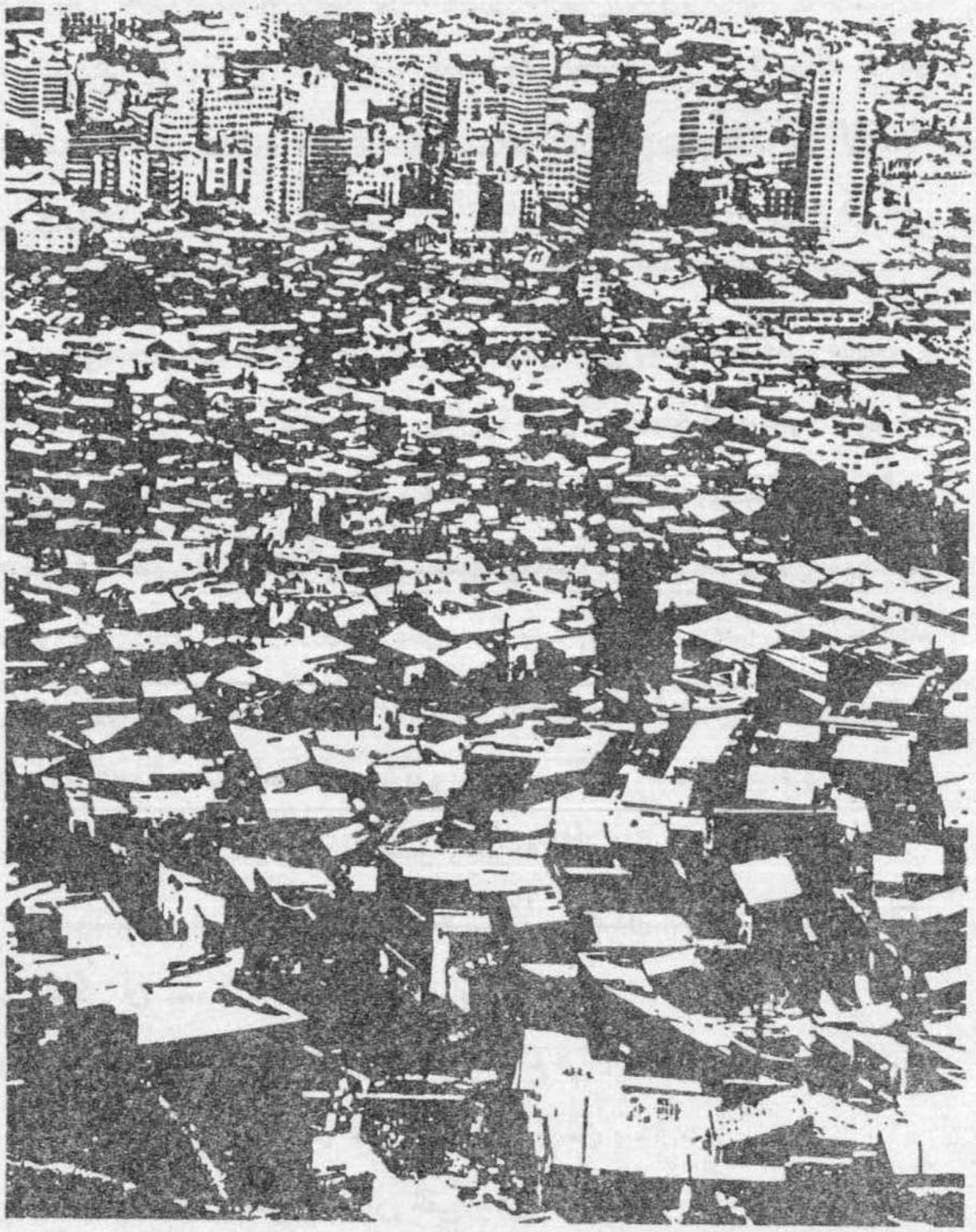

نموزج لمدن الصفيح وعشوائيات الاسكان

شـــكل (٦)

المليون وتتجاوزه أن تستوعبه ، ومن هنا تبرز المخاطر التى تهدد المركب الحضرى الهزيل المتدنى فى الدول النامية ، وقد ظهرت باكورة هذه الأخطار حينما داهم وباء الكوليرا سكان دار السلام بتنزانيا ١٩٧٨ ، وحينما أصبحت القاهرة وبانجوك عاجزتين عن التخلص من القمامة ، وحينما إختنقت جاكرتا بمشكلة المواصلات فيها .

والهجرة الريفية هى العامل الآخر المسئول عن الإنفجار السكانى الحضرى الذى يعانى منه العالم الثالث ، يتمثل ذلك فى عدم توافر الإمكانيات لعدد كبير من الفلاحين للعثور على فرص عمل فى إطار القرية التى يعيشون فيها ، ومن هنا لا يبقى أمام هؤلاء إلا أن يفكروا فى الهجرة التى تتجه فى شكل تيار جارف ، لا تقف أمامه كل إمكانيات إستيعاب المدينة ، ونتيجة ذلك تكثر المساحات التى تشغلها الإستخدامات غير القانونية سواء كانت أرضا حكومية أو ملكيات خاصة ، ويحدث ذلك غالبا فى أطراف المدن مما ينتج عنه تكاليف باهظة فى توصيل الخدمات العامة إلى هذه الضواحى المتضخمة، ومن هنا يصبح الماء نادرا وتزدحم الإدارات الحكومية بمتطلبات هؤلاء السكان وتتداخل الإختصاصات ، وينتهى الأمر بإضطراب تام وشلل فى الحياة اليومية .

ويشمل إسكان الأكواخ ومدن الصفيح والإسكان العشوائى فى مدن العالم الثالث حوالى ثلث إسكان الحضر فى المتوسط ، وتصل هذه النسبة إلى ٢٠٪ فى كاراكاس و٦٠٪ فى أكرا و٨٠٪ فى أديس أبابا - وتشير الدلائل أن الأمور سوف تزداد سوءًا ، ففى الوقت الذى تصل فيه معدلات النمو السكانى فى هذه الدول إلى نسب تتراوح بين ٢,٥ - ٣٪ (وتعتبر هذه النسبة عالية) تصل معدلات النمو الحضرى ضعف معدلات النمو السكانى أى حوالى ٥٪ ، هذا فى الوقت الذى يصل فيه معدل نمو الأكواخ ومدن الصفيح والتجمعات

غير الشرعية إلى نسب تتراوح بين ١٠ - ١٢٪ أى ضعف معدل النمو الحضرى الذى بدوره ضعف معدل النمو السكانى ، هكذا نجد أن السلطات الحكومية فى هذه الدول تعجز عن أن تلاحق هذا النمو السريع .

وبالنسبة للإسكان العشوائى حول القاهرة الكبرى فهو عبارة عن إمتدادات عمرانية فى كل الإتجاهات على الأرض الزراعية والصحراوية والجبلية ، ويصل عدد سكان هذه المناطق فى الوقت الحاضر حوالى ٨ مليون نسمة ، يقوم الأهالى بجهودهم الفردية ببناء مساكنهم ، إعتمادا على أنفسهم دون إشراف أو رقابة أو التقيد بقوانين الإسكان والبناء وتقسيم الأراضى ، وغالبا ما يبنون بالطوب والخرسانة المسلحة ، مساكن جديدة ولكنها غير صحية تنقصها الخدمات الضرورية والتهوية والإضاءة الطبيعية والخصوصية والهدوء ، تطل على شوارع ضيقة ، وضع يثير الضجر والضيق فى نفوس الناس حيث لا يجد الفرد راحته فى مسكنه ولا فى مكان غيره (كالحديقة أو المكان المفتوح) عندما يضيق ذرعا بالبيت : الشوارع ضيقة تطبق عليها مساكن كالحة المنظر ، بروزات متقابلة تكاد تكون متصلة ، والبلكونات متلاحمة ، إلتحام سكنى وسكانى رهيب ، ينطق بالتدهور العام للبيئة الحضرية ، مما ترتب عليه إرتفاع نسبة المشاكل الإجتماعية كالجرائم وتشرد والأحداث والطلاق والمشاجرات وإنخفاض المستوى الصحى .

أما العشش فى مصر فيعيش فيها شريحة كبيرة من السكان تقدر بنحو ٠,٥٪ نصف فى المائة من إجمالى سكان الحضر ، وأنماط هذه العشش متنوعة تجمع فى تكوينها بين القطع الخشبية القديمة والغاب والصفيح وورق الكرتون والصاج ، البعض يقيمون عششهم من الصفيح والكرتون (مثل عشش الجمالية بالقاهرة) والبعض يقيمونها من قطع الأخشاب القديمة أو من ألواح الخشب الحبيبى ، والبعض لم يجد أمامه سوى البوص والغاب والطين،

أما الأسقف فتجمع بين جذوع الأخشاب وعروق الخشب تغطيها ألواح الصاج أو أجولة البلاستيك الفارغة ، كمشمعات تمنع المياه من التسرب داخل العشة أثناء سقوط المطر ، والأرضيات عادة ترابية ، ودورة المياه عبارة عن حفرة فى الأرض داخل العشة أو بجانبها ، تستخدم بعض النساء الجرادل والأوعية الأخرى لقضاء الحاجة ليلا ثم تفريغها صباحا فى البالوعات العامة .

تشارك الحيوانات بعض سكان العشش فى المأوى ، وتنتشر الروائح الكريهة ، وتكثر العرس الكبيرة والثعابين والفئران والصراصير والحشرات ، وطرقات العشش غير مستوية نتيجة تراكم القمامة وفضلات الحيوانات .

لا خصوصية فى هذه العشش كل شيئ مستباح : المال والنفس والمخدرات ، ومع نسيان المجتمع لظاهرة العشش ترعرعت فيها كل أنواع الإنحرافات ، ففى بيئة الفقر الشديد جاء اللصوص والخارجون على القانون ليحتموا فى هذه الأحياء ، وليجدوا بيئة جاهزة وصالحة لتجنيد الصغار والشباب فى عمليات السرقة والنشل والدعارة وتوزيع المخدرات .

وتعتبر مناطق الإسكان العشوائى والمناطق المتدنية فى وسط المدينة ومناطق العشش مرتعا خصبا للغوغائية ، الذين يستغلون الأحداث ، ويحركون الناس ذات النفوس المهتاجة والتى يملؤها السخط ، يحركون هؤلاء الناس بسهولة ويقومون بأعمال السلب والنهب والتخريب للمنشآت العامة ، ومن أمثلة ذلك حريق القاهرة ١٩٥٢ ، وأحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ ، وأحداث الأمن المركزى ١٩٨٤ ، وأحداث الشغب المتكررة بين الشرطة والجماعات الإرهابية .

ومن جهة أخرى توجد فى مدن العالم الثالث بجانب الأحياء الشعبية ومدن الصفيح أحياء ذات مستويات عالية تخطيطيا ومعماريا حيث العمارات والأبراج وناطحات السحاب ، مكيفة الهواء والسيارات الشبح والمحلات

المملوءة بالبضائع المستوردة فعلى سبيل المثال يوجد فى القاهرة أحياء راقية مثل جاردن سيتى والزمالك ومصر الجديدة والمعادى ... وبجانب هذا يوجد فى هذه الأحياء وحدات سكنية يصل ثمن الوحدة ١٠ ، ٢٠ مليون دولار ، أى أن ثمن الوحدة يصل إلى ٥٠٠ ، ١٠٠٠ مرة ثمن المسكن العادى ، هذا فى الوقت الذى تعانى فيه القاهرة نقصا فى الإسكان يقدر بنحو مليون سكن .

أفراد قلائل يعيشون فى وحدات سكنية ثمن الوحدة ٢٠ مليون دولار ، والغالبية تعيش فى مناطق عشوائية وعشش ، لو أن هذه الفئة الغنية دفعت زكاة أموالها ما كانت هناك مشكلة إسكان حادة تعانى منها مصر : يقول الله تعالى :

" وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " (المعارج : ٢٤ ، ٢٥)

وعلى مستوى دول العالم الثالث يفرض هذا الوضع الرهيب فى العزل السكنى ، سياسة عالمية حادة وواقعية تهدف إلى بناء عدد من المساكن خلال العشرين سنة القادمة أكثر مما بناه الإنسان من مساكن منذ أن عرف المدينة حتى الآن .

ويأخذ العزل السكنى - الإزدواجية - بين الأغنياء والفقراء فى معظم الأحيان شكلا مألوفا ، على إعتبار أن الفجوة واسعة وموجودة فى كل مكان فى مدن العالم الثالث ، حيث تزداد الفروق فى الدول النامية بين ناطحات السحاب مكيفة الهواء والسيارات الخاصة والمحال مملوءة بالبضائع المستوردة من ناحية ، والفقر والتكدس فى الأحياء الشعبية ومدن الصفيح ، ففى مانيلا مثلا يتشابه شارع أيالا Ayala بحى ماكاتى Makati الراقى فى مانهاتن بنيويورك ، حيث توجد فى هذا الشارع المبانى العالية ، ومقار إدارة البنوك ، وشركات التأمين ، وعلى مسافة قصيرة من هذا الحى توجد تورندو اوف شور Trondo of Shore أكبر مدن الصفيح فى جنوب شرق أسيا .

يحدث هذا فى مانيلا والقاهرة والمكسيك وفى غالبية المدن الكبرى فى الدول النامية .

وأخيرا لابد أن يفرض هذا الوضع الرهيب سياسة عالمية حادة وواقعية ، تهدف إلى بناء عدد من المساكن خلال العشرين سنة القادمة ، أكثر مما بناه الإنسان من مساكن منذ أن عرف المدينة حتى الآن .

تشوه العمران

أهم ما يعنيه المهندس المعمارى عند تصميم مبنى ما ، الملاءمة بين المكان والمظهر الخارجى للمبنى الذى يصممه ، فيتعامل مع البروزات والإرتدادات والتجاويف والزخارف والألوان ، لكى يسبغ على المبنى صفة جميلة ومظهرا يتلاءم معه ، ولو نظرنا إلى المبانى القديمة فى مصر الجديدة وجاردن سيتى والزمالك والمعادى ، أو حتى فى بعض أحياء القاهرة التاريخية ، سنجد فيها إضافات لا مثيل لها اليوم من زخارف وكرانيش وبروزات كان الغرض منها هو إكساب المبنى صفة الجمال والتناسق.

والتلوث المرئى أو تشوه العمران أو القبح يصيب روح الإنسان ووجدانه ، فالبيئة القاحلة التى تنضب فيها القيم الجمالية ونواحى الإبداع يألف فيها الفرد القبح ، ويفقد القدرة على التمييز بين الجميل والقبيح ، فالعادات البصرية تلعب دورا هاما فى توجيه سلوك الإنسان وإنعكاس ذلك على الأنشطة المختلفة .

ويسيطر تشوه العمران على كثير من مدن الدول النامية ، ففى القاهرة مثلا توجد الفوضى فى شكل العمارات وإرتباطها (إلتحامها) بخط الأفق - خط الحياة - خط السماء ، والعشوائية التى سادت فى الطرز المعمارية وشكل الطرق وما يتخللها من تنافر ، فكم من المشروعات

العمرانية لم يراعَ فيها النواحى الجمالية التى تهدف إلى جعل الفرد أكثر إنسانية وأكثر إرهافا فى مشاعره وإدراكاته ، كما أن المساكن التى بنتها الدولة لقطاع من السكان من الظواهر البارزة التى تشوه جمال المعمار فى المدن ، تخطط مواقع هذه المبانى بطريقة تبعث على الملل ، كما تبنى بمواد رديئة سرعان ما يصبها التلف ، وأصبحت البقع المعبرة عن تسرب مياه الحمامات ودورات المياه أمرا مألوفا ، هذا بالإضافة إلى إستعمال بعض الشرفات كأماكن لعشش الطيور ، وأحيانا يضم السكان هذه الشرفات إلى بقية مرافق المسكن ، كل هذا يشوه منظر هذه المساكن ويترتب عليها أشكال متنافرة قبيحة فى أحياء جديدة .

وتمتد المدن خارج حدودها ، خلال فترات التحضر السريع ، خارج حدودها إمتداد عشوائيا دون أى رقابة أو تخطيط أو توجيه ، فيزحف العمران على الأرض الزراعية على المناطق الريفية ذات الجمال الطبيعى ، حيث تقام مساكن هابطة فى مستواها المعمارى والتخطيطى تشوه جمال الطبيعة حول هذه المدن .

ومن أمثلة إنعدام الذوق العام بياض أو دهان واجهات بعض المبانى بلون فاقع لا يتمشى مع ألوان المبانى المجاورة ، أو دهان حائط خارجى ليس عليه فتحات للإعلان أو الترويج عن سلعة معينة كسيارة ماركة كذا - أو سخان ماركة كذا - أو مياه غازية ..... بطريقة خالية من الإحساس بالجمال والذوق .

والكبارى والطرق العلوية التى بنتها الدولة لتخفيف حدة المرور ، تخترق المناطق السكنية فتشوه جمال الحضر وتمنع الخصوصية وتنقل الضوضاء إلى الأدوار العليا المجاورة لها ، كما تستخدم بعض المساحات فى الميادين الهامة كأماكن لإنتظار السيارات ولا شك أن مثل هذا الإستعمال

يسلب القيم الجمالية المحلية للبيئة .

ومن أكثر المناظر المؤذية قبحا هو تراكم القمامة ومخلفات المنازل الصلبة التى تترك فى الشوارع أو على الأرض الفضاء أو على ضفاف الأنهار والمجارى المائية ، وتعانى كثير من الدول مشاكل ترك القمامة وتراكمها داخل وخارج صناديقها وبشكل مؤذ لفترات طويلة دون جمعها أو التخلص منها ، وهى مشكلة بيئية تشوه منظر المدينة وتعتبر مصدرا للروائح الكريهة وخطرا على الصحة العامة .

أما طفح المجارى وإنتشار البرك والمستنقعات فى كثير من الشوارع والطرق والأزقة وخاصة فى فصل الشتاء فهى كثيرة الحدوث فى كثير من مدن الدول النامية وعندما تسقط الأمطار فى فصل الشتاء وتمتلئ المسارات من طرق وأزقة بالماء والوحل ويصعب المشى فيها ، وتتعطل حركة المواصلات ، ويصبح شكل المدينة كئيبا وحزينا .

والإعلانات والملصقات عامل آخر من عوامل التلوث البصرى ، توضع أو تركب هذه الإعلانات دون النظر إلى الجوانب الجمالية وعلاقتها بشكل المنشآت والمبانى ، هذا بالإضافة إلى ضحالة المستوى الفنى لهذه الإعلانات ، وهى تفرض نفسها على الأبصار والأذواق ، فالإعلان ذو المستوى الفنى الجيد يسهم فى رفع ذوق الجماهير العريضة لإستمرارية وجوده أمام أعينهم ، كما تحجب بعض الإعلانات المقامة على حوامل مناظر طبيعية جميلة أو تجمعات أشجار أو حدائق ، والناس فى أشد الحاجة إليها كعناصر جمالية للطرق والميادين .

النظافة والقمامة

تعتبر النظافة العامة والنظافة الشخصية من أهم وسائل تحسين البيئة، حيث تعكس ما وصل إليه الشعب من وعى صحى وإرتفاع فى مستوى

بيئته ، وهى وثيقة الصلة بالصحة العامة ، فإنتشار الأوبئة والأمراض المتوطنة والمعدية مرتبطة بإنخفاض مستوى النظافة العامة والشخصية والبيئية للسكان والمجتمعات ، ولقد ظهرت أهمية النظافة بعد التقدم المستمر للمستوى الحضرى .

وتتراكم القمامة فى شوارع وطرقات الكثير من مدن الدول النامية كما تتراكم حول صناديق القمامة الموجودة فى بعض الشوارع والميادين العامة ، وتترك لفترات طويلة قبل نقلها إلى المقالب العامة ، وهى مشكلة بيئية حادة ، وتذكر تقارير هيئة الأمم المتحدة أن القاهرة وبانجوك لم تستطيعا بعد حل مشكلة القمامة بها.

وتشكل المخلفات الصلبة - القمامة - والسائلة أكبر مصدر لنقل وإنتشار العدوى بالأمراض المعدية والطفيليات وأكبر مصدر لتلوث المجارى المائية إذا لم يتم التخلص منها بالطرق السليمة الصحيحة ، ويؤدى تراكم المخلفات إلى تكاثر الحشرات والقوارض الناقلة للأمراض ، لذا كان لزاما على الأجهزة البلدية التدخل لحماية صحة المواطنين والعمل على التخلص من هذه الفضلات ، حتى لا يؤثر تراكم المخلفات على الأنشطة الإقتصادية كالسياحة ، بالإضافة إلى ما يعنيه إنخفاض مستوى الصحة العامة من تشويه لوجه الدولة الحضارى بين دول العالم .

كما يؤدى عدم التخلص من القمامة والمخلفات السائلة إلى إحداث بعض مظاهر الإنعكاس الإقتصادى الناتج من عدم القدرة على إستخدام الإمكانات الإقتصادية والإستثمارية المتاحة بالطرق المثلى ، وإحجام رأس المال الأجنبى عن القدوم إلى الدولة لإرتفاع درجة المخاطرة بسبب زيادة الآثار الضارة لتراكم المخلفات بالإضافة إلى إنحسار المد السياحى ، كما يؤدى إنتشار المخلفات السائلة - مياه المجارى - إلى تلف شبكات الطرق

والمرافق والتليفونات ، مما يؤثر على كفاءة البنية الأساسية .

كما أن تراكم المخلفات داخل المدن يؤدى إلى إثارة مشاعر السخط بين المواطنين مما يدفعهم إلى القلق على الصحة العامة ، ويقلل من فرص الإستمتاع بالقيم الجمالية والحضارية المختلفة ، كما يقوى فى نفوس السكان مشاعر الإحتجاج ، والمطالبة بتوفير الحد الأدنى اللازم للمحافظة على الصحة العامة ، ويؤدى كل هذا إلى إنتشار حالة من الملل وضعف الولاء والإنتماء وفتور تحمس الجماهير للمشاركة فى الأعمال العامة أو الإجادة فيها، كما يؤدى هذا الإحساس إلى زيادة إحتمالات عدم إستقرار السلام الإجتماعى ويخلق مناخا خصبا للإضطرابات والقلاقل .

وقياسا بالمنظور الإسلامى لا نجد دينا يأمر أتباعه بالنظافة الحسية والمعنوية مثلما فعل الإسلام ، وتنعكس النظافة بنوعيها على الإنسان وعلى المجتمع الذى يعيش فيه ، فيتحول إلى طاقة قادرة على العطاء والإنتاج والإبداع لتغيير الوجه القبيح للمجتمع الذى يعيش فيه إلى صورة جمالية أفضل. لقد تعلم الفرد المسلم أن الله جميل يحب الجمال ، كما تعلم أيضا نظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود. إنه شخص يتوضأ ويغتسل فى اليوم خمس مرات فهل يبقى ذلك من وسخه ودرنه شيئا ؟ إنه يستعمل الطيب والسواك وتنظيف ملابسه "وثيابك فطهر" من هنا كان لابد لإنعكاس تلك القيم الجميلة على سلوكه وعلى دافعه وعلى مجتمعه.

وهو بكل خلق عليم

لا تلوث

الإنسان والحيوان يأكل الطعام ويشرب الماء ويتنفس الهواء ، وينتج عن هذه العمليات - الأكل والشرب والتنفس - فضلات صلبة وسائلة

وغازية، ولابد للجسم أن يتخلص منها حتى يخلص إلى صفائه ونقائه ، ولقد خلق الله مبدع هذا الكون داخل جسم الإنسان والحيوان أجهزة يتخلص عن طريقها من هذه الفضلات .

فيأكل الإنسان الطعام فتهضمه المعدة وتمتصه الأمعاء الدقيقة ويحمله الدم إلى خلايا الجسم لينتفع به من طاقة أو دفء أو حركة أو فى بناء ما تهدم من خلايا أو فى نموه ، أما نفايات الطعام التى لم تهضم فى المعدة فتأخذ طريقها إلى الأمعاء الغليظة فالإست ، فتخرج إلى الأرض فتتحلل إلى مواد بسيطة مهيأة للدخول فى عملية بناء النبات وتدخل فى دورة جديدة من صور الحياة .

ويشرب الماء الذى يساعد على عمليات الهضم ، كما يحمل البولينا وحامض البوريك اللذان تفرزهما الكلية من الدم الوارد إليها من الخلايا ، أى أن الدم يحمل الغذاء إلى الخلايا ليعطيها هذا الغذاء ويأخذ منها الفضلات والنفايات كالبولينا والنشادر وحامض البوريك وغيرها ، يحملها الدم إلى الكلية فتصفى الدم منها ، ويحملها الماء إلى المثانة ثم تخرج مع البول .

ويستنشق الإنسان الأكسجين عن طريق الرئة ويحمل الدم الأكسجين إلى خلايا الجسم فيحرق جزءًا من الطعام المهضوم الذى إمتصته هذه الخلايا لينتج عن ذلك طاقة تستعملها الخلية فى دفء وحركة وفكر وغيرها ، وينتج عن حرق هذا الطعام ثانى أكسيد الكربون الذى يحمله الدم فى عودته إلى القلب ثم إلى الرئة التى تطرده إلىالخارج ، فيخرج ثانى أكسيد الكربون إلى الهواء ، ويستعمله النبات غذاء له فى عملية التمثيل الكلوروفيلى ، وبهذا تبقى نسبته ثابتة فى الكون ، فما يخرج من الإنسان والحيوان من ثانى أكسيد الكربون يستهلكه النبات .

من هذا يتضح أنه لا يوجد تلوث داخل جسم الإنسان والحيوان أو

خارجهما ، ما إستفاد به الإنسان والحيوان فى بناء أجسامهما وغذائهما وما تبقى من نفايات رجع إلى الأرض ليخرج فى صورة جديدة من صور الحياة فالله بكل خلق عليم - وهو الذى أتقن كل شيئ خلقه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها.

عندما يموت كائن حى ويعود إلى الأرض ، يجد فى إنتظاره عددا كبيرا من الميكروبات ، تهدم فى هذه الجثة ، كل نوع فى هذه الميكروبات تخصص فى عملية واحدة من العمليات المعقدة ، فإذا إنتهى منها تسلمها غيره ليجرى عليها عملية أخرى وهكذا ، وينتج من هذه العمليات تحول الجثة إلى غازات وعناصر مفيدة يمكن أن تمتصها جذور النباتات ويبنيها من جديد على هيئة حبوب أو ثمر أو طعام .

وبمعنى آخر جسم أى إنسان عبارة عن وزن محدود من مواد عضوية ، تجمعت فى شكل مركبات كيماوية معقدة ، ربطتها قدرة الحياة لتخلق منها كائنا سويا ، يمشى ويأكل ويعمل ويفكر ويحب ويكره ، وعندما يموت هذا الجسم تقوم الطبيعة بتصنيع بقاياه وتحويلها إلى عناصر أخرى تدخل فى عجلة الحياة ، وخططت الحياة لكى تتعامل الميكروبات مع أطنان الجثث التى تتساقط يوميا على الأرض ، فتهدم فيها وتفكك روابطها المعقدة ، فالبروتين يتحلل إلى غاز النشادر وخلافه ، والدهون والكربوهيدرات إلى ماء وثانى أكسيد الكربون وعناصر أخرى شتى ، وينطلق الكبريت والفسفور وغيرها إلى غازات طيرة تزكم الأنوف برائحتها النفاذة ، فتخبرنا بوجود ملايين الميكروبات تعيش على بقايا كائنات حية لتحويلها إلى عناصر بسيطة، يمكنها أن تدخل فى دورة حياة جديدة .

" .... اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ .... " (سورة يونس: ٣٤) (سورة الروم: ١١)

وهكذا تختفى الجثث والرمم فى التراب لتخلق على أنقاضها حياة جديدة ، فكل حياة تظهر يجب أن تنتظر حياة أخرى قديمة ، وما أبشع سطح الأرض عندما تتكدس عليه جثث الأموات من حيوان وإنسان ونبات ، وما أصعب على النفس عندما لا تجد لها موضع قدم تخطو به على سطح أرض مغطاة بأكوام الجثث ، ولكن الفضل فى كل هذا يرجع إلى الميكروبات التى أزالت كل هذه الجثث لتستخدمها فى عجلة الحياة مرة أخرى وتجعل طريق الحياة نظيفا واسعا عظيما .

وإذا إنتقلنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى وضع منهجا لحياة الإنسان على هذا الكوكب ، مهما كان فيه من محرمات تفسد حياته المادية والمعنوية فى كل المجالات .

فعن الفساد فى الأرض ، يقول الله تعالى :

" وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ " (البقرة : ٢٠٥)

" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ .... " (النساء : ٩٢)

" إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (المائدة : ٣٣)

"قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ"(يوسف: ٧٣)

" وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ .... " (الإسراء : ٣٣)

" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ .... " (الروم : ٤١)

وعن الطعام فقد نهى الله عن أنواع من معينة من اللحوم صيانة لحياة الإنسان على الأرض فيقول الله تعالى "

" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ .... " (المائدة : ٣)

" قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (الأنعام : ١٤٥)

" .... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأعراف : ٣١)

وعن الخمر والميسر يقول الله تعالى :

" يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .... " (البقرة : ٢١٩)

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ " (المائدة : ٩٠ ، ٩١)

وعن الحياة الإجتماعية تعرضت الآيات الكريمة للحياة الزوجية فى مجال الحيض والزواج والطلاق.

فعن الحيض يقول الله تعالى :

" وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " (البقرة : ٢٢٢)

وعن الطلاق وردت آيات تهدف إلى عدم إختلاط الأنساب :

" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ

فِي أَرْحَامِهِنَّ .... " (البقرة : ٢٢٨)

" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .... " (البقرة : ٢٣٤)

وعن الزواج فقد نهى الله عن الزواج من المحارم التى أوردها فى سورة النساء :

" وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا " (النساء : ٢٢)

" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا " (النساء : ٢٣)

وفى مجال المعاملات المالية والتجارية يقول الله تعالى :

" الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... " (البقرة: ٢٧٥)

" يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ " (البقرة : ٢٧٦)

وعن الزكاة :

" ..... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأنعام : ١٤١)

وعن الكيل والميزان :

" .... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ... " (الأعراف: ٨٥)

" .... وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ .... " (هود : ٨٤)

" وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ " (هود : ٨٥)

" وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ " (المطففين : ١ - ٣)

وفى مجال السلوكيات يقول الله تعالى على لسان لقمان :

" وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " (لقمان : ١٨ ، ١٩)

الجزء الثالث

الأمراض الإجتماعية

* القلق
* الجنس
* المال
* العنف

الجزء الثالث
الأمراض الإجتماعية

القلق

ظهر فى القرن الماضى حضارة صناعية غربية لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل ، فاقت كل تصور وخيال ، شملت كل مجالات الحياة ، شهدت تقدما كبيرا فى الصناعات الكبيرة والصغيرة على السواء ، ونهضة فى الزراعة وإستصلاح الأراضى والطرق ووسائل النقل بمختلف أنواعها ، وتطورا فى الخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية وغيرها ، وإستطاع الغرب أن يحقق ثروة مادية أكبر من أى مجتمع آخر فى تاريخ البشرية من جراء تحقيق معدلات عالية من التنمية ، وهدف هذه الحضارة هو تحقيق رفاهية الإنسان المادية .

إلا أن هذه الثورة الصناعية التكنولوجية صاحبتها كثير من السلبيات مثل التلوث بأنواعه المختلفة كما سبق شرحه ، والتغير فى القيم الإجتماعية والإقتصادية ، وأصبحت هناك خصائص للمجتمع الغربى مثل :

- إفراز المواطن القلق وما يصاحب ذلك من إرتفاع معدلات الإنتحار والإنهيارات الصحية والنفسية وإنتشار الأمراض الحديثة مثل ضغط الدم والذبحة الصدرية وأمراض الصدر والروماتيزم والسمنة .
- خروج المرأة إلى ميدان العمل دون إذن من زوجها ، وترك البيت - منزل أسرتها - قبل أن تتزوج وحرية الجنس .
- التعامل بالربا حيث أصبح المال هدفا .
- العنف .

كانت الكنيسة الكاثوليكية فى روما قبل الثورة الصناعية هى المسيطرة على أوروبا بأجمعها ، تبشر المسيحيين المطحونين بالجنة والروحانيات الأخرى ، وبعد الثورة الصناعية ظهرت الدولة الحديثة (الدولة - الوطن - الأمة) التى ركزت على الفرد وحريته سياسيا وإقتصاديا وعلمته كيف يفكر لنفسه ويحرر نفسه من ضغط أى سلطة ، وجعلت الفرد العادى يحس بشخصيته وكيانه وتأكيد ذاته وأصبحت الوطنية شكلا من أشكال الأصنام التى يعبدها الناس ، تضع الدول فوق الإنسان ، وأصبح حب الفرد لوطنه أكثرمن حب الشخص للإنسانية ، وإنفرط عقد الكنيسة ، وسحب منها سلطانها ، وأعطى للإنسان حريته ، كما أعطى له خلاصه .

وأصبحت الكنيسة طقسا بعد أن كانت روحا تحل فى كل شيئ فى حياة الناس ووجدانهم ، كان مبنى الكنيسة أو الكاتدرائية فى الماضى يزين ميادين المدن الأوروبية بطرزها المعمارية الجميلة والمختلفة ، وبعد الثورة الصناعية حل محلها مبانى مؤسسات المال والأعمال ، كالبنوك والشركات والمحلات التجارية الضخمة التى تشغل المبانى العالية وناطحات الصحاب .

وتميزت رأسمالية هذا القرن بالإنتاج الضخم ، والتوزيع الضخم ، والإستهلاك الضخم ، والبعد عن القيم الروحية والتأكيد على النواحى المادية ، يقل عدد المؤسسات والشركات الصغيرة يوما بعد يوم كما تقل أهميتها وكذا الشركات التى يملكها فرد واحد ، بينما يزداد عدد الشركات والمؤسسات الكبرى التى تتعامل بالملايين والمليارات وبعشرات الألوف من العمال ، فعلى سبيل المثال فى السبعينيات من هذا القرن وجدت ثلاث شركات فى الولايات المتحدة (جنرال موتورز - ونيوجرسى للبترول - وفورد موتورز) كان إجمالى دخل هذه الشركات الثلاث يفوق دخل كل المزارع الأمريكية ، كما كانت توجد حوالى ٢٠٠ (مائتى) مؤسسة إقتصادية تسيطر على أكثر من

نصف الإنتاج الأمريكى ، بينما النصف الآخر من الإنتاج القومى لأمريكا كان من نصيب حوالى ٣٠٠ ألف شركة ومؤسسة أمريكية .

نمط الحياة : إستطاع رجل الغرب أن يحقق هذه الثروة المادية ، وإصطبغ أفراده بالصبغة المادية وأصبح المال شاغلهم ، وأصبح فى وسع الفرد أن يحصل على أى شيئ يريده من السيارة الكاديلاك إلى سيجار الهافانا (سيجار الأغنياء) وأصبح الإنسان جزءًا فى آلة أو ترسا فى عجلة الإنتاج الضخمة ، يعمل ويستهلك فى نسق مرسوم ومحدد لا يحيد عنه .

أنماط الحياة واحدة ، هياكل تتحرك فى نمط واحد ، يتدفق الناس صباحا بالآلاف إلى أماكن عملهم فى المصانع والمكاتب ، فى سيارات خاصة وأتوبيسات وقطارات ومترو ، يعملون بإيقاع منتظم ، ومحدد ومرسوم بمعرفة خبراء متخصصين ، العمل غير سريع وغير بطئ ، موزون ، فريق متعاون ، كل منهم جزء فى الكل ، قطاع متكامل .

فى المساء يتدفق هؤلاء الناس عائدين إلى منازلهم ، يقرأون نفس الجرائد ، ويتمتعون بنفس الوسائل ، يستمعون إلى الراديو ، ويشاهدون التليفزيون ويذهبون إلى السنما والمسرح ، الكل فى ذلك سواء من أعلى رئيس إلى أصغر مرءوس ، الكل نفس الشيئ ، يتسلى بنفس الأشياء .... دون سؤال .... دون إعتراض .... ثم يذهبون إلى أسرة النوم ، ينامون ثم يستيقظون ، يستهلكون وينتجون بنفس الطريقة .... إيقاع واحد ، دون أن يسأل أحدهم أى سؤال أو يقف لحظة ليفكر .

المواطن مبرمج من يوم ولدته أمه حتى يموت ، والفضل فى ذلك يرجع إلى التليفزيون ، يعلمه كيف يحبو وكيف يمشى وكيف يذهب إلى المدرسة ، ويستمع إلى الدرس ، ويجيب على الأسئلة ، وكيف يعتذر إذا أخطأ .... يعلمه كيف يبحث عن وظيفة ، وكيف يعمل ، وكيف يحترم

الوقت، وكيف يذهب إلى صندوق الإنتخابات ويدلى بصوته ، وكيف يشرب الكوكاكولا ، وكيف يمضى عطلة نهاية الأسبوع ... لا يترك التليفزيون صغيرة أو كبيرة فى حياة الفرد إلا ويعرضها بأسلوب شيق جذاب ... مئات البرامج التليفزيونية المدروسة الناجحة ، والهدف من كل ذلك خلق مواطن عنده شغف لصرف طاقة أكثرمن أجل العمل والنظام والطاعة وتنفيذ الأوامر.

يعمل الفرد خمسة أيام فى الأسبوع بمعدل ثمان ساعات يوميا ، وهو مسئول عن عمل محدد ووظيفة واضحة ، يجلس أمام الماكينة أو الجهاز يراقب عملية التشغيل فى نقطة معينة فى خط الإنتاج ، يشارك فى إنتاج منتج لا يعرف عنه شيئا ، وهو مسئول فقط عن عمل صغير جدا ، يجلس طوال الوقت أمام الآلة يراقب عملية التشغيل المسئول عنها ، لا يعمل شيئا بخلاف ذلك ، يشعر بالغربة فى هذه العملية الإنتاجية العملاقة ، ثم يعود فى نهاية اليوم إلى منزله وهو مرهق تعبان ، مع أنه لم يبذل جهدا بدنيا ولم يخلق شيئا، أو لم يبدع شيئا .

التخصص الدقيق والعميق من نتاج الرأسمالية الحديثة ، ولهذا السبب لا يعرف العامل شيئا عن بقية أجزاء العملية الإنتاجية ، يقف أمام آلة ينتج جزءًا بسيطا من المنتج ، يقول هنرى فورد صاحب مصنع السيارات الشهير ، إن السيارة التى ينتجها وتحمل إسمه يشارك فى إنتاجها أكثر من ٥٠٠٠ مصنع (خمسة آلاف مصنع) كل مصنع متخصص فى صناعة جزء بسيط من أجزاء هذه السيارة :كالموتور - الدينامو - الصواميل - المفاتيح - التنجيد - الإطارات - الزجاج - البطارية - المروحة ...

يرجع العامل إلى بيته وهو مرهق ، يشعر أنه لم يخلق أو يبدع شيئا، كل عمله أنه ضغط على زر أو أدار مفتاحا لتحريك آلة أو إيقافها ، ملكة الإبداع والخلق التى أودعها الله بداخله معطلة لم يمارسها ، فى الماضى

كان العامل حرفيا خلاقا فى عمله ومبدعا ، يجمع بين العمل اليدوى والعل الذهنى ، فالعمل لم يكن نشاطا مفيدا فقط بل كان يشمل التطور فى الخلق والإبداع ، وكان العامل يتعلم أثناء عمله وينمى مهاراته ، ولم يكن هناك فصل بين العمل الفكرى والعمل البدنى أو بين العمل واللعب أو بين العمل والثقافة .

نتج عن ذلك أن أفرزت هذه الحضارة الحالية الرجل القلق ، المتوتر عصبيا ، قلق على كل شيئ مع أن هذه الحضارة أوجدت له أنواعا شتى من التأمين : التأمين على الحياة - على الأسرة - على المنزل - على السيارة - على الوظيفة - ضد الحريق - ضد الكوارث - ضد المرض .... يخرج الفرد من بيته صباحا وهو قلق ، خائف من الغيب ، خائف من المجهول ، من المستقبل ، خائف من أن يفصل من وظيفته ، مع أنه مؤمن على كل شيئ، ولكنه قلق ، التأمين الإقتصادى ضد كل شيئ ولكن الأمن والأمان الداخلى وطمأنينة النفس والإيمان بالله وبالغيب وبقضاء الله خيره وشره لا يعلم عنها شيئا فالرب مات God is dead (هكذا يقولون) بعد أن مات قبله الإنسان .

لا يوجد مجتمع إنسانى يتعامل مع القيم الإنسانية الجميلة التى فطرها الله فى الإنسان ، ولكن يوجد فقط هيكل إجتماعى محدد - مدفوع - مقهور - موجه - مسير - غير حر ، يحول الإنسان إلى مجرد آلة للإستعمال ، وينزع منه الإحساس بالذات أو بالنفس ، فما يمكن قوله معه ، رغم التقدم المادى والحرية السياسية المتطورة فى عالم اليوم ، إلا أنه لا يعدو سوى غلالة رقيقة يتوارى خلفها ، عالم يرزح تحت أسر العبودية والقهر أكثرمن أى وقت مضى .

بنى الإنسان هذا النظام الإقتصادى الضخم ، إلا أنه أصبح نواة هذا

الإقتصاد ويرقص على نغم أوتاره ، وأصبح يعيش من أجل المجتمع الإقتصادى وحقق عالما ضخما كبيرا من الأشياء ، هى من صنعه جميعا ، بنى مجتمعا ميكانيكيا معقدا ، ثم إنقلب عابدا لما صنعه ، يقضى معظم عمره وينفق غالب جهده فى بناء هذا الهيكل (أو هذا الصنم كما يصفه البعض) الذى يعبده ، يعبد ما صنعه ، يبنى فتافيت - كسرات - جزيئات - أشياء ممزقة .

من العامل إلى المدير ، الكل يتعامل مع عملاق لا إنسانى ، مع مشروع عملاق ، يتسم بالبيروقراطية الشديدة فى الحكومة والأعمال الكبرى، بيروقراطية تتكون من ورق ، لا حب فيها ولا كراهية ، السوق ينظم الأجور، وعلى العامل أن يقبل ما يفرضه النظام ، الفرد حر فى أن يقبل عقد العمل أو يرفضه هو حر ، وليس لأحد عليه سلطة ، ولكن فى الوقت نفسه ليس لديه فرصة إختيار ، الكل نمط واحد ، الرئيس رجل محايد ، لا يكرهه المرءوس ولا يحبه ، لا يشعر الفرد بأى أمن أو أمان نتيجة الميكنة الآلية ، فالمشكلة عنده الأمن الإقتصادى مقابل الأمان الروحى .

إنطوى الفرد على نفسه فشعر بالغربة ، وترتب على هذا الشعور بالمرض والتعب والإرهاق والإعياء والملل ، فقد الإحساس بالقيم الجمالية والروحية ، فشعر بأن الحياة ليست ذات معنى ، فقد الأمن والطمأنينة والأمان والمرح والسعادة والقدرة على الحب ، وأصبح عنده إستعداد لتحطيم أى شيئ، وتزاحمت عليه مشاغله الدنيوية ورغباتها ولذاتها ، فإنعزل عن روحانياته وعن قيمه ، لا يرجع إلى نفسه ولا يعود إلى ضميره .

هل من مزيد : مجتمع قائم على تربية الرغبات المادية من أكل وشرب وجنس ومسكن ، مجتمع لا يشبع ابدا، ويقول هل من مزيد ، يشرب الكوكاكولا فلا يرتوى ، ينام الفرد مع أكبر عدد من النساء فلا يشبع ،

يشرب الخمر فلا يكتفى ، يجمع المال ويزداد رصيده فى البنك فلا يقنع ، يشترى من الأجهزة المنزلية والترفيهية أعداد وأنواعا .

يتعامل الفرد مع أشياء لا يعرف عنها شيئا ، لا عن حقيقتها ولا عن اصلها ، تليفزيون وفيديو وراديو وفونوغراف وسيارة وكمبيوتر .... أجهزة معقدة ميكانيكيا وإلكترونيا ، على الفرد أن يضغط على الزر والباقى ليس من شأنه ، شعار شركة كوداك للتصوير (إضغط على الزر ، واترك الباقى علينا) ولا مجال للوقوف ولا وقت للتفكير ، ولا وقت للعودة إلى النفس التى تركت خواء ، علاقة فقط بالأشياء الخارجية .

فى عطلة نهاية الأسبوع يأخذ رب الأسرة زوجته وأولاده القصر ، ويسوق سيارته وتجر وراءها مقطورة محمول عليها منزل متحرك أو قارب بحرى ، ليقضى العطلة فى غابة أو على شاطئ بحر أو بحيرة، وقد يذهب بعضهم وهم قلة على أحد نوادى العزاة ، ثم تعود الأسرة مساء الأحد ، تعود الأسرة ليبدأ يوم الإثنين أسبوعا جديدا مملا فالروح خاوية .

يطوف الفرد العالم ببطاقة الثقة والإئتمان Credit Card دون أن يدفع دولارا مقدما ، يركب الطيارة من أمريكا لليابان ، وينزل فى المطار فيجد سيارة فاخرة فى إنتظاره ، يركبها ويذهب إلى مكان وينزل فى أفخم الفنادق ، ويتناول أشهى أنواع الأطعمة ، ثم يعود بالسيارة إلى المطار ويتركها ويركب الطائرة إلى جهة أخرى فى الشرق الأوسط أو أوروبا ، ويجد نفس الشيئ ثم يعود إلى أمريكا وطنه ، وقد تكلفت الرحلة عشرات الألوف من الدولارات ولن يدفع شيئا مقدما ، المهم أن يستهلك .

فى الماضى كان الفرد يشترى ما يحتاجه عندما تتوافر لديه النقود اللازمة لذلك ، بينما فى الوقت الحاضر يشترى المواطن الغربى ما يحتاجه وما لا يجتاحه ، ليس بالنقود ولكن ببطاقة الثقة والإئتمان ، ويرجع السبب فى

ذلك إلى الإعلانات الجذابة التى تعلن عن مختلف السلع ، يعيش الفرد فى دوامة الإستهلاك ، المهم أن يستهلك حتى تستمر عجلة الإنتاج فى الدوران ، الفرد دائما مشغول إما بالعمل أو بالمتعة ، فالمتعة جزء هام فى نظام الإستهلاك .

إنخفض عدد ساعات العمل فى كثير من المؤسسات إلى خمسة أيام فى الأسبوع ، وفى بعض المؤسسات الأخرى إلى أربعة أيام ، زاد وقت الفراغ أكثر مما كان يحلم به الأجداد الذين كانوا يعملون (فى بداية الثورة الصناعية) ١٦ ساعة فى اليوم طوال أيام الأسبوع ، وأصبح لدى العامل حرية فى الوقت لا يعرف كيف يستغل هذا الفراغ ، يحاول الفرد أن يقتل هذا الوقت ، وسيكون سعيدا عندما ينقضى اليوم ، وأصبح للترفيه مؤسسة وصناعة قوية يعمل فيها ملايين العمال ، صناعة هدفها المتعة بشتى أنواعها.

لو فرض وأن هذه الحضارة – حضارة الغرب – توقفت لفترة زمنية وليكن أربعة أسابيع مثلا ، يتوقف فيها التيفزيون والراديو والجرائد والمجلات والسينما .... ماذا سيحدث ؟ تكون النتيجة إنهيارات عصبية، خوف – قلق – توتر – أمراض نفسية لألوف مؤلفة من الناس ، فالنفس خاوية مظلمة بعد أن خرج منها الإيمان بالله وباتت فريسة لأمراضها .

الأحزاب : الأحزاب عملاقة ، صوت الفرد فيها غريب ، حملات الإنتخابات مكلفة للغاية ، لا تقدر عليها الغالبية العظمى من الناس ، الأثرياء جدا فقط هم القادرون عليها ، وتتولى بعض المؤسسات تحمل نفقاتها مما يجعل من حيدة المرشح محل إستفسار ، ويلعب المال المنفق فى الدعاية دورا رئيسيا فى إبراز مرشح على حساب آخر ، إختيار المرشحين فى الإنتخابات يتم حسب إتجاه المؤسسات الإقتصادية الضخمة .

قد يذهب الفرد إلى صندوق الإنتخابات وقد لا يذهب ، وإذا ذهب

فهو مقهور ، يعطى صوته لمن يشاء ، ولكن الحقيقة أنه يعطى صوته وفقا لإتجاهات المؤسسة الإقتصادية العملاقة ، شعار شركة وستنجهاوس (ما هو مفيد لوستنجهاوس مفيد لأمريكا) ٥٠٪ فقط من الناخبين هم الذين يذهبون إلى صناديق الإنتخابات ، يجهل المواطن أمورا كثيرة عن المرشحين وعن عملية الإنتخابات وعن القرارات التى تتخذ فى البرلمانات ، حيث القرارات فى النهاية فى أيدى الحزب الحاكم حسب رغبات المؤسسات الإقتصادية ، وليس فى أيدى أعضاء البرلمان كأشخاص ، وبالتالى يشعر الناخب أن صوته غريب ، هو غريب وصوته غريب .

الإنهيارات : الفرد قلق كما سبق ذكره على كل شيئ ، يخاف من الفشل وعدم النجاح ، يتحدى بإمكانياته الجسدية المحدودة هذا الخوف مستخدما فى ذلك العقاقير (من مهدئات ومنشطات) ، والكحول والخمر والسجائر ، وتكون النتيجة إنهيار مفاجئ فى القلب أو أحد الأجهزة الحيوية وسؤ الحالة النفسية والتوتر .

إذا حدث للفرد شيئ غير سعيد (مصيبة مثلا) لا يتحملها ، يحاول أن يهرب منها ، لا يؤمن بالقضاء والقدر ولا يعرف عنه شيئا ، يضيق صدره ، يطلق زوجته ، يهجر أسرته ، يترك وظيفته ، يلجأ إلى إدمان الخمر ، يرتكب خطيئة ، يحدث له إنهيار عصبى ، يرتفع ضغط الدم ، يمرض ، يقتل نفسه ، يقتل أولاده ، يقتل الغير ، ينتحر ، ....

رجال الأعمال الذين لا يعرفون محاربة القلق والتغلب عليه ، يقعون فريسته ، يموتون فى سن مبكرة ، نسبة الأمراض العصبية فى إزدياد بسبب الخوف من الفشل ، الخوف يدعو إلى القلق ، والقلق يترتب عليه التوتر الشديد ، ويؤثر ذلك على المعدة ، ويغير العصارة الهضمية العادية إلى عصارة أخرى غير عادية ، تؤدى فى النهاية إلى عسر هضم ، وقرحة فى

المعدة ، وفى دراسة على ١٧٦ رجل أعمال فى أمريكا تقل أعمارهم عن سن الـ ٤٥ سنة ، وجد أن أكثرهم يعانون من ضغوط معيشية شديدة وأمراض قلب وآثار قرحة وإرتفاع فى ضغط الدم قبل أن يصلوا إلى هذه السن (٤٥ سنة) .

* * *

تلبية الرغبات المادية من أكل وشرب ونوم وجنس ليست كافية لأن تجعل الإنسان سليما سويا معافى من الناحية الصحية والنفسية ، إشباع النواحى العاطفية وممارسة القيم الجمالية التى أودعها الله فى الإنسان أمر جوهرى ، الإنسان ملاك وحيوان ، إحتياجاته المادية محدودة ، ولكن بالنسبة للنواحى الروحية وآفاق الروح لا حدود لها ، إنسلخ الإنسان من الكنيسة ولكن بقيت الروح والقيم الجميلة فى وجدانه تنتظر أن تمارس ، والسؤال كيف تمارس هذه القيم ؟ ، وكل ما حول الإنسان لا يؤمن إلا بالماديات ، إنسلخ من الأمن والأمان الروحانى إلى الأمن الإقتصادى فضاع .

فحين يكون القلب عامرا بطاقة ترفعه فوق الشهوات وعرض الدنيا وزينتها ....

وحين يخشع الإنسان فى محراب الله وملكوته وتذهب الغشاوة المادية عن وجدانه ويضيئ الإيمان جوانب نفسه ....

وحين تسبح الروح فى ملكوت السماوات والأرض ....

وحين تفر النفس من سجن الخطيئة إلى آفاق النفس المطمئنة ....

وحين تعمر النفس بالإيمان والحب ....

إذن لا يكون هناك مكان للقلق والإضطراب والتوتر ولا يكون غير الحب ، ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك؟

إن الإيمان الراسخ بالله أساس كل طمأنينة فإن البعد عن صراط الله المستقيم

هو القلق بذاته - فعندما تشتد الأزمات التى تعترى المؤمن ، يرشدنا الله عز وجل إلى الإستعانة بالصبر والصلاة ، وعندما يتعرض المؤمن لبعض أسكال البلاء فإنه يتذكر أن الصبر على هذا البلاء مثوبة أعظم عند الله ، فيقول : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ " (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧)

وهل يستوى المؤمن الذى يعيش بنور الله فى كل حركاته وسكناته وغير المؤمن الذى يتخبط فى ظلمات الكفر والقلق والخوف والهلع والجزع ، ويخبرنا الله عز وجل بالفرق بين من آمن فأطمأن قلبه بالإيمان وبين من كفر فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

ويقول الله تعالى لبنى آدم : " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى" (طه : ١٢٣ - ١٢٦)

وربط الله سبحانه وتعالى زوال الخوف والحزن بالآتى :

- الإيمان بالله واليوم الآخر وبالغيب وبالخير والشر
- بإقامة لصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق فى السر والعلن بالليل والنهار
- بالإحسان والإستقامة والعمل الصالح وإتباع منهج الله .

فيقول الله تعالى :

" ....فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٣٨)

" الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٢٦٢)

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٢٧٧)

" .... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " (المائدة : ٦٩)

" ....إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ " (فصلت : ٣٠)

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأحقاف : ١٣)

والصلاة بعد الإيمان بالله قد تكون على قمة العوامل التى تساعد على زوال القلق وذهاب الحزن ... فالفرد حين يكون فى قمة قلقه ويسمع صوت المؤذن يؤذن للصلاة فيترك مشاغله الدنيوية ويلبى دعوة الله ، هنا تحدث له السكينة والطمأنينة .

الصلاة :

الصلاة لها وضع خاص ومنزلة خاصة لا تعادلها منزلة أى عبادة أخرى فى الإسلام فهى عماد الدين الإسلامى وأمر الإسلام بالمحافظة عليها ، وإقامتها فى أوقاتها المحددة ، خمسة أوقات ، يجب أن تؤدى فيها ، كل فرض يجب أن يؤدى فى وقته ، يقول الله تعالى :

" .... إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا " (النساء : ١٠٢)

أى فرض مؤكد وثابت بثبوت الكتاب ، يقول الله تعالى :

" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ " (البقرة : ٢٣٨)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من حافظ عليها - أى الصلاة - كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وهى آخر ما يفتقد من المؤمن فإن ضاعت

ضاع الدين كله ، ومن لا تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له "

والصلاة فى حياة المسلم أشبه بمحطات خدمة الوقود على مدار اليوم ، كلما نضب ذلك الوقود إحتاج الإنسان للتزود منه ، حيث يجدد نشاطه ويستعيد حيوته إلى أن يحين وقت الصلاة الأخرى ، وهكذا يجد المسلم نفسه من وقت لآخر فى حاجة إلى الزاد وإلى تلك الراحة النفسية ، ولذلك لا عجب أن ينادى الرسول صلى الله عليه وسلم على بلال رضى الله عنه قائلا : " أرحنا بها يا بلال " أرحنا بها وليس منها ....!

والمؤمن إذا حز به أمر يهرع إلى الصلاة ليستعين بالله عز وجل على قضاء أموره :

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "(البقرة:١٥٣)

وفيها يطرح المرء كل مشاغله وهمومه الدنيوية جانيا ، ويدخل فى آفاق الروح الرحبة ، ويسمو بنفسه فوق الشهوات والماديات وزخارف الدنيا ، إلى رحاب الذى خلقه وسواه وعدله وصوره فى أحسن صورة ومده بأسباب الحياة ، الله وحده ، وفى هذا تنزاح الهموم بالتوكل الجميل على الله .

ويقول الفيلسوف الفرنسى روجيه جارودى : الغاية من الصلاة هى تحصيل السكينة والطمأنينة بالتوكل الجميل على الله عز وجل - والسبيل إلى ذلك هو ذكر الله ، " الا بذكر الله تطمئن القلوب " ....

ويقول الشاعر الإسلامى الباكستانى - محمد إقبال - الصلاة هى اللحظة التى تتدفق فيها النفحة الإلهية - تلك النفحة التى تنهانا عن الفحشاء والمنكر .

ويمحو الله بالصلاة الذنوب والخطايا وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسا ، ما تقولون فى ذلك أيبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئ ، قال

كذلك الصلوات الخمس يمحو بها الخطايا " ويقول عليه السلام أيضا " هل أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ، قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وإنتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرابط فذلكم الرباط " (الرباط : الجهاد فى سبيل الله) .

والمتتبع لآيات القرآن يرى الله سبحانه وتعالى يذكر الصلاة ويقرنها بذكر الله " قد أفلح من تزكى وذكر إسم ربه فصلى " - " أقم الصلاة لذكرى " وتارة يقرنها بالزكاة " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة "

وبالصبر " إستعينوا بالصبر والصلاة .... "

وبالنسلك " فصلى لربك وإنحر.... "

" قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له "

وأحيانا يفتتح بها جل شأنه أعمال البر " قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون "

ويختتم بها أعمال البر " والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون "

وتظل الصلاة فى حياة المسلم هى الحارس الأمين المسيطر على تصرفاته وعلى حركاته وسكناته ، وعلى مشاعره وعلى أقواله وأفعاله - ولا شك أن ذلك سوف ينعكس على المسلم طوال يومه وبالتالى على كل من حوله من غيره الذين يتعامل معهم أينما كان وبذلك يرقى المجتمع كله فى السلوك وفى الفكر والمعاملات .

الفرد مشغول أثناء النهار بعمله ، قلبه مشغول ، قلق متوتر الأعصاب ، حزين على تجارة خسرها أو مشروع فشل فيه ، أو قلق على عمل يخاف ألا ينجح فيه ، فإذا ما أذن للصلاة ، فعليه أن يلبى داعى الله

ويهرع إلى الصلاة ، ويطرح مشاغله وهمومه الدنيوية ، ويدخل فى آفاق الروح الرحبة ، يسمو بنفسه فوق الماديات والشهوات والمصالح الخاصة والخطط الموضوعة لكسب مال أو جاه .

فالغاية من الصلاة الحصول على السكينة والطمأنينة بالتوكل على الله عز وجل والسبيل إلى ذلك هو ذكر الله ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، فالصلاة لحظة لا نحكم فيها على الأمور بمقياس ما نملكه من أموال أو ألقاب أو وفقا لمكانة الأسرة ....

لحظة ننقطع فيها عن حياتنا الدنيوية وإنتماءتنا المختلفة وآرائنا الإجتماعية ...

لحظة نستعيد فيها سيطرتنا على غرائزنا وشهواتنا ومصيرنا ....

لحظة يتحطم فيها كبرياؤنا والثورة على رتابة الأيام وحسابات العقل والتجارة والعمل .

والصلاة تتضمن أقوالا وأفعالا مخصوصة تفتتح بتكبيرة الإحرام "الله أكبر" وتختتم بالتسليم ، وهى دعاء وذكر يتجه فيه المسلمون جميعا إلى جهة واحدة ، يتلون كتاب الله ويعظمونه ويحمدونه ويثنون عليه ويستعينون به ويستهدونه ، يطلبون من الله الهداية ، خاشعين مستغفرين تائبين ، ويدعون بما شاء لهم من الدعاء .

يقول المؤمن وهو ساجد : رب إعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

ويقول : اللهم إغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى .

اللهم إغفر لى جدى وهزلى ، وما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت .. أنت إلهى لا إله إلا أنت .. ويطلب المغفرة والسعة فى الرزق ..

تسمو نفس المصلى وترقى ويرقى وجدانه ، وتتضاءل شهواته ،

فهى لحظة تتدفق فيها النفحة الإلهية فينا ، تلك النفحة التى تنهانا عن الفحشاء والمنكر ، يعرج الإنسان بروحه ووجدانه إلى الملأ الأعلى إلى الذات العملية ويعمر قلبه بطاقة روحية ترفعه فوق شهوات النفس وعرض الدنيا وزينتها .

وينتهى من صلاته وقد حمل شحنه إيمانية روحانية أنسته هموم الدينا وما فيها ، أنسته همـوم عمله ومشاغله ومكاسبه وخسائره ، وغسلت نفسه من التوتر والقلق والحزن .

أيمكن بعد ذلك أن يعترى النفس شـيئ مـن الإضطـراب والهـم والخوف من المستقبل ، والحزن على ما فـات أو أن ييأس من رحمة الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكـافرون ، ويمحو الله بالصلاة الذنوب والخطايا .

ولا يسقط تكليف الصلاة أبدا فالصلاة مكتوبة علينا فى كل وقت ، لا تسقط أبذا ، فإذا لم نستطع الوقوف صلينا قاعدين ، وإذا لم نستطع القعود صلينا ونحن رقودا ، وإذا لم نستطع أن نحرك أطرافنا صلينا بقلوبنا ، فهذا التكليف الذى لا يسقط لأنه الصلة بين العبد وربه ، وهذه الصله لا يريدها الله سبحانه وتعالى أن تقطع ابدا مع أحداث الحياة .

وحتى تؤدى الصلاة فلابد أن يتطهر المؤمن أولا من النجاسات الحسية والمعنوية ، ويتوضأ بالماء الطهور ، ويلبس ثيابا نظيفة ثم يصلى ويعرج بروحه ووجدانه إلى الملأ الأعلى .

وإمعانا فى طرد القلق من حياة المسلم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد الأقصى للراحة النفسية والذى يتطلب الحد الأدنى من الأرزاق فيقول :

" من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها " أو كما قال ، فعلام القلق وتلك الثوابت الشامخة : الأمن وفى

الأهل والعشيرة ، والمعافاة والصحة البدنية ، ثم رزق يوم كامل ، أما يكفى ذلك لطرد هموم الدينا ؟

إن صحابيا حل عليه دين لآخر ولم يستطع الوفاء به فى حينه ، فلم ييأس ولم يجزع ، وإنما توجه إلى المسجد فى غير وقت الصلاة ، ويسأله النبى صلى الله عليه وسلم : (ما الذى جاء بك فى هذه الساعة؟) فيقول : دَين على يا رسول الله ، ورأى الرسول علامة الهم بادية عليه فقال له معلما إياه هذه الكلمات لمثل هذه الحالات (اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهرة الرجال) فقالها فأثمرت جنانه ، ورد الدين إلى صاحبه .

الجنس

كان هدف التخطيط القومى ولازال ، زيادة الإنتاج ، والإستفادة من المواد الخام والقوى العاملة أعلى إستفادة ، وتشمل القوى العاملة الجنسين فى مختلف الأعمار ، ووضع لهذا الغرض كل نوع وكل سن فى وظيفته أو عمله المناسب ، فالشباب القوى فى الأعمال التى تحتاج إلى قوى بدنية كتسيير الآلات والجرارات والبلدوزرات ، وما شابه ذلك ، والنساء فى الأعمال الكتابية والمكتبية والتمريض والتعليم الإبتدائى والمطاعم والتجارة .... إلخ ، والأولاد فى سن أقل من ١٦ عاما فى بيع الجرائد وأعمال النظافة البسيطة وهكذا .

تخطيط مادى متكامل وشامل .

وكانت النتيجة أن خرجت المرأة إلى ميدان العمل ووضعت فى الوظيفة التى تناسب إمكانياتها حتى أصبح :

- ثلث القوى العاملة فى أمريكا من النساء يقابلها فى روسيا النصف .
- خمس القوى العاملة فى الزراعة فى أمريكا من النساء يقابلها فى روسيا ثلاثة أخماس .
- ٦٪ من القوى العاملة فى الطب فى أمريكا من النساء يقابلها فى روسيا ٧٥٪ .
- نصف العاملات فى أمريكا أقل من ٤٠ سنة .
- نصف العاملات فى أمريكا متزوجات .
- أقل نسبة من العاملات فى أمريكا بين سن ٢٥ - ٣٤ سنة وهو سن الحمل والوضع وتربية الأولاد .

وخرجت المرأة وتركت المنزل والأولاد ، وقامت أجهزة الإعلام ببث برامج لتربية هؤلاء الأولاد : برامج توجيهية لجميع فئات العمر من

الطفل الذى يزحف على بطنه إلى الطالب الذى يتخرج من الجامعة ، برامج تعلمه كيفية المشى والأكل والإستحمام وفتح الباب والرد على السؤال وكيفية الإعتذار عند إرتكاب خطأ وكيفية الذهاب إلى المدرسة والمذاكرة .... برامج كاملة شاملة مسلية جذابة كما سبق شرحه .

فى مجتمع الغرب عندما يصبح الولد أو البنت فى سن المراهقة يجب أن يكون لكل منهما صديق أو صديقة ، الولد له صديقته ، والبنت لها صديقها ، ولو حدث وعزف أى منهما أن يكون له صديق ، لكان هذا الأمر غير طبيعى ، وأصبحت مشكلة فى الأسرة ، ودخل هذا تحت بند العقد النفسية ، ويتولد عن هذه الصداقات والعلاقات كثرة من مواليد الأبناء غير الشرعيين .

ويتزوج الأولاد وهم فى سن المراهقة ، وينفصل الكثير منهم أو يطلق بعد عام من الزواج ، تترك البنت منزل أسرتها عندما تدخل الجامعة ، وتصاحب من تشاء من الأولاد ، وتنام مع من تشاء ، وتتزوج دون أن تعرف أسرتها فى كثير من الحالات .

وإنعكس ذلك على التركيب الإجتماعى فأصبح :

- ١٧٪ من العائلات الشابة (دون سن ١٨ سنة) فى بريطانيا قائمة على واحد من الأبوين .
- ٢٥٪ من العائلات الشابة (دون سن ٢٠ سنة) فى أمريكا قائمة على واحد من الأبوين .
- ٣٠٪ من الأطفال الذين ولدوا عام ١٩٩١كانوا لأبوين غير متزوجين فى بريطانيا .

ويلاحظ من هذه الإحصائية أن حوالى ثلث الأطفال المواليد فى بريطانيا غير شرعيين ، طبقا لكل الشرائع السماوية ، أى ولدوا سفاحا .

فى بعض الأفلام تطلب البنت أمها فى التليفون ، وتقول لأمها "باركى لى" وتقول الأم : :مبروك ولكن على أيه؟ " وتقول البنت : "ولدت ولدا" فتسأل الأم البنت : "متى تزوجت؟ " فترد البنت بإستنكار وبسرعة "من قال لكى أنى تزوجت؟! " .

أى أتت البنت بهذا المولود من علاقتها مع صديق لها .... وابو الطفل قد إختفى فى حضن فتاة أخرى ، وعلى أم هذا الطفل أن تربيه وهى تدرس فى الوقت نفسه ، وتتلقى معونة من والديها ، أو من الدولة ....! وقد تهرب الأم بعد ولادة طفلها وتتركه لأبيه ، والأب فى هذه الحالة يترك عمله ويتلقى من الدولة مساعدة مالية لتربية الطفل ، وهناك إحتمال ثالث وهى أن تأخذه الدولة وتقوم بتربيته .

وأثمرت الإتصالات غير الشرعية كثرة المواليد غير الشرعيين ، كما أفرزت الأمراض البدنية والنفسية والعصبية ، وتفككت عرى العلاقة الوثيقة بين الزوج وزوجته ، وإضطربت الحياة الزوجية وإنهدم كيان الأسرة، وأصبحت ظاهرة الأسرة المكسورة The broken family منتشرة فى دول الغرب ، وشاع الفسق وإنتشر الفجور ، حتى زاد عدد البغايا بمعدلات عالية ، وشاع الشذوذ الجنسى وبلغ أقصاه بالرغم من حرية المباشرة الجنسية ، وصاحب ذلك إنتشار مرض نقص المناعة المكتسبة "الإيدز" .

مئات الحوادث ، شاب يهجر صديقته فى الولايات المتحدة لأنها علم من سياق حديثها معه أنها عذراء "بكرا" أى ليس عندها خبرة فى عملية الممارسة الجنسية .

- بعض الأزواج يسمح لزوجته بحريتها الجنسية ، والبعض يتبادل الزوجات.
- الزوجة العاقر يمكن أن تستأجر لزوجها إمرأة يعاشرها فترة زمنية محددة

لتحمل منه وبعد الولادة تأخذ الزوجة العاقر المولود من المرأة التى حملت به سفاحا نظير أجر معلوم ، وتلك تأخذ الأجر وتذهب إلى حال سبيلها .

- أفرزت حضارة الغرب حرية الجنس على أساس أن تحل مشاكل الجنس فهل تم إحكام الجنس وقلت جرائمه ، الحقيقة لا ... فإن فضائح وحوادث الجنس زادت بمعدلات خيالية .

شاعت الفوضى الجنسية وزاد عدد البغايا - إفراط جسيم وسعى نحو اللذة والمتعة مهما بلغت درجة إنحطاطها ، الشاذون جنسيا لا يأبهون مما يفعلون ولا يهتمون بالمجتمع ، بل يخرجون فى مظاهرات تطالب المؤسسات التشريعية بعدم التدخل فى شئونهم أو الحد من حريتهم ، وإنتشرت دور الدعارة المرخصة وغير المرخصة وأصبحت هناك شبكات للدعارة العالمية ، وإستعملت النساء فى إنهاء الأعمال وعقد الصفقات ، وتنتشر نوادى العراة فى أوروبا وأمريكا حيث يذهب إليها الشباب والشابات العزاب والمتزوجون، الأفراد والأسر .

فى السبعينيات وصل خطاب إلى السيدة آن ، وهى سيدة مسئولة عن حل مشكلات الأسر فى أحد الجرائد الأمريكية الكبرى ، وصل خطاب من سيدة أمريكية متزوجة ولها ولد وبنت فى سن المراهقة ، تقول السيدة أن زوجها أخذهم فى السيارة فى أجازة نهاية الأسبوع ، وأثناء ركوبهم قال لهم (إنتظروا مفاجأة) وكانت المفاجأة زيارة أحد النوادى "نوادى العراة" تقول السيدة أنها لاحظت وهم فى النادى أن إبنتها كانت تنظر إلى عورة أبيها وأخيها ، والإبن ينظر إلى عورة أخته وأمه ، وبعد عودتهم إلى المنزل لاحظت الزوجة أن الولد والبنت كانا يدخلان إلى حجرتهما ويغلقان على أنفسهما الباب .

تسال الزوجة : هل بلغ الحال فى أمريكا إلى نفس المستوى الذى عليه فى

الدول الإسكندنافية ؟ وتطمئنها مسز آن فتقول لها على صفحة الجريدة أن أمريكا لم تصل بعد .... إلى هذه الدرجة ...!

* * *

هناك قلق بين المعنيين بالشئون العامة فى مثل هذه المجتمعات الغربية التى يشيع فيها وتأخذ بأسلوب حرية الجنس ، ومن ذلك أن الفئات العلمية عالية المستوى قلقون على الشباب بسبب الجنس وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج سلبية :

قدم تقرير إلى الرئيس السابق "ريجان" من لجنة مؤلفة من ١٤٠ عالما تحت عنوان "التقرير المصور المقدم إلى رئيس الجمهورية ١٩٨٨" جاء بالتقرير أن ظهور الإباحية -حرية الجنس - والأفلام الجنسية دليل على أن الشباب مصر على أن ينسحب من الحياة ويستغرق فى الجنس دون أن يشارك فى الحياة الإيجابية ، ويساعد على ذالك إنتشار المخدرات ، وأهم ما يساعد على ذلك أيضا إهمال الأب والأم ويأس المدرسين ورجال الدين ، وإستهانة الحكومة بكل ذلك ، وإبتعاد علماء النفس والتربية عنهم ، فقد تركوهم يقعدون ويحلون عقدهم بمعرفتهم ويخففون توترهم وحدهم .

ضاع فى متاهات نزوات الجنس الكرامة والإحتشام ، إسراف وسهولة جنسية ، فقدت الصلة أو العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة كل معانى الود والإحترام والجاذبية ، وتنزل المرأة من عليائها حيث العفاف والإحتشام والخجل والأمومة والحنان والحب إلى حيث لا ينبغى لها أبدا أن تكون كلأ مباحا أو متاعا مشاعا .

* * *

وفى الإسلام لم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم ، فيدع غرائزه تنطلق دون وعى ، ويترك إتصال الذكر والأنثى فى شكل فوضى لا

ضابط لها ، بل وضع الله له نظاما ، منهجا يحفظ له شرفه ، ويصون عليه كرامته فشرع الزواج ، وجعل إتصال الرجل بالمرأة كريما مبنيا على رضاها، وعلى إيجاب وقبول "وأخذن منكم ميثاقا غليظا" ، وصان المرأة على أن تكون كلأ مباحا لكل راتع .

جعل الله سبحانه الزواج كأفضل وضع طبيعى ، وأنسب مجال حيوى لإرواء الغرائز وإشباعها ، فيهدأ البدن وتسكن النفس ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام ويطمئن الضمير إلى ما أحل الله .

وهو الأسلوب الذى إختاره الله تعالىٰ للتوالد والتكاثر وإستمرار الحياة ، بعد أن أعد كلا الزوجين وهيأهما بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابى فى تحقيق هذه الغاية ، وبذلك تكون نواة الأسرة التى تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة فتنبت نباتا حسنا ، وتثمر ثمارها اليانعة الطيبة ، وتنمو مع نمو البنين مشاعر الود والحنان والتراحم الأسرى على مستوى الأسرة أولا ثم على مستوى المجتمع ثانيا .

والإسلام جعل ممارسة الجنس بين الرجل وزوجته نوعا من أنواع القربات فيقول الرسول "وفى بضع أحدكم صدقة" فتعجب من هذا القول صحابى ، فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيأتى أحدنا زوجته ويكون له أجر؟ فيقول عليه السلام أرأيت إن وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ ، قال الصحابى بلى : قال الرسول وكذلك إن وضعها فى حلال كان له فيه أجر"

وشتان بين حرية الجنس التى تمارس فى دول الغرب وأخرى تنظمها وتحكمها قيم إسلامية ، فيقول الله تعالى :

" هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " (البقرة : ١٨٧)

إنها الحماية والصيانة للأعراض والنسل التى يجب أن تظل بين الزوجين

بنفس قوة التعبير القرآنى "لباس"

إن مجرد الحديث عن العلاقة الجنسية ولو على سبيل التفكه والمزاح يعتبر فى نظر الإسلام خطيئة ، حيث يقول الرسول ما معناه إذا حدث الرجل بما كان بينه وبين وزوجته فكأنما الشيطان زنى بشيطانة.

ويدفع الشعور بمسئوليات الأسرة من رعاية وتوفير سبل العيش الكريم لها إلى الحث على النشاط وبذل ما فى الوسع لتقوية ملكات الفرد ومواهبه ، فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه والقيام بواجبه ، فيكثر الإستغلال وأسباب الإستثمار مما يزيد فى تنمية الثروة وكثرة الإنتاج .

ويربى الأولاد فى كنف الوالدين حيث العطف والحنان المتدفق والحب الصافى والرعاية المخلصة ، التى لا يوجد لها مثيل فى أى كنف أو ملجأ آخر ، عناية دقيقة ومخلصة بالأجيال وحرص فطرى غريزى على أن تنشأ أفضل نشأة فى إطار من المحبة والحنان والتضحية والإيثار .

إرتضى الله نظام الزواج دون سواه وفى هذا يقول جل شأنه :

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً .... " (الروم : ٢١)

" وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا " (الإسراء : ٣٢)

وإعتنى الإسلام بإختيار الزوجة الصالحة وجعلها خير متاع ، فهى سكن للزوج وشريكة حياته وربة بيته وأم لأولاده وهوى فؤاده ، وموضع سره ونجواه ، وهى أهم ركن من أركان الأسرة إذ هى المنجبة للأولاد ، وعنها يرثون كثيرا من الصفات والمزايا ، وفى أحضانها تتكون عواطف الطفل وملكاته ويتلقى نعته ويكتسب كثيرا من تقاليده وعاداته ويتعرف دينه ويتعود السلوك الإجتماعى .

وأمر الله الخدم والأبناء عدم الدخول على الأسرة فى العورات

الثلاث إلا بإذن ، فيقول الله تعالى :

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ .... " (النور : ٥٨)

" وإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " (النور : ٥٩)

نصيحة :

وجاءت هذه الدعوة أو الصرخة من رجل من الغرب موجهة إلى المجتمع الغربى تقول : إن المجتمع المسلم مجتمع كامل سليم ، ويجب أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الشباب ، وهو بذلك يختلف عن المجتمع الغربى (الأوروبى) ففى المجتمعات الإسلامية تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم إحترام الأب والأم ، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد مجتمع أوروبا والأسر الأوروبية ، لذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين هى قيود صالحة ونافعة .

إمنعوا الإختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، فهذا خير من مجون إباحية أروبا وأمريكا كثيرا ، أصبح المجتمع الأمريكى معقدا مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة ، إن ضحايا الإختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية وبيوت الدعارة .

إن الحرية التى أعطاها الغرب لفتياته وأبنائه الصغار ، قد جعلت منهم أحداثا وعصابات "جيمس دين" وعصابات للمخدرات والرقيق الأبيض ، إن الإختلاط والإباحية والحرية فى المجتمع الغربى الأروبى الأمريكى هدد

الأسرة وزلزل القيم والأخلاق ، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تخالط الشبان وترقص "تشاتشا" وتشرب الخمر والسجائر وتتعاطى المخدرات بإسم المدنية والحرية .

بَعُد التخطيط الذى أعدده عن المنهج السماوى فكان الذى كان ، وسبحانك ربى الذى تعلم ما لا نعلم وأدرى بما هو نافع وأصلح لنا وأنت القائل سبحانك :

" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا .... " (النور : ٣٠ ، ٣١)

وفى إطار الطهارة الجنسية والعفة التى فرضها الإسلام سدت جميع الطرق الموصلة إلى الإنحراف والرذيلة (من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

وفى الآداب الإسلامية ، إن النظرة إلى المرأة بشهوة حرام ، وعندما حرم الله عز وجل الزنا لم يقل "لا تزنوا" ، وإنما سد الأبواب التى تؤدى إلى الزنا فقال "ولا تقربوا الزنا" والإقتراب يشمل كل عمل من شأنه أن يفضى ويؤدى إلى الزنا .

ولذلك تميزت المجتمعات الإسلامية بحفظ الإنسانية وطهارتها ، وما يترتب عليه من حقوق شرعية مثل الإرث .

الفوضى الجنسية – أو ما يسميه الغرب حرية الجنس – هو ناتج من نواتج الحضارة والرقى المادى، فرغم إباحتها على أوسع نطاق بين النساء والرجال أو بين كل جنس منهم ، إلى حد جعل من تلك الفوضى قانونا تقرع دساتير تلك الدول ، فهل إستطاعت تلك الإباحية الجنسية أن تشبع الرغبات

وتقف عند حد معين ، وهل إستطاعت أن توقف نزيف الإغتصاب أو نزيف الإنتحار أو زنا المحارم ؟ أو بمعنى آخر هل إستطاعت تلك الحضارة المادية أن تقدم ضوابط لهذه الفوضى الجنسية ، أم أن تلك الفوضى ما هى إلا مظهرا من مظاهر تلك الحضارة ودرجة من درجات ذلك السلم الراقى كما يظنون أو يتوهمون.

المال

أودع الله سبحانه وتعالى فى الأرض كنوزا وثروات لننتفع بها وعلى الإنسان أن يقدم جهده حتى تنفعل له الأرض وتعطيه من هذه الخيرات، فإذا لم يقدم الإنسان عملا وجهدا ، فإن الأرض لا تنفعل له ولا تعطيه شيئا من خيراتها ، وهذه سنة الله فى خلقه وفطرة الله التى فطر الناس عليها ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" ..... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " (الملك : ١٥)

ودأب الإنسان على السعى على المعاش وإجتذاب الأموال منذ وجد على الأرض وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، باذلا من أجل ذلك كل طاقاته ، وغاية إمكانياته الذهنية والبدنية ، ما من مشكلة تواجهه إلا ويعمل على حلها ، وما من عقبة تصادفه إلا ويحاول تذليلها والتغلب عليها ، ومن الدوافع الفطرية التى تحث على جمع المال :

- الخوف من الجوع وهو من أهم الدوافع على العمل حتى ولو كان غير مرغوب فيه .
- إرادة الإنسان فى الكسب وتكوين المال .
- بجانب الرغبة فى جمع الأموال ، يكون الدافع خلق وضع متميز - مكانة أدبية - أو إجتماعية متميزة.

هذا كله حسن ومحمود للإنسان مادام يسعى فى إطار المشروعية والتراحم والتعاون والتكافل ومادام المصدر مشروعا ، المال الحلال يرفع من قدر صاحبه ، ويجعله مبجلا مرموقا فى مجتمعه ويمكن من إسداء العطايا إلى المحتاجين والمحرومين ، بما يؤلف القلوب من حوله ، وينال مثوبة ذلك من الله فى الدنيا والآخرة ، مادام خالص النية ويبغى من وراء ذلك إسعاد الناس ورضاء الله .

وغنى عن القول أن المجتمع الغنى تتوافر فيه أسباب القوة والمتعة والعزة ، ويمكن أن يرتقى بشئون أفراده فى مختلف المجالات المعيشية والعلمية والصحية ، وتوفير وسائل الرفاهية لهم ، فى الوقت نفسه يكون كريما بين المجتمعات الأخرى ، مادام يؤدى واجباته الإنسانية حيالهم .

والسعى فيه إعمار للكون وإحياء للحياة ، والذى لا يعمل ويكون لديه طاقة ، يكون غير جدير بالحياة ، لأنه يحيا من كد وتعب غيره ، وربما أثقل كاهل آخرين ، وكان جميع أنبياء الله يعملون وفى مقدمتهم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمل برعى الأغنام فى مستهل حياته ثم بالتجارة بعد ذلك .

لقد حثت الأديان السماوية على العمل ، وجعل الدين الإسلامى من يموت أثناء سعيه على المعاش فى منزلة الشهداء والصديقين ، وحث المسلم على أن يجوب الأرض باحثا عن الرزق ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" "وإعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" .

وحرم الإسلام أن يكون مصدر المال غير مشروع مثل السرقة ، والنصب والإختلاس ، والخيانة ، والغش ، والتلاعب بالكيل والميزان ، وإعتبر كل ما أخذ بغير سبب مشروع أكلا للمال بالباطل ، يقول الله تعالى : " وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ .... " (البقرة : ١٨٨)

مؤسسة المال فى الغرب

عالم اليوم يعتريه خلل كبير ، فيه من يملكون كل شيئ من قصور وضياع وجزر بأكملها وأساطيل خاصة بهم بحرية وجوية وبرية ، تستخدم فى تنقلاتهم وذويهم وأعوانهم ، ويمتلكون المؤسسات والشركات الصناعية

الكبرى والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والحسابات الفلكية النقدية ، إستثمارية أو جارية ، أو مكنوزة ، ويسعون إلى المزيد حتى ولو من حساب الفقراء .

وفيه من لا يجدون ما يوارى أو يستر جسدهم من لظى الشمس المحرقة أو زمهرير الشتاء القارس، ويفتك بهم الجوع ، وتستشرى فى أوصالهم الأمراض ، ويتعذبون ....

دول فى غاية الرفاهية ودول فى حضيض الفقر ، والهوة شاسعة بين الوضع الإجتماعى فى الحالتين ، وعندما تقرض الدول الثرية تلك الفقيرة بعضا من المال الفائض لتحل الأخيرة شيئا من أزمتها فى بعض شئونها المختلفة ، فإن الدول الدائنة تفرض على المدين فائدة عالية مركبة ، مما يزيد الوضع الإقتصادى الإجتماعى فى الدول الفقيرة إرتباكا .

وتتميز المؤسسات الإنتاجية فى المجتمع الغربى (الدول الثرية) برؤوس الأموال الضخمة ، والإنتاج الضخم ، والتوزيع الضخم والإستهلاك الضخم ، والهدف من وراء كل ذلك الربح وتكوين ثروة ؛ ففى هذا النظام الرأسمالى تتعدد مصادر جمع المال ، فقد يكون من العمل فى مشروع تجارى أو صناعى لا غبار عليه ، وقد يكون ناتجا من تسخير العمال فى عمل بأجر بسيط فيه ظلم ، وقد يكون من نشاط غير مشروع مثل التجارة فى الخمر والميسر واللهو والدعارة ، وقد يكون من إستغلال نفوذ أو تقديم رشوة أو عمولة غير مشروعة ، وقد يكون التعامل بالربا .

يسمح النظام الرأسمالى فى دول الغرب بالربا ، وهو نظام بدرجة عالية من الكفاءة والدقة ، فالبنوك تجمع الأموال ، عن طريق إيداع المواطنين مدخراتهم نظير فائدة معلومة محددة ، ثم تقرضها للمستثمرين بفائدة أعلى – يستثمرون هذه القروض فى مشروعات صناعية أو تجارية أو غيرها ،

والفرق بين الفائدتين يعود إلى البنك مكسبا له ، فيربح المواطن دون أى جهد، فيكفى أن يضع نقوده فى البنك ويحصل على الفوائد ، فيتحول البعض إلى كسالى خاملين ، ويكفى البعض أن يتابع أسعار البورصة ويلعب على أوتار إنخفاض أو إرتفاع الأسهم ويصل إلى قمة الثراء .

وسيلة جمع المال أصبحت سهلة وأصبحت أرقام المال فلكية ، وأصبح المال هدفا بعد أن كان وسيلة، فلكى يعيش الإنسان يحتاج إلى عمل ليحصل على المال ليشترى ما يحتاجه من ملبس ومسكن وسيارة ... وينفق على أولاده وزوجته ... أما الآن فأصبح المال هدفا فى حد ذاته ، فى الماضى كان المال وسيلة لتوفير الحياة الكريمة .

إندثرت الروح الإنسانية داخل الإنسان ، وأصبح الهدف هو جمع المال وحبه لذاته ، مما ترتب عليه القلق والإضطراب والفوضى والتوتر العصبى ، وأصبح العالم يموج بالتوترات والإضطرابات والتضخم المالى .

وبالنسبة للإنفاق فكما أن مصدر المال أصبح يسرا أو سهلا كذلك أضحى الإنفاق ، ينفق المال فى أى وجهة مشروعة أو غير مشروعة فى دوامة الإستهلاك هناك ، دعوة إلى مزيد من الإستهلاك والتشجيع عليه بدون النقود اللازمة ، فيمكنك شراء كل ما تحتاجه بكارت الثقة Credit Card والشعار : لا تؤجل متعة اليوم إلى الغد ، دعوة عامة إلى الإستغراق فى الإستهلاك .

فى الماضى قبل الثورة الصناعية كانت تعاليم الكنيسة تنص على أن يكون مصدر المال حلالا وأوجه الإنفاق حلالا وحرمت الربا ، وهى تعاليم الشرائع السماوية ، وبعد أن إنسلخ رجل الغرب من الكنيسة وتحرر من قيودها ، ووقع تحت تأثير وسيطرة النظام الرأسمالى سياسيا وإجتماعيا وإقتصاديا ، أصبح حرا فيما يتعلق بجمع المال وإنفاقه ، جمع الفرد المال

وأصبح يملك المليارات ولكنه قلق ومتوتر وخائف .

الربـــــا :

سنن الطبيعة تقول أن أى شيئ تقل قيمته مع الزمن ... والمال ضمن ذلك فلو كنزت نقودك عاما دون أن تستثمرها فعليك أن تخرج منها ٢,٥٪ زكاة لها ، وهكذا تقل قيمة النقود عاما بعد عام طالما لا تستثمرها ، وهذا مدعاة أن تستثمر نقودك فيعود عليك ذلك بالربح ويعود على كل من يعمل فيه، أما أن تضع النقود فى البنك دون أن تتحمل أى غرم - مخاطرة - ثم تأخذ عليها فائدة محددة فى نهاية العام فهذا ضد طبيعة الأشياء - حيث تزيد قيمة النقود مع الزمن .

أن تتضع نقودك فى مشروع وتتعرض للغنم أو الغرم (المكسب والخسارة) هذا هو الإيمان بالله والإيمان بالغيب ، أما أن تضع النقود فى البنك وأنت آمن مطمئن على أنك ستحصل على فائدة ثابتة فى نهاية المدة - فهذا مخالف لسنن الحياة وقوانين الفطرة .

كما نهى الله سبحانه وتعالى عن كنز الأمول وعدم إستثمارها فى تجارة أو صناعة أو إنفاقا فى سبيل الله حتى ينتفع بها الناس ، ويقول الله تعالى :

" .... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " (التوبة : ٣٤)

والربا محرم فى جميع الأديان السماوية ، محظور فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، إذا إفتقر أخوك فاحمله ولا تطلب منه ربحا ولا منفعة .

- المرابى يفقد شرفه فى الحياة الدنيا وليس أهلا للتكفين بعد موته (الأب بوتى) .
- أن من يقول الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين (مسلوبار) .

- ويقول رسول الله لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم في النار سواء .
- ويقول الله تعالى :

" الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا .... " (البقرة : ٢٧٥) .

وحرم الله الربا لضرره العظيم على الناس وعلى المجتمع للأسباب الآتية :

- تسبب في العداوة بين الأفراد ويقضي على روح التعاون بينهم ، والأديان كلها تدعو إلى التعاون والإيثار وتبغض الأثرة والأنانية .
- يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئا ، ويتضخم المال في أيديهم دون جهد مبذول ، إنما بإستغلال جهل الآخرين ، فتكون كالنباتات الطفيلية ، تنمو على حساب غيرها .
- والإسلام يمجد العمل ويكرم العاملين ويجعله أفضل وسيلة من وسائل الكسب لأنه يكسب المهارات ويرفع الروح المعنوية للأفراد .

يدعو الإسلام إلى أن يقرض الإنسان أخاه الإنسان قرضا حسنا إذا إحتاج إلى المال ، ويثاب عليه أعظم مثوبة من الله ، وعندما يحين الأجل يأخذه دون زيادة أو نقصان ، فالدين نصفه صدقة أي الإنسان يثاب على الدين كما لو تصدق بنصفه.

إذن إندثرت الروح الإنسانية في داخل الإنسان ، وأصبح الهدف من جمع المال حب المال لذاته فقط ... إتجاه مادي بحت ... ونجم عن هذا إضطراب وقلق وفوضى وتوترات عصبية ، إرتفاع في ضغط الدم ، وتصلب الشرايين ، وغيرها من أمراض العصر .

الزكـــــاة :

الزكاة إسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء ، وسميت الزكاة "زكاة" لما يكون فيها من رجاء البركة وتزكية النفس ، وتنيمتها بالخيرات ، مأخوذة من الزكاة وهو النماء والطهارة والبركة .

قال الله تعالى :

" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا .... " (التوبة : ١٠٣)

وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله فرض على الأغنياء المسلمين فى أموالهم بالقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يضيع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما" .

أى أن الله فرض على أغنياء المسلمين الزكاة فى أموالهم بالقدر الذى يكفى فقراءهم ، ولن يصيب الفقراء الجهد والمشقة من جوع وعرى وخلافه إلا بسبب بخل الأغنياء ، وإذا حدث وكان ذلك فإن الله محاسب الأغنياء على بخلهم وشحهم حسابا شديدا ، ومعذبهم على ذلك عذابا أليما ، يقول الله تعالى :

" وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " (المعارج : ٢٤ ، ٢٥)

خيرات الله وفيرة تفيض عن حاجة الجميع شريطة ألا يستأثر بها قوم أو مجموعة من الناس ولا يبالون بالفقراء .

ولا يعنى ذلك مصادرة لحق بشراء أو إستيلاء على أملاكه ، فأحقية الملكية كفلها الإسلام وصانها ، جزء يسير فقط من الأموال يمثل ٢,٥٪ للفقراء وسائر المحتاجين ولمساعدة الدولة والأمة فى إقامة المصالح العامة ، وفى هذا الخير كل الخير للطرفين الباذل والآخذ ، وكذلك للمجتمع كله ، فالباذل قد طهر نفسه من رذيلة البخل والشح ، وزكى ماله بمباركة من الله ،

كما بارك بذلك ذاته ، وهذا هو النماء والفوز والفلاح ، كما يكون بذلك قد ساعد على إستقرار المجتمع ، وفى هذا أمنه وسلامة مصالحه ومؤسساته ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع مغبة السوء"

وليس بخاف الفوائد التى تعود على الفقراء من جراء الزكاة وكذلك المجتمع ، وأوجب الإسلام الزكاء فى أنواع من الإنتاج أو الرزق ، قال الله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ .... " (الأنعام : ١٤١)

وفى هذا أيضا دعوة إلى المبادرة بإخراج الزكاة "يوم حصاده" التى هى حق من حقوق الفقراء والمجتمع .

دعوة واجبة التلبية - صريحة واضحة - إلى التكافل الإجتماعى بين الناس ، وليس هذا فحسب ، بل هناك حث دائم على الصدقات - بخلاف الزكاة - فى الشريعة الإسلامية .... والصدقة التطوعية تبرز الإنسان فى كيان الإنسان المتصدق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "على كل نفس طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه" ، ويقول الله تعالى :

" وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " (الذاريات : ١٩)

وبالنسبة لحق صيانة المال فكما أن النفس معصومة ، فكذلك المال ، فلا يحل أخذ المال بأى وسيلة من الوسائل غير المشروعة ، إحترم الإسلام المال حيث أنه عصب الحياة ، وإحترم ملكية الأفراد له ، وإحترام الإسلام للملكية بأن جعل حقهم فيه حقا مقدسا لا يحل أن يعتدى عله بأى وجه من الوجوه ، لذلك حرم الله السرقة والعنف والإختلاس والخيانة والربا والغش ،

وفى ذلك حكمة ، فالسارق عضو مريض ينبغى بتر الأداة - يده - التى تمكنه من السرقة ليسلم المجتمع من أذاه ، والتضحية بالبعض من أجل الكل مما إتفقت عليه الشرائع والعقول ، كما أن قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس ، يقول الله تعالى:

" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (المائدة : ٣٨)

وأخيرا فإن المال هو أحد الأسباب الرئيسية للقلق والتوتر الذى يصيب الإنسان غير المؤمن أو ضعيف الإيمان ، ووضع الإسلام ضوابط كفيلة بالتوازن بين اللازم لعمارة الأرض وعمرانها كمطلب دينى ، وبين المال عندما يكون سببا للإنتحار والقلق والأمراض ، إن الفرق بين الحالتين يكمن فى النظر إلى المال ، فهو فى يد المؤمن وليس فى قلبه أو هكذا يجب أن يكون فى حين أنه - أى المال - يمثل فى غير المؤمن القلب كله ، وهو شغله الشاغل ، لذلك كان من دعاء المؤمنين (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا).

ثم هناك سعى للرزق تقره الشرائع السماوية وتدعو إليه ، هو السعى الحثيث والطلب العفيف للرزق ، ولذلك أمرنا ربنا عز وجل بالبحث عن الرزق ومصادره فقال :

" .... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " (الملك : ١٥)

أما عندما أمرنا أن نتوجه إلى الصلاة قال لنا

" .... فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .... " (الجمعة : ٩) .

العنـــف

أنشأ التخطيط الوضعى الذى تم مناقشة خصائصه فى الأبواب السابقة ، حضارة فاقت كل تصور وخيال ، حضارة كان هدفها رفاهية الإنسان ، وهو ما لم يتحقق رغم النهضة الهائلة فى كل نواحى الحياة ، ذلك أن التخطيط البشرى يعتريه القصور والنقصان ، حيث أغفل الجوانب الروحية والإيمانية للإنسان التى هى أسس السلام مع النفس ومع الغير ، وبالتالى فإن أسس الرفاهية الحقيقية تأتى من هذه الناحية ، من حيث يمكن أن يكون الإنسان منسقا مع نفسه ، متجاوبا متلائما متكاملا مع الآخرين من مكمن الحب والكره والخير والشر ، فمن مصدر الصفاء أو الكدر النفسى من داخل النفس البشرية تكون السعادة أو يحل الشقاء .

أفرزت هذه الحضارة نوعا من العنف لم يسبق له مثيل فى السلم والحرب ، فى داخل الدول وخارجها ، فى البر والبحر والجو ، فى الدول المتقدمة والنامية على السواء . عنف عام ساد الحكام والمحكومين يبرز الشقاء الداخلى وغياب الضمير الإنسانى ، على سبيل المثال عضو الكونجرس الأمريكى أقوى دولة فى العالم ، لا يستطيع أن يعبر بعض شوارع واشنطن العاصمة ليلا .

ما تراه اليوم على الساحة ترجمة لهذا الواقع ، من حروب تستخدم فيها الآلات الجهنمية تبيد ولا تذر ، والسيارات الملغومة ، والقنابل الموقوتة التى تقتل الحياة وسط الزحام ، وتقلب الأمل والبسمة والضحكة على وجوه الصبية والفتية والشيوخ ، إلى وجوم ، إلى فزع ، إلى حسرة ، إلى صرخة ، إلى أنة مكبوتة ، إلى هلاك وإحتراق وسط الجثث المحترقة وفرقعة البالونات التى يطيرها الهواء فوق الدخان الكثيف الأسود الذى يطوى المكان كله ....

مكان لهو الأطفال .

دمار ، قتل ، إبادة ، تخريب ، حرائق .... هلاك لكل شيئ فى كل مكان : فى لبنان ، فى القدس مدينة السلام ، وفى الضفة ورام الله ، فى الصين ، والهند ، وباكستان ، وأفغانستان ، فى أمريكا ، وكمبوديا ، وفيتنام ، فى روسيا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفى العراق ، وإيران .

ألمانيا الهتلرية ، وأيطاليا الفاشية ، وباقى أروبا ، وفى أمريكا ، وهيروشيما ، ونجازاكى ، فى مصر ، وسوريا ، والأردن ، وإسرائيل ، وفى جنوب أفريقيا ، وأنجولا ، وموزامبيق ، واحياء زنوج أمريكا ، وفى أيرلندا ، وفى السلفادور ، فى بريطانيا ، والأرجنتين ، فى المغرب والجزائر وموريتانيا ، ، وفى أوغندا ، وتنزانيا ، وأثيوبيا ، والصومال ، والسودان .... فى كل مكان يطأه الإنسان .

- مدافع ، دبابات ، مصفحات ، حاملات جنود ....
- بارود وغازات سامة وأعصاب وقنابل عنقودية وذرية وهيدروجينية وصواريخ حاملة رؤوسا نووية ....
- صواريخ قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى وعابرات القارات ....
- طائرات وقاذفات إعتراضية ، إستطلاعية ، نفاثة ومروحية تبث الرعب فى أجواء الفضاء ....
- غواصات ، زوارق ، بوارج ، مدمرات ، حاملات طائرات ....
- أساطيل الدمار تخوض البحار ....
- رادارات وأجهزة تصنت من القرب والبعد وأقمار تجسس ، وأشعة الليزر وفوق الحمراء ....
- أدوات قتل ودمار عملاقة من الأرض للأرض ، ومن الأرض إلى الجو ، ومن الجو إلى الأرض ، ومن الجو للجو ، ومن تحت البحر لتحت

البحر، ومن تحت لفوق ، ومن فوق لفوق ، فى كل إتجاه وصوب أى مكان يوجد به إنسان .

حروب يستخف فيها بأرواح الأبرياء فتقذف المدن بالقنابل الذرية ، كما حدث فى هيروشيما ونجازاكى ، وترمى التجمعات السكانية بالصواريخ والقنابل ، وتستخدم الغازات السامة والمبيدات الكيماوية فى قتل الأبرياء وإبادة وتدمير البيئة العامة وما عليها من حيوان ونبات ، كما حدث أيضا فى فيتنام حيث تغيرت بيئة أقاليم بأكملها بعد أن أبيدت الغابات .

قتال وإقتتال ومعارك ، صراع ، دمار من الخارج للخارج فيما بين الدول ، ومن الداخل للداخل فيما بين مواطنين لوطن واحد أو أمة واحدة ، حيث الحروب الأهلية المنتشرة فى كثير من دول العالم ويعتدى فيها على الأبرياء بالقتل دون تمييز فى مذابح بشعة جماعية يشيب من هولها الولدان .

ليس هذا فحسب بل أن هذه الحضارة قد أفرزت وسائل شتى لتعذيب الخصوم والتنكيل بهم ، إبتدعتها دول الإحتلال من أجل إخماد ثورة المطالبين بحرية بلدهم ، وسار على هذا الدرب المأساوى حكام مستبدون حكموا بعد الإحتلال بعد أن ظن الناس أن عهود الظلم والظلام قد آلت إلى زوال فكانوا ملكيين أكثر من الملك.

من يطالب بحرية بلده من المواطنين ومن يخرج من قطيع البشر التائه الراضخ وسط سحب من ضباب التيه والتعمية تبثها وتنشرها أجهزة عين الحاكم المتسلط ، ومن لا يرضى ويفزع لأنين أولئك الذين يتضورون جوعا وتعوزهم الحاجة بعد أن نهبت ثروات بلادهم ، أو تبددت فى ملاهى السلطة أو فى مغامراتها البلهاء ، أو تحت سوء التقدير ، من يجأر بالشكوى ويبدى الحزن من أجل من أجيروا أو ظلموا ، أو قتلوا تعسفا ، أو من أجل إنتهاك الأعراض والحرمات ، من يعترض ، من لا يرضى أو يرى رأيا

مخالفا ، أو حتى يكون رأيا مستقلا ، أو شاءت أقداره أن لا ينال رضى السلطة المتسلطة ، فجزاؤه صنوف شتى من العذاب وقوائم متعددة من الأذى والإهانة والإستهانة ومحاولات لا حصر لها لوأد آدميته .

ضرب ، ركل ، صفع ، جلد بالكرابيج ، صعق بالعصا الكهربائية ، وكلاب جائعة هائجة تنهش الأبدان ... لسع بالسجائر المشتعلة ... ، خلع الأظافر ... والإجلاس على الخازوق ... ، تعرية ... إعتداء جسدى عليه ... وإعتداء جنسى وحشى على أمه ... على زوجته ... على بناته .

لا رأفة لا رحمة لا هوادة ... بل قسوة غاية فى القسوة من بنى الإنسان لبنى الإنسان ... تجويع تعطيش تعرية وسط عراء الصحراء الثلجية أو الصحراء القائظة المحرقة ، والمنع من النوم ، والحشر حشرا فى أماكن ضيقة ، جمعا وفرادى ، هى مكان النوم والإقامة والأكل والشرب وقضاء الحاجة .

إن الإنسان قد صنف الحيوان إلى : وحشى وأليف ، مع أن أيا منهما لا يقوم إطلاقا بتعذيب حيوان أيا كان ، قد يفترسه أو يلتهمه من أجل أن يقتات مدفوعا بغريزة حب البقاء ، لكنه أبدا لا ينكل به أو يستمتع بتعذيبه كما يحدث بين الإنسان وأخيه الإنسان .

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .... " (الإسراء : ٧٠) : خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وسخر له ما فى السموات والأرض جميعا ، وجعله خليفة له ، وزوده بالقوى والمواهب الخلاقة ليسود الأرض ، وليصل أقصى ما قدر له من كمال مادى وإرتقاء روحى ، ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ، ويبلغ غاياته ، إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة وعلى رأسها الأمن والحرية .

- إن الله هو الذى حدد للإنسان منهج حياته وحقوقه كاملة دون نقصان أو قصور فى أى جانب من الجانب أو أى جزئية بحيث يتوفر للإنسانية جمعاء الحياة المثلى .
- والقادر المقتدر العليم الخبير بظواهر الأمور وبواطنها وعلمه شامل ومحيط بدقائق الأشياء ويعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون .
- والعالم بما يصلح الإنسان ويفسده ، ويصلح له حياته ويفسدها ، وأعلم بما يحفظ له مكوناتها وما يرقى بها.
- الذى يمكنه أن يقنن القوانين المقننة التى يمكن على هديها صيانة حقوق وحياة الإنسان وكل إنسان - وتكفل له الرقى والسمو والرفعة فوق البهيمية ، فوق الأنانية ، إلى عالم الإنسان حيث ينبغى أن يكون الإنسان، دون تحيز أو غرض .
- ذلك هو الله رب العالمين : خالق الإنسان والموجد له أسباب الحياة ، الذى أتقن كل شيئ خلقه ، سن السنن وشرع الشرائع التى تصون مخلوقاته ، وتكفل - عند التطبيق - بحماية الإنسان والحياة ، فى كل زمان ومكان ، وتكفل بتسامى الإنسان وعلوه إلى الذروة فى الإخلاص والصفاء ، والوفاء والود والحب والصدق والأثرة والتكامل مع الكل فى وحدة جامعة تنشد خير الكل والحياة والبيئة ، حيث لا كره ولا حقد ولا ضغينة ولا بغضاء ، حيث لا جشع ولا إستغلال ، ولا أغنياء يكنزون كل شيئ مهما فاض وزاد وتكدس ، وفقراء لا يجدون ما يسد رمقهم بعد أن يأتوا على حشائش الأرض ، ثم يذبلون وتبرز عظامهم ، ويجفون مع الجفاف ويهلكون .

حيث الضمير الإنسانى الممتلئ حياة والذى لا يرضى لغيره ما يأباه على نفسه حيث العدل والسلام والأمن والطمأنينة .... حيث يكون

الإنسان إنسانا.

لا غدر ولا خيانة ، لا تصنت لا مكر لا مكيدة لا غطرسة لا كبرياء لا تحرش ولا صنع لآلات الدمار كل ما يصرف على أدوات هلاك الإنسان ، يكفى ويفيض عن حاجة الإنسان ، فالإنسان به أولى وأولى للإنسان أن لا يدمر حياة الإنسان أو البيئة لأن البيئة سفينة للجميع .

* * *

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بالحق وجعل فيه كل شيئ موزونا ومتزنا ومتكاملا مع بقية مفرداته ومكملا لها ، فإذا إختل شيئ فيه ظهر الفساد فى البر والبحر وعانى الناس جميعا من المتاعب ؛ وخلق الإنسان ووضع له منهاج حياته ، والخالق هو القادر على وضع ناموس لمخلوقاته ، إنه أدرى بكنهها وما يصلحها .

" أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (الملك : ١٤)

لكن الناس تركوا شرع الله ، وأخذوا يشرعون لأنفسهم ، ولا يمكن لمشرع من البشر مهما أوتى من سعة العلم ونفاذ البصيرة أن يكون ملما بكل ملمات الحياة ، بل الواقع أن هناك الكثير والكثير الذى لابد وأن يكون على جهل به حتى ولو إنحصر الأمل فى مجال علمه : فلازال المجال متسعا والخفايا والخبايا كثيرة ، ثم أن أى جزئية لا تنفصم أبدا عن الكل ، كما أن أى مشرع مهما كان نزيها لا يمكن أن ينتزه تماما عن الغرض ، من هنا صدرت القوانين الوضعية غير وافية وغير منسقة وتحتاج دائما إلى تغيير وتغيير التغيير .

كل مشرع يراعى عند وضع القانون الطبقة التى ينتمى إليها ، فإذا كان التشريع رأسماليا جعلت المزايا لأصحاب رؤوس الأموال .

تشريعات وقتية ناقصة تبيح "الزنا" وتسميه "حرية الجنس" وتبيح

شرب الخمر ولعب الميسر والربا ... وتحرم تشريعات الله فى قطع يد السارق والقصاص من القاتل بالقتل بإدعاء أنها عقوبة وحشية .

قوانين تهيئ الوسط المناسب لتوالد الجريمة ونمو العنف ، وتساعد على إستهانة القاتل بضحاياه من الأبرياء ، ويستمر فى القتل ، كما أن السارق لا يكف عن السرقة بعد العقوبة الحانية المهدهدة ، إن الإسلام حرص على حماية الأنفس ، وهدد من يستحلها بأوخم العواقب وأشدها ، فيقول الله تعالى: " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " (النساء : ٩٣) ذلك لأن القتل هدم لبناء إرادة الله .

وعظم الله قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض ... حيث قال "فكأنما قتل الناس جميعا" وأوجب القصاص من القاتل المتعمد ، وفى هذا عدل وبتر للإجرام وإسكات للفتنة أو العنف فى المهد ، فأهل المجنى عليه لا تشفى صدورهم إلا بعد أن ينال المجرم الجزاء المكافئ ، وبذلك يقضى على العنف الذى ينجم عن رد الفعل فضلا عن كونه زاجرا ورادعا لكل من تسول له نفسه إقتراف هذا الجرم .

" وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة : ١٧٩) .

هذا نموذج واحد لعدم الإلتزام بالتشريعات السماوية وما يترتب عليه ، إن البعد عن الإيمان - وهو الغذاء الروحى - والميل إلى الخلل والميل إلى القوانين الوضعية المليئة بالثغرات ، قد تسببت فى كل هذه الفوضى المستشرية بين الإنسان وأخيه الإنسان .... بين الإنسانية جمعاء ، يقول الله تعالى :

" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى " (طه : ١٢٤ - ١٢٦)

العـــــدل :

إذا كانت التشريعات الوضعية قد أغفلت العدل فى تطبيقاتها ، وإن كانت لم تخلوا منه نصوصها ، فإن شريعة الله قد أكدت على العدل وجعلته منهجا لحياة الناس بإعتباره من الوسائل الفعالة للقضاء على العنف ، فبإقامة العدل وإحقاق الحق تنشأ الطمأنينة بين الأفراد ويسود الأمن والسلام ، وتتوطد أواصر الصلات والمحبة وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض وتحل الثقة بين الحكام والرعية .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن كل فرد سيمضى إلى غايته فى العمل والإنتاج والخلق والإبتكار دون أن يشغله شاغل أو ينازعه فى سبيله منازع يعوق حركته عن النهوض ، فتنمو الثروة ويزيد الرخاء وتدعم الأوضاع ، فلا تتعرض لخلخلة أو إضطراب وتحقق بذل نهضة الأمم .

لهذا كان العدل غاية للرسالات السماوية وقيمة من قيم الإسلام العليا.

ويتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه ، والحكم بما شرع الله من أحكام ، حيث لا محسوبية ولا وساطة بل تكافؤ فى كل شيئ ، فى الثواب العقاب ، فلا ينشأ شعور بالظلم أو فقدان للثقة فى ولاة الأمر ، فلا يكون التذمر باكورة العنف .

" .... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .... " (النساء : ٥٨) .

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا .... " (النساء : ١٣٥) .

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .... " (المائدة : ٨) .

ويحل الأفراد فى أعمال المجتمع أو فى تولى أموره ، كل حسب

إمكاناته وكفاءته ، فيدار المجتمع بكامل طاقاته وبمنتهى كفاءته دون أن يغشاه متسللون جهلة .

وبالعدل لا يكون الجشع أو الإستغلال أو الإحتكار أو الجور بمختلف صوره وإنما يكون التكافل الإجتماعى حيث لا صراع طبقى بل رحمة ومودة وإمتنان وتعاون وإثار وتضحية وإنكار للذات مما يلطف الحياة ويعطف القلوب ويؤاخى بين الإنسان وأخيه الإنسان .

وبالعدل يحترم الإنسان من حيث أنه إنسان بقطع النظر عن جنسه أو دينه أو مركزه الإجتماعى ، الكل سواسية ، وفيه إحترام للعقل الإنسانى وتقدير لفكره ، ويجعل من الفكر والعقل وسيلتين من وسائل التفاهم والإقناع .

وحيث أن العقل يكون روابط الحب وصلات الود بين أفراد المجتمع، وهذه تكون نابعة من داخل النفس البشرية ، وليس كغيرها من الروابط المادية التى تنتهى بإنتهاء دواعيها ، وتنقضى بإنقضاء الحاجة إليها ، لذا فإنها أقوى من روابط الدم واللون واللغة والوطن والمصالح المادية .

والإسلاك يوجب العدل ويحرم الظلم :

" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى .... " (النحل : ٩٠)

وفى حديث قدسى يقول الله جل جلاله ما معناه "إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا"

ويدعو إلى أن تكون علاقة الناس بغيرهم علاقة تعارف وتعاون وبر وعدل فيقول الله تعالى فى التعارف المفضى إلى التعاون :

" يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .... " (الحجرات : ١٣)

لا فضل لعربى على أعمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى بعدم الإعتداء على حرماته وعدم الظلم والإحسان والبر والعدل ...

ولكل فرد الحق فى أن تصان نفسه وتحمى ذاته ، فهو معصوم إلا إذا قتل أو أفسد فى الأرض فسادا يوجب القتل ، فيقول الله تعالى :

" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .... " (المائدة : ٣٢)

لم يكتف الإسلام بتقرير حياة الأنفس وحماية الأعراض والأموال فحسب وإنما أقر حرية العبادة وحرية الفكر وحرية إختيار المهنة التى يمارسها الإنسان لكسب عيشه ، وحرية الإستفادة العادلة من جميع مؤسسات الدولة وأوجب على الدولة المحافظة على هذه الحقوق جميعها وكل حقوق الإنسان داخلها .

ودعا الإسلام إلى التمسك بمبادئ الحرية والعدل والتراحم وإلزام النفس والغير بهذه المبادئ السامية حيث لا يكون هناك إفراط أو تفريط إنما إلزام بشرع الحق والإنصاف .

وحتى يستقيم الأمر ويستقر العدل ويأخذ مساره السليم ، لزم أن لا يكون هناك تضليل للعدالة من قبل الإدعاء الكاذب والشهادة الزور ، لهذا إعتبر الإسلام الإدعاء الذى يضر بالخصوم دون دليل أو شهادة من شهود عدل قذف يستوجب العقاب ، وحرم شهادة الزور وبشر الذين لا يشهدونها بالجزاء الحسن وفى هذا يقول الله تعالى :

" وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا " (الفرقان : ٧٢)

" ..... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ " (الحج : ٣٠)

وأهم الوسائل التى يتحقق بها القسط وحفظ الحقوق وصيانة الدماء والأعراض وأموال هى إقامة النظام القضائى الحر ، الذى فرضه الإسلام وجعله جزءًا من تعاليمه وركيزة من ركائزه التى لابد منها ولا غنى عنها .

" إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا " (النساء : ١٠٥ ، ١٠٦)

ثم ألا يمكن لنا بعد هذا أن نقف هنيهة ، وننظر ماذا كان عاقبة المجرمين دائما وأبدا فى مختلف الأزمنة والعصور .

- عندما يظن الإنسان أنه لن يقدر عليه أحد ويتحول إلى إرهابى إلى جبروت عندما يعبث ويعيث فى الأرض فسادا ...
- عندما لا يعدل ، ويظلم ، ولا يستوفى الكيل ، يغش ، عندما لا يرحم من فى الأرض أو يرتكب أعمالا تهبطه من منزلة الإنسانية إلى ما دون الحيوانية إلى أسفل سافلين ...
- لقد كان دائما وأبدا عاقبة أمرهم خُسرا ، ظهر ذلك فى روسيا وأفغانستان، وأمريكا وفى فيتنام ، والنازى والفاشست والتتار وفرعون وقوم هود وصالح ولوط وغيرهم وغيرهم كثيرون .

" .... فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ " (النحل : ٣٦)

" قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ..."(الروم: ٤٢)

" فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ " (النمل : ٥١)

" أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ " (غافر : ٢١)

تشير الآيات إلى جانب القيم والسلوك الإجتماعى والمعنوى فى حياة الشعوب وتاريخ حركتها لإكتساب معارف ومهارات السلوك السوى والمستقيم، وتجنب أخلاق ومساوئ الظلم والفساد ، الظلم والإستبداد والإستغلال والحرمان كلها صور إجتماعية ظالمة تتنافى وأبسط حقوق

الإنسان الطبيعية وهى العدل والإخاء والمساواة .

فالإنسان مدنى بفطرته خلقه الله عزيزا ، ويريده حرا كريما ، وهو لهذا لا يبدع ولا يتقدم فى ظل القهر والإستبداد السياسى والإستغلال الإقتصادى .

ماذا لو دعت الضرورة إلى القتال ؟

إن الإسلام يجعله مقدرا بقدره ، فلا يقتل إلا من يقاتل فى المعركة ، وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له ، وحرَّم الإسلام قتل النساء والأطفال والمرضى والشيوخ والرهبان والعباد ، وحرَّم قتل الحيوان وإفساد الزروع والمياه وتلويث الآبار وهدم البيوت ، وحرم الإجهاز على الجريح وتتبع الفارين ، أى إستعمال أقصى درجات الرحمة والرأفة مع الأعداء وهناك وصايا من أبى بكر الصديق إلى جيوش المسلمين منها :

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا إمرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تنبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله .

حرص الإسلام على إقرار تعاليم القرآن الرحيمة السامية الداعية إلى صيانة وحماية حياة الإنسان .

والخلاصة هل إستطاعت تلك الحضارة المادية والتى هى ثمار التخطيط السليم أن تحقق الأمن للناس فى حياتهم اليومية ، وأن تقضى على مظاهر العنف والظلم ، وأن تكبح جماح الشهوات المالية والجنسية ، بلا شك هناك شيئ مفقود ، إنه الإيمان بالله ، وبما وراء هذا الكون ، يقول الله تعالى:

" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ " (الأنعام : ٨٢)

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٨/ ٧٨٥٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5248 - 22 - 0

دار الحكيم لطباعة الأوفست
٤٦ ش التعاون بمدينة الجندول الزاوية الحمراء
TEL : 2951038

تصحيح الأخطاء الواردة بالكتاب - القرآن والعمران

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
جـ	١٩	في في	في
٤	١٩	غنى	عُنِيَ
٦	١	ألم ترى	ألم تر
٧	٢	٧٥٠م	٥٧٠م
٧	١٥	هذين العاملين	هذان العاملان
٩	١٩	فما استطاعو	فما اسطاعوا
١٢	١	مرحلتين (حقبتين)	مرحلتان (حقبتان)
١٧	٩	لكوار	للوار
١٩	١٥	مأو	مأوى
٣٣	٦	صناع	صناعة
٣٤	٦	فيمال	فيما
٣٧	١١	البيني	البينة
٤٥	٩	المر	المرء
٤٦	٢٣	ليصبدوني	ليصبدون
٤٧	٢	لتسكنوا	لتسكنوا إليها
٤٨	١٧	٨٧,٧٪	٧٨٪
٥٠	١٣	جندوه	جنوده
٥٣	١٥	ملأت	ملئت
٦٢	١٩	منا	منها
٦٣	١	منا	ومنها
٦٣	٤	المبوسات	الملبوسات
٦٣	٢٢	جنورا	جنور
٦٦	٣	ن	من
٦٩	٤	في	من
٧١	٢١	لعجلة	بعجلة
٧٢	١٨	الخلة	الخلية
٧٤	٢٠	تحيى ويحيى	تحيا ويحيا
٧٧	١٧	والصناع	والصنع
٧٨	١٣	يتختلف	يختلف
٨٤	٦	وخرج	ويخرج
٨٥	٥	هانك	هناك
٨٧	٢	والنصاعة	والصناعة
٩١	١٨	وهمذا	وهكذا
٩٥	١٦	الصناعي	الصناعية

٩٦	٧	الصغ	الصغر
٩٦	١٤	المصريين	المصريون
٩٦	١٦	سبعة أكفف	ستة أكفف
٩٦	١٧	الأووسط	الأوسط
٩٨	٧	وكما كذلك إعتمد	وكذلك إعتمد
١٠٠	١٧	بنى	بين
١٠١	٢	الأول / الثانى	الأولى ، الثانية
١١١	٧ ، ٨	تأثيرا مباشرا	تأثير مباشر
١١٢	٣	٢,٩٥	٢٠,٩٥
١١٢	٩	نوعين	نوعان
١١٥	٩	آثارا	آثار
١٢٠	٣	لتى	التى
١٢٥	١٢	في الأخطار فى	من الأخطار عند
١٢٥	٢١	تكن	تكون
١٢٨	١١	إستخدام	إستخدامات
١٢٩	٦	النايات	النفايات
١٣٠	١٩	كالفلورين	كالفريون
١٤٢	٢٣	البهامة	العامة
١٤٥	١٨	دافعه	واقعه
١٤٨	٢٢	أنواع من	أنواع معينة
١٦٣	١٧	سو	سوء
١٦٥	٢	اسكال	أشكال
١٦٨	١٠	بالنسيك	بالنسك
١٧٠	٢	العملية	العلية
١٧٠	١٣	رقودا	رقود
١٧٠	٢٣	الأمن وفى	الأمن في
١٧٤	٤	لكى	لك
١٧٦	٩	الإبحاية	الإباحية
١٨٠	٤	أعدوه	أعد
١٨٦	١٠	تتضع	تضع
١٩٣	٢٢	أجيروا	أخيروا
١٩٥	٢	الجانب	الجوانب
١٩٦	١٥	الأمل	الأمر
١٩٨	١٠	وتحقق بذلك	ويتحقق بذلك
١٩٩	١٤	الإسلاك	الإسلام
٢٠٢	٢٣	يهتدون	مهتدون

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

دار الحكيم للطباعة
٢٩٥١٠٣٨